

مُولُود قَاسِم نايت بلقَاسِم

شَخْصِيَّةُ الجزائِرِ الدُّولِيَّة

وهيبتها العالمية

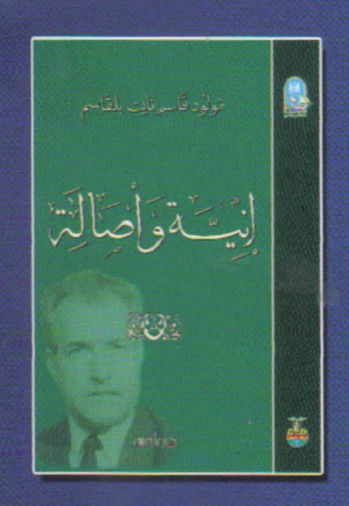
قبل سنة 1830

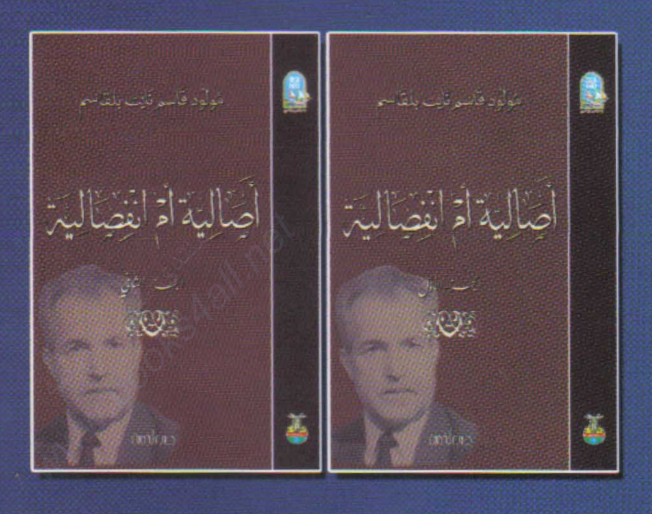


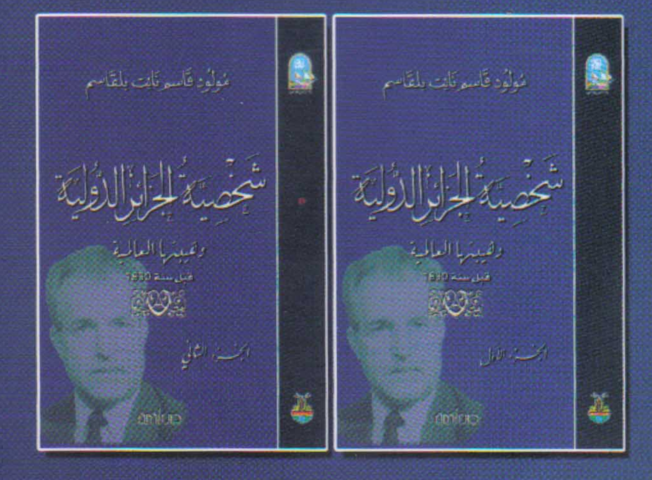
الجُزْء الثَاني






مولود قاسم نايت بلقاسم
إنية وأصالة


مولود قاسم نايت بلقاسم
أصالية أم انفصالية
مولود قاسم نايت بلقاسم
أصالية أم انفصالية


مولود قاسم نايت بلقاسم
شخصية الجزائر الدولية
وهيبتها العالمية
الجزء الثاني
مولود قاسم نايت بلقاسم
شخصية الجزائر الدولية
وهيبتها العالمية
الجزء الأول

مُولُود قَاسِم نَايت بلقَاسِم



شخصية الجزائر الدولية

وهيبتها العالمية

قبل سنة 1830

الجُزء الثاني





شركة دار الأمة

للطباعة والنشر والتوزيع

ص. ب 109 برج الكيفان 16120 الجزائر

E-Mail: OummaBooks@yahoo.fr

الطبعة الأولى، دار البعث – قسنطينة 1985 م.

الطبعة الثانية، دار الأمة – الجزائر 2007 م.

إيداع قانوني: 2007 / 3541

ردمك: 3 230 67 9961 978

العلاقات مع فرنسا

الآن بلغنا المقصود بالذات ، ووصلنا إلى بيت القصيد ، أى إلى أم البلايا ، التى غزا سمها الخلايا ، والتى منها جاءت جميع الرزايا ، وكان غزوها لنا قضية القضايا ، رغم مساعدة أجدادنا لها عن سذاجة وصدق النوايا ، ثم أرادت وكادت أن تقرب إلينا المنايا !

وصلنا إلى العلاقات مع فرنسا !

هناك كتاب للمؤلف المصرى خالد محمد خالد عنوانه : « من هنا نبدأ » ! ولكنى ، هنا ، لا أدرى ، حقا ، من أين أبدأ ! وكيف أبدأ ؟ هل أبدأ بغاراتها المتعددة علينا ؟ أم بمؤامراتها ومناوراتها التى لم تكن إحداها تفشل إلا لتبدأ أخرى ؟ أم بالمعاهدات التى عقدناها معها ، والتى تجاوز عددها مجموع ما عقدناه مع بقية الدنيا ؟ أم أبدأ بمساعيها الملحة لدينا لمساعدتها ، وباستنجاداتها العديدة بأسطولنا وبحارتنا ، لإنقاذ مصيرها من التفتت والذوبان ، وحمايتها من أعدائها ؟ أم بطلباتها حبوبا وقروضا نقدية ؟ نعم : من أين أبدأ ؟

بدأت علاقاتنا مع فرنسا طيبة جدا ، ومنذ عهود سحيقة ... ثم سرعان ما أخذت تتقلب ، بين عشية وضحاها ... ما إن تمد

إحدى يديها لطلب المساعدة والعون منا ، إلا لتخفي أخرى وراء ظهرها ، وهي ممسكة بخنجر مسموم ! هكذا كان الأمر معها منذ القرن الثاني عشر (م) حتى سنة 1830 !

نعم ، فلنبدأ ، إذن ، منذ البداية ، ولنرج للجميع خير الهداية !

بدأت العلاقات الجزائرية الفرنسية فعلا طيبة . حقا ، لم نكن نجني منها فائدة ذات قيمة استراتيجية ، مثلما هو الأمر بالنسبة لعلاقاتنا الأولى مع بريطانيا (التي كنا نستورد منها الأسلحة الضرورية للدفاع أمام الهجمات الصليبية) ؛ ولكنها كانت ، على كل ، علاقات تجارية خصبة كان أجدادنا وأجدادها يتبادلون بها المنافع .

فلئن كان المؤرخ الفرنسي دوفول Devoulx يقول عن نشأة العلاقات بين الجزائر وفرنسا :

« لقد كانت لمرسيليا منذ القرن الثالث عشر (الميلادي) علاقات تجارية بالسواحل المغاربية (1) ، متنافسة في ذلك مع الجنويين (les Gênois) والبيشيين (les Pisans) والقطلونيين (les Catalans).

« وهكذا عقد حكام مرسيليا في بداية القرن الرابع عشر (الميلادي) معاهدة تجارة وملاحة مع ملك بجاية ، خالد ابن زكرياء » (2) ؛ على أن المؤرخ الأمريكي سبنسر يقول: إن هذه المعاهدة عقدت في القرن الثاني عشر (3) ، وليس في الرابع عشر .

---

(1) لقد سبق لي أن كتبت أن جمع « المغارب » ، والصفات المشتقة منه ، اصطلاحات عابرة ظرفية مؤقتة للدلالة على البلدان المغربية ، لا على المغرب الأقصى وحده ، للبيان ، والشرح ، والتوضيح ، ريثما يعود هناك مغرب واحد ، ومشرق واحد ، وأمة واحدة تجمعهما !

(2) A. Devoulx : Archives du Consulat Général de France à Alger, p. 1.

(3) Spencer : ibid, p. 148.

ويضيف دوفــو :

« وكان المرسيليون يأتــون إلى بجايــة بمعادن ، وأقمشة ، وآلات حديدية ، ويأخذون منها خيولا ، وأصوافا ، وزيوتا ، وشموعا ، وجلودا ، وهذه الأخيرة كانوا يعيدون بيعها بأثمان غالية في اسبانيا وإيطاليا .

« والقنصل الفرنسي في بجاية إذ ذاك اسمه Peyre Jordans ، ورسائله موجودة في محفوظات الوثائق بمرسيليا » . (4)

ثــم أخذت العلاقات الجزائرية الفرنسية شكلا جديدا ، إذ تطورت كثــيرا ، وازدادت وثــوقا ، وذلك ببادرة من فرنسا ، التي كانت حريصة على اكتساب ود الجزائر ، وذلك ابتداء من سنة 1534 ، حيث حل مبعوث خير الدين ، رئيس دولة الجزائريين، ـ كما كانت تسمى ـ بفرنسا بدعوة من ملكها ، فرانسوة الأول، وعقدت بينهما ومبعوث السلطان العثماني ، سليمان القانوني ، « المعاهدة الثلاثية » (le Traité tripartite) أو : معاهدة شاتيلرو (le Traité de Châtellerault) ، باسم المدينة التي تم فيها اللقاء وعقد المعاهدة . وإثرها توجــه السفير الفرنسي الأول إلى الجزائر ، جان دي لافوري Jean de Laforêt ، ثم فيما بعد فقط إلى اسطنبول، وأصبح الحلف الثلاثي رسميا سنة 1536 (حسب التقويم الأوروبي الحــالي) . (5)

ثم عين قنصل فرنسي آخــر ، هذه المرة في العاصمة الحالية، الجزائر ، « سنة 1538 م ، وكان أول قنصل أوروبي . وكان في البــدء ممثلا لجميــع الأوروبيين » . (6) « وكان الثاني هــو الأنكليزي يوهان تيبتون Johan Tipton سنة 1580 ، والثالث هو

(4) Devoulx : ibid, p. 1.
(5) A. Dufour in : France-Pays Arabes, avril 1975.
وانظر ايضا : إنية وأصالة ، ص 273 .
(6) Reftelius : ibid, t. 2, p. 577.

الهولاندى أندريسن فان دير بورغ Andressen van der Burg ، سنة 1668 ، أما الرابع فكان السويدى الذى لم يصل الا سنة 1730 م » . (7) (وهو صاحب هذا النص ، ريفتيليوس) .

وبالتوازى مع بدء العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وفرنسا، بيادرة من هذه الأخيرة ، أخذت التجارة الفرنسية مع الجزائر طابعا قارا ، إذ أنشأت فرنسا ، انطلاقا من معاهدة 1534 ، مركزا تجاريا فى مدينة القالة ، لتصدير الحبوب ، وخاصة القمح ، ولصيد المرجان ، وتصديره إلى فرنسا أيضا ، وذلك سنة 1561 م . (8)

« ونظرا لأهمية المصالح التجارية الفرنسية فى الجزائر وحجمها ، **فقد قررت الحكومة الفرنسية إقامة العلاقات الدبلوماسية معها سنة 1564** » . (9)

وهذا ليس صحيحا كل الصحة من حيث الترتيب الزمنى ، حيث إن العلاقات الدبلوماسية أقيمت بالمعاهدة الثلاثية (1534) وحلول السفير الفرنسى لافورى Jean Laforêt بالجزائر ، كما سبق أن قلنا ، فى السنة التى بعدها ، هذا إذا لم نرد العودة بها إلى عهد علاقات مرسيليا ببجاية فى الثانى عشر الميلادى .

« وقد تتابع المبعوثون الفرنسيون إلى الجزائر كقناصل أو كسفراء ، وإن كانت الوثائق الفرنسية فى القنصلية الفرنسية العامة فى الجزائر قبل 1682 قد أحرقها الجزائريون لدى الغارة التى قادها الأميرال دوكين ضد الجزائر فى هذه السنة » . (10)

---

(7) Reftelius : ibid, t. 2, p. 578.
وانظر فى هذا « إنية وأصالة » أيضا ، ص 271 .
(8) Devoulx : ibid, p. 2.
(9) Devoulx : ibid, p. 2.
(10) Devoulx : ibid, p. 3.

بل نجد فرنسا غير مقتنعة بتينك المعاهدتين ، المعاهدة مع ملك بجاية في القرن الثاني عشر ، والمعاهدة الثلاثية مع خير الدين سنة 1534 ؛ ولا بعملية الإنقاذ العسكرى لفرنسا ، التى قامت بها الجزائر لصالح فرنسا ، كما سنذكره بعد حين ، فنراها تلح على عقد معاهدة جديدة للتحالف العسكرى ... خاصة بعد ما ذاقته من لذة النصر على أعدائها ، أو على الأقل النجاة منهم ، بفضل الجزائر !

وهكذا يكتب سفير فرنسا فى اسطنبول ، بيتريمول Petrémol ، إلى كاترين دى ميديسيس ، Catherine de Médicis ، (الوصية على عرش فرنسا فى طفولة ابنها الذى أصبح فيما بعد شارل التاسع) ، فى رسالة منه بتاريخ 15 يوليو 1561 يقول لها فيها :

إنه رجا « الصدر الأعظم (رئيس الوزراء فى اسطنبول) فى أن يوصى سلطان الجزائر ، البايلرباى (11) الجديد أحمد باشا ، خيرا بفرنسا ، لتقبل الجزائر بالتحالف مع فرنسا » . (12)

كما نجد ملوك فرنسا إذ ذاك يخطبون ود الجزائر ، ويحاولون أن يقدموا لها خدمات .

« وهكذا أخبر شارل التاسع ، ملك فرنسا ، ملك الجزائر ، أحمد أعراب ، بواسطة حاكم مرسيليا ، بنوايا اسبانيا العدوانية ضد الجزائر سنة 1572 » . (13)

(ويعلق دو غرامون على هذا فيقول : « إن أحمد أعراب هذا هو من الجزائريين القليلين غير الأتراك والعلج (الأوروبيين

---

(11) أى باى البايات ، وبهذه الصفة كان مشرفا على باى تونس وباشا طرابلس ، ومسئولا عنهما .

(Plantet : Les Consuls de France à Alger, p. 73)

(12) De Grammont : ibid, p. 153.

(13) De Grammont : ibid, p. 154.

الذيـن أسلموا) ممن تولـوا الملـك فى الجـزائر فى العهـد العثمانى » . (14))

ويضيف دو غرامون :

« وذلك أن العلاقات بين الدولتين (الجزائرية والفرنسية) كانت وثيقة . وهكذا كانت الجزائر منذ نشأتها (ونحن نقول : انبعاثها فى بداية القرن السادس عشر) سندا قويا لملوكنا فى الحروب التى عانوها من عدوهم القوى (شارلكان) .

« ثم توثقت العلاقات أكثر بين الدولتين ، واستقبلت فرنسا خير الدين (رئيس دولة الجزائريين) فى مرسيليا بحفاوة بالغة ، وأغدقت عليه الهدايا » . (15)

مساعدات الجزائر لفرنسا

مساعدات الجزائر لفرنسا خمسة أنواع : نوع قبل الثورة الفرنسية ، وأربعة بعدها :

1) المساعدات العسكرية البحرية ، قبل الثورة وبعدها .

2) المساعدات الدبلوماسية للثورة .

3) المساعدات الاقتصادية للثورة .

4) المساعدات المالية للثورة .

5) المساعدات الاستراتيجية للثورة .

(14) De Grammont : ibid, p. 156.
(15) De Grammont : ibid, Introduction, p. VI.

البحرية أو العسكرية :

(1) ـ خير الدين ينجد فرانسوة الأول :

وقد اكتست العلاقات الجزائرية الفرنسية طابعها الدولى البارز ، كحدث عالمى ، وانطلاقها العملى المباشر ، بحلول خير الدين بربروس (16) ، رئيس دولة الجزائريين ، على رأس جزء كبير من بحريته ، بمرسيليا ، يوم 5 يوليو 1543 ، حيث استقبل استقبالا فاخرا .

وقد كان ذلك بطلب من ملك فرنسا ، فرانسوة الأول (17) ، المستنجد بالجزائر ضد الأمبراطور الألمانى ، ملك اسبانيا ، وهولاندا ، وأمريكا اللاتينية ، وغيرها ...، شارلكان (18) ؛ وملك انكلترا ، هنرى الثامن (19) ، اللذين كانا يهددان فرنسا . (20)

وقد حرصت فرنسا على توطيد علاقاتها برؤساء دولة الجزائر إذ ذاك ، والاستنجاد بهم ، من خير الدين إلى الداى شعبان ، بل وحتى فيما بعد بكثير .

ويقول دى هرامون :

« وقد استقبل ملوك الجزائر (les rois d'Alger) مرارا عديدة مبعوثين خاصين من ملوك فرنسا :

« وهكذا استقبل خير الدين مرارا بالجزائر مبعوثين من طراز المبعوث الخاص المشهور بولان دى لاغارد (le célèbre Paulin de la Garde) ،

(16) انظر الشكل السابق رقم : 13 .
(17) انظر الشكل رقم : 82 .
(18) انظر الشكل رقم : 83 .
(19) انظر الشكل رقم : 84 .

(20) Léon Galibert : L'Algérie, p. 185.



49. — FRANÇOIS Ier, PAR FRANÇOIS CLOUET

فرانسوة الاول

الشكل رقم : (82)



23 CHARLES QUINT, PAR CHRISTOPHE AMBERGER

شارلكان

الشكل رقم : (83)



هانرى الثامن، ملك انكلترا

الشكل رقم : (84)

وجان لا فورى (Jean Laforêt) والفارس آلبيس (le Chevalier d'Albisse)، وآخرين كثيرين غيرهم » . (21)

ويقول مؤرخ فرنسى آخر ، غارو :

« كانت الجزائر تمارس ، بفضل قادتها البحريين ، ضغطا على أوروبا كان فى صالح فرنسا ، خاصـــة أن ذلك حدث فى وقت كانت فيه الأمة الفرنسية مهددة ، من شارلكان وهانرى الثامن ، بالخطـــــر .

« وبفضل تلك العلاقات مع الجزائر أنقـــذ فرانسوة الأول عرشه ، وحفظ شعبه من الخراب » . (22)

(2) صالح رايس ينجد هانرى الثانى :

وكما استنجد فرانسوة الأول François 1er بخير الدين سنة 1543 ، وأنجده ، استنجد ابنـــه بعده ، هانرى الثانى Henri II ، بأحد خلفاء خير الدين ، البايلرباى صالح رايس ، سنة 1552 ، وأنجده أيضا ، ضد نفس العدو دائما : فيليب الثانى ، ابـــن شارلكان :

يقول دى غرامون :

« وفى سنة 1552 ، أرسل الملك هانرى الثانى مبعوثه الخاص ، الفارس دالبيس (le Chevalier d'Albisse) ، لدعوة صالح رايس إلى محاصرة الشطوط الإسبانية .

« وقـــد أجاب صالح رايس ، بايلرباى الجزائر (رئيسها) ، طلب ملك فرنسا (هانرى الثانى) ، وحـــل بميورقة فى يونيو

(21) De Grammont : ibid, p. 76 ; voir : Négociations de la France au Levant, t. 2, p. 204-261.
(22) Garrot : ibid, p. 403.

1553 ، على رأس أربعين سفينة حربية وأرسى بها ، وفى هذه الأثناء أرسل بأسطوله لمساعدة الفرنسيين » . (23)

ويعززه مواطنه غارو اذ يقول ان هانرى الثانى قد أعاد طلب المساعدة ، وكان للأسطول الجزائرى دوره الكبير فى ذلك . (24)

ثم يعود فيقول :

« إن ذلك التحالف بين فرانسوة الأول وخير الدين ضد شارلكان قد تواصل فى عهد صالح رايس ، أحد خلفاء خير الدين، وهانرى الثانى ، ابن فرانسوة الأول ، ضد فيليب الثانى ، إبن شارلكان ، مضعفين بذلك أمبراطورية شارلكان وخلفه بعده ، ابنه فيليب الثانى ، مما حفظ فرنسا من الغزو (الاسبانى) والتمزق » . (25)

أما المؤرخ السويدى ريفتيليوس ، فيعطينا صورة دقيقة تكاد تمثل أمامنا نابضة بالحياة ، فيقول :

« بينما كان صالح رايس فى طريقه من العاصمة الى بجاية فى إحدى محاولاته لطرد الإسبان (26) منها ، إذا بسفن مسرعة وراءه تلحق به . . . وعلى رأسها رئيس قساوسة دير كابوا (Capua)، حاملا رسالة فيها طلب نجدة ملك فرنسا ، الذى كان غارقا فى حرب شعواء ، شنها عليه فيليب الثانى ، ملك اسبانيا » . (27)

---

(23) De Grammont : ibid, p. 79-80.
(24) Garrot : ibid, p. 416.
(25) Garrot : ibid, p. 417.
(26) وقد طردهم منها فعلا نهائيا سنة 1555 ، كما طردهم حسن بن خير الدين من مستغانم سنة 1558 .
(27) Reftelius : ibid, t. 1, p. 62.

(3) استنجاد الملك الفرنسى هانرى الرابع بحيدر ، رئيس دولة الجزائريين :

وكذلك استنجد الملك الفرنسى هانرى الرابع سنة 1591 بحيدر ، رئيس دولة الجزائر ، « طالبا منه مساعدته على تحرير مرسيليا من « العصبة المقدسة (La Sainte Ligue) » (28) ، التى انضوت تحتها ، فى الأصل ، مجموعة من الدول أقل ما يقال فيها إنها لا يستهان بها ، وهى : البابا ، يوليوس الثانى ، والبندقية (Venise) ، وسويسرا ، وفرناندو الكاثوليكى (زوج إيسابيل ، ملكة اسبانيا) ، وهانرى الثامن (ملك أنكلترا) ، كلها ضد فرنسا ، منذ عهد لويس الثانى عشر سنة 1511 ، واستمرت فى عهد فرانسوة الأول وأبنائه وأحفاده ، الى ما بعد ، حتى هانرى الرابع (29) ، الذى نحن بصدده .

(4) استنجاد لويس الرابع عشر ، ملك فرنسا ، بالداى شعبان :

وكذلك استنجد « الملك الشمس » (Le Roi-Soleil) ، أى لويس الرابع عشر ، ملك فرنسا ، برئيس دولة الجزائريين : الداى شعبان ، فى آخر سنة 1689 ، ضد كل من أنكلترا وهولاندا مجتمعتين ، فطلب منه أن يعلن حربا على كل من الدولتين اللتين كانتا تهددان فرنسا .

ويقول غالبير :

« وفى تلك الظروف المضطربة ، التى ساد فيها الهرج فى أوروبا ، بحثت فرنسا عن سند لها فى الجزائر ، وطلبت من الداى شعبان أن يشن حربا على هولاندا وأنكلترا » . (30)

---

(28) Marcel Egretaud : Réalité de la Nation algérienne, p. 41-42.
(29) Garrot : ibid, p. 388.
(30) L. Galibert : ibid, p. 233.

ولكن يبدو أن جواب الداى شعبان عن هذا الاستنجاد الأخير من فرنسا فى المجال العسكرى كان : « فاقوا ! » (31)

نقف هنا بخصوص مساعدة الجزائر لفرنسا عسكريا ، وسنعود الى هذه المساعدة فى المجال الاقتصادى والمالى ، فيما بعد، بل وحتى العسكرى أيضا فضلا عن الدبلوماسى .

النوايا العدوانية الفرنسية

ضد الجزائر منذ القرن الثالث عشر (م) :

رغم كل هذه المساعى الفرنسية المتتابعة الملحة لدى الجزائر ، طلبا لمساعدتها ضد التفتت والتمزق حينا ، وضد المجاعة والمسغبة والمتربة حينا آخر ، كما سنرى ، فلم تتورع فرنسا أبدا عن الكيد للجزائر ؛ ولم تتحرج إطلاقا من إضمار نوايا عدوانية ، وحبك مناورات ، وتدبير مؤامرات ، بل وقيام بغارات تخريبية ضدها !

ولنبدأ بالنوايا :

النوايا : كانت قديمة جدا ، ومبكرة ، إذ لم تنتظر القرن الرابع عشر (الميلادى) لتبدأ ، خلافا لما يقوله المؤرخ الألمانى سميونوف ، الذى كتب سنة 1937 :

« كانت فرنسا تحاول منذ القرن الرابع عشر غزو الجزائر ، حيث أقامت متاجر ومراكز لصيد المرجان منذ القرن الخامس عشر ، وحيث كان فيما بعد آلاف من الأسرى الفرنسيين يئنون » (32) ، نقول : لم تنتظر فرنسا حتى القرن الرابع عشر

(31) تعبير جزائرى معناه : كفى ! او على الأصح : افاقوا ، اى استيقظوا (فعل ماض) ... بمعنى : « استيقظنا ! لقد أفقنا ، وفهمنا ، وادركنا ، وانتبهنا ! لقد استيقظنا ! »

(32) Dr Juri Semjonow : Glanz und Elend des franzoesischen Kolonialreiches, p. 169.

لتفكر فى غزو الجزائر ، خلافا لما كتبه هـذا المؤرخ الألمانى ، بل بدأت تفكر فى ذلك ، وشرعت تعمل لتحقيقه ، منذ الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (الميلادى) ، حيث قام ملكها لويس التاسع (أو القديس لويس Saint-Louis) بصليبية على تونس سنة 1270 م ، حيث مات بالوباء ، بعد عملية صليبية سابقة كان قد قام بها إلى المنصورة فى مصر ، حيث أسر ، ولم يطلق سراحه إلا بفدية باهضة .

فلقد كان لويس التاسع هذا ، إذن ، يفكر فى غزو واحتلال بلدان المغرب ــ ومنها الجزائر ، التى هى قلبها ــ ، منذ ما قبل 1270 م ، وتقول كثير من المراجع إنه كان يقصد الجزائر بالذات !

ومما يؤكد هذا ، ما ينسبه ، ولو فى أسلوب خيالى ، مؤلف فرنسى إلى شارل العاشر ، الذى شن علينا حملة الاحتلال سنة 1830 ، من أنه أراد أن يحقق حلما راود جده لويس التاسع ، الذى مات دون إنجازه .

وقد أورد هذا المؤلف ، واسمه مارتين راجى Martin-Raget ، على صفحة الغلاف الخارجية لكتابه المنسوج نسجا خياليا (33) ، **والذى هو مفاضلة بين الأديان الثلاثة : اليهودى ، والنصرانى ، والإسلامى ، ويلح فيه « على تكامل الديانتين الأوليين ، وعلى تفوقهما على الإسلام من الوجهة الحضارية ، وتحالفهما ضده » ، ــ أورد ، تحت العنوان مباشرة ، هذه الفقرة من كتاب لمؤلف فرنسى آخر ، اسمه بوشى ، عنوانه : « تاريخ تكون الأمة الفرنسية » وهى :**

« هدف نشاطها كان دوما خدمة المسيحية تحت صورتها الدينية المحضة ؛ ومبدأ نشاطها هو أيضا المسيحية ؛ ولكن فى

(33) Martin-Raget : L'Algérie Conquise : les religions juive, chrétienne et musulmane comparées entre elles au point de vue civilisateur. (Paris, Victor Sarlit Editeur).

استنتاجات سياسية واجتماعية » :

(« Son but d'activité (de la France) a été le Christianisme sous sa forme purement religieuse ; son principe d'activité est encore le Christianisme, mais dans ses conclusions politiques et sociales ») (34).

وفى الصفحة الأولى من هذا الكتاب ، بعد المقدمة ، ينسب مارتين راجى هذا ، فى أسلوب خيالى ، إلى ملك فرنسا شارل العاشر ، منفذ العدوان الذى كان مبيتا ، وكان يفكر فيه الفرنسيون منذ القرن الثالث عشر ضدنا ، كما رأينا ، أنه سمع فى حلم يقظة ، وهو واقف فى الكنيسة ، مناديا يناديه من السماء قائلا :

« إيه ، يا شارل ، إن لك دورا عليك أن تؤديه فى هذه الأرض لنصرة المسيحية ، واستحقاق مكانك قرب العرش السماوى : وهو أن تواصل العمل الذى كان قد بدأه سلفك لويس القديس (لويس التاسع) فى افريقيا » (35) ، بغزوه مصر ثم تونس ، كمنطلق نحو الجزائر ، والمغرب ، وافريقيا كلها ، ربما ، ثم إعادة الكرة ، فيما بعد ، على المشرق ، نحو بيت المقدس ...

ومن هنا نجد التعبير الآتى عن هذه النقطة للمؤرخ الفرنسى آجرون أوفق وأقرب الى الحقيقة ، إذ لم يحدد تاريخ بدء التفكير الفرنسى فى غزو الجزائر بالقرن الرابع عشر ، إذ يقول :

« إن الفكرة التى أثيرت **دوما طيلة القرون العديدة** والرامية إلى غزو الجزائر قد تجددت سنة 1827 » . (36) و (37)

---

(34) J.-B. Buchet : Histoire de la formation de la nationalité française.
(35) Martin-Raget : ibid, p. 1.
(36) Charles-Robert Ageron : Histoire de l'Algérie contemporaine, p. 6 : (« L'idée souvent émise *au cours des siècles* d'une intervention française en Algérie se trouva relancée en 1827 »).
(37) انظر الشكل رقم 84 مكرر .

وهو نفس ما يقوله مؤرخ فرنسى آخر ، أكثر « اختصاصا » من آجرون ، وأكبر سلطة ، ومرجعية ، إذ أنه أستاذ تاريخ استدمار شمال افريقيا بجامعة السربون ، ألا وهو أوغستين برنار ، اذ يقول ، فى كتابه « الجزائر » ، ما يلى :

« **ان احتلال الجزائر هو ثمرة ثلاثة قرون** من جهود متواصلة باستمرارية جديرة بالتقدير » . (38)

ونحن إذ نأخذ بالاعتبار مرجعية أستاذ تاريخ الاستدمار ، ونثق بمصداقيته ، نفضل مع ذلك صيغة آجرون ، الذى لم يحدد تاريخ انطلاق هذه النوايا بثلاثة قرون ، وإنما استعمل كلمتى « **قرون عديدة** » ، **وهى الأصح** ، إذ سبق لنا أن رأينا **ملك فرنسا لويس التاسع ، أو القديس لويس ، قد ابتدأ لا على مستوى النوايا فقط ، بل شرع فى العمل لتحقيقها منذ 1270 م ، أى بما يقرب من ستة قرون قبل 1830 !**

ولنستعرض الآن أهم تلك « النوايا » بإيجاز :

(1) **بعد مشروع لويس التاسع 1270 م :**

(2) **نجد شارل الثامن** (1483 ـ 1498 م) ، ابن لويس الحادى عشر ، يفكر فى غزو العثمانيين وبلدان المغرب أيضا ، ويقول غارو إنه « كان يريد تخريب الدولة العثمانية سنة 1495 م ، وطرد العثمانيين من اسطنبول ، وتقلد التاج الأمبريالى فى كنيسة أيا صوفيا » . (39)

ونفس الشيء ، تقريبا ، يقوله حتى صاحب قاموس الأعلام ، روبير ، إذ يكتب عن شارل الثامن هذا وخلفه مباشرة :

---

(38) Augustin Bernard, professeur de l'Histoire de colonisation de l'Afrique du Nord en Sorbonne : L'Algérie, p. 167.
(39) Garrot : ibid, p. 388.

nobles d'origine guerrière : les *djouâd* et les *douâouida* (1) et pour arbitres leurs marabouts. La réputation d' « Alger la guerrière » n'en restait pas moins considérable. Pour neutraliser ses corsaires sept états payaient un tribut régulier au dey, huit états (dont l'Angleterre) lui offraient des présents en espèces ou en nature. L'idée souvent émise au cours des siècles d'une intervention française à Alger se trouva relancée en 1827 moins par la décadence de l'État algérien que pour dénouer un conflit diplomatique embarrassant.



III. — L'expédition d'Alger

Cette expédition ne se rattache pas à la politique coloniale de la Restauration : elle fut à la fois un expédient improvisé et un geste de politique intérieure, accomplis par un gouvernement en difficultés qui recherchait une opération de prestige.

Une histoire embrouillée de créances entre la France, le dey et deux négociants juifs d'Alger, dont la liquidation traînait depuis 1798, avait abouti en avril 1827 à une rupture diplomatique lorsque le dey Hûssein eût frappé le consul de France et refusé toute excuse à cet affairiste douteux. La France réagit en soumettant Alger à un blocus maritime qui fut maintenu pendant trois ans ; le dey riposta par la destruction des comptoirs français de Bône et de La Calle et demanda à son suzerain l'envoi de troupes turques. Mais le grand vizir ne dépêcha qu'un diplomate, Taher Pacha. Après la canonnade d'un vaisseau parlementaire français en août 1829, le gouvernement de Polignac fut tenté par un projet de conquête du Maghreb qu'aurait menée le pacha d'Egypte Mehmet 'Ali. Mais l'affaire ayant échoué du fait du Sultan et de l'Angleterre, le gouvernement français se résolut sans enthousiasme à « changer de plan » : fin janvier 1830 fut décidée une intervention militaire. Comme l'avait écrit, dès 1827, le ministre de la Guerre « elle ferait une utile diversion à la fermentation politique de l'intérieur » et permettrait « de demander ensuite des députés à la France, les clés d'Alger à la main ».

Le 14 juin, une armée de 37 000 hommes débarquait dans la baie de Sidi-Ferruch. Le 19, les troupes turques renforcées de

(1) Le nom de *djouâd* désigne l'ensemble des nobles d'origine militaire, celui de *douâouida* une noblesse supérieure prétendûment issue de la tribu de Qoraich. Les *djouâd* se désignaient encore sous le nom de *Mahâll* (les *Beni Mahâll* : descendants des colonnes expéditionnaires (de la conquête arabe)).

الشكل رقم : (84) مكرر

contingents kabyles et arabes (1) passaient à l'offensive, mais défaites se repliaient. Dix jours plus tard, l'armée française attaquait le fort l'Empereur qui couvrait Alger. La prise du fort décida du sort de la ville. Le 5 juillet, le dey apposait son sceau sur la convention qui livrait Alger et la Qaçba. Le général français garantissait aux « habitants de toutes les classes » le respect de leur liberté, de leur religion, de leurs propriétés, de leur commerce, de leurs femmes. La prise d'Alger n'eut qu'un faible retentissement en France — en dehors des milieux d'affaires marseillais — mais fut largement commentée à l'étranger.

Avant comme après le succès de l'expédition, le gouvernement Polignac ne songeait guère à conserver Alger. Parmi d'autres hypothèses, il envisageait de reconduire la milice turque en Asie et « d'installer à la place du dey un prince maure ou arabe avec un gouvernement national ». Puis, conformément aux Instructions remises à de Bourmont, le 18 avril, Polignac se décida le 26 juin à traiter avec le gouvernement ottoman « de nos intérêts particuliers » : Alger et son territoire seraient remis au Sultan qui céderait à la France une portion de territoire algérien depuis le cap Bougaroun jusqu'à la frontière de la Régence de Tunis. Il s'agissait d'élargir la zone de nos *Concessions d'Afrique* et d'occuper Bône. D'autre part, une conférence internationale réglerait « les intérêts généraux de l'Europe » (suppression de la piraterie et des tributs). La prise d'Alger ne changea rien à ces plans : le 15 juillet, de Bourmont recevait l'ordre de « s'emparer de Bône où l'armateur génois Schiaffino chargeait pour le compte du dey ». Les 17 et 19 juillet, Polignac transmettait à notre ambassadeur à Constantinople des instructions nuancées pour entamer des négociations sur la base de la remise d'Alger contre « un léger accroissement du territoire dont la France était souveraine depuis plusieurs siècles », mais il ne devait rien signer, le gouvernement « se réservant d'accepter ou de rejeter le traité ». Notre ambassadeur en Russie fut chargé de communiquer ce projet de traité au tzar et d'obtenir de lui une pression diplomatique sur Constantinople.

Toutefois le général de Bourmont qui avait fait proclamer « aux Koulourlis, aux Arabes et aux habitants d'Alger », que l'armée française venait « chasser les Turcs, vos tyrans » et

(1) Les généraux français évaluèrent à 50 000 h. les troupes qu'ils eurent à combattre ; selon Si Hamdân ben 'Othmân que le dey appela auprès de lui dès après le débarquement, il n'y aurait eu que « 30 000 combattants ». (Les troupes régulières atteignaient environ 15 000 hommes.)

تابع للشكل رقم : (84) مكرر

(3) **لويس الثانى عشر** (1498 ـ 1515 م) : « أن فكرة حرب صليبية **واسعة** ضد العثمانيين لم تكن غائبة عن مشاريعهما » (40)

ومن الواضح أن هذه « الصليبية الواسعة » لم تكن لتقتصر على الدولة العثمانية بالمعنى الضيق ، بل كانت تشمل فى ذهنهما العالم الإسلامى كله ، وبالدرجة الأولى ، إلى جانب بيت المقدس، بلدان المغرب ، ومنها الجزائر ، التى هى الوسط والقلب ، فى سياق وبروح الصليبية التى كان بدأها قبلهما ملك آخر ، هو لويس التاسع ، وهذا ما يشير إليه ، بدون شك ، المؤرخ آجرون إذ قال : « **دوما وطيلة قرون عديدة** » .

(4) **ثم شارل التاسع ، الذى** أضمر نية غزو الجزائر وتعيين أخيه دوق دانجو le duc d'Anjou ، (الذى خلفه على العرش وأصبح فيما بعد هانرى الثالث) ملكا على الجزائر (*roi* d'Alger) !

يقــول غـــــارو :

« وبعد كارثة ليبانت (Lépante) ، المعركة البحرية التى هزم فيها الأسطول العثمانى يوم 9 أكتوبر 1571 م ، وألحقت أضرارا كبيرة بالأسطول الجزائرى (« وإن أدى حقا دورا مشرفا ») ، بدا لملك فرنسا شارل التاسع أن الفرصة مواتية ، نظرا لضعف الأسطول الجزائرى (المؤقت) ، فراوده الأمل فى شهر مايو 1572 فى أن يتوج أخاه دوق دانجو ملكا على الجزائر .

« ولكن مدة ملك شارل التاسع كانت قصيرة جدا ومضطربة بسبب الحروب الدينية (بين الكاثوليك والبروتستانت) ، بحيث لم يسمح له كل ذلك بتحقيق هذا المشروع الذى هو من الأهمية بمكان : مملكة فرنسية على الشاطىء البربروسى (المغاربى) » . (41)

(40) Robert : Dictionnaire des noms propres د au mot : France.
(41) Garrot : ibid, p. 434.

وصدق المثل العربى القائل : « اتق شر من أحسنت إليه » ! فكل من شارل التاسع هذا وأخيه دوق دانجو (هانرى الثالث) هما ابنا هانرى الثاني ، الذى كان قد استنجد بصالح رايس فأنجده سنة 1553 ، وحفيدا فرنسوة الأول ، الذى كان قد استغاث بخير الدين فأغاثه سنة 1543 !

(5) هانرى الرابع ، الذى حاول سنة 1604 ، بأسطول ضخم ، على رأسه أحد نبلاء قصره ، الفارس دى بريف (de Brèves)، مهددا متوعدا ، « ولولا حرصه ، من جهة أخرى ، على التحالف مع الجزائر ، رغم كل شيء ، ضد اسبانيا ... بإثارة بقايا الأندلسيين ضدها » ، لفعل ما فعل فى الجزائر ... (42)

(6) فى عهد لويس الخامس عشر : تمت دراسة كيفية تنفيذ خطة وضعها لوفور Lefort سنة 1763 تحت عنوان : **« مذكرة لتخريب الجزائر »** (« Mémoire pour détruire Alger »)، (43).

(7) فى عهد لويس السادس عشر : تمت دراسة خطة لغزو الجزائر، أعدها القنصل الفرنسى العام بالجزائر دو كيرسى De Kercy سنة 1782 . (44)و(45) .

(8) فى عهد لويس السادس عشر : تم مرة أخرى : إعداد خطة سنة 1785 لغزو الجزائر . (46)

(9) فى عهد نابليون بونابارت : دراسة خطة لغزو الجزائر سنة 1802 وضعها القنصل الفرنسى العام سانت أندرى Jean Bon Saint-André (47).

---

(42) De Grammont : ibid, p. VIII, l'Introduction.
(43) E. Plantet : Les consuls de France à Alger avant la conquête (1579-1830), p. 34.
(44) Semjonow : ibid, p. 172.
(45) انظر الشكل رقم 85 .
(46) Dupuy : ibid, p. 56.
(47) Plantet : ibid, p. 34.

und " Preipen " !

erweiterte diese Frage sogar zu internationalen Ausmaßen, indem er sich vornahm, auch England, Österreich und Rußland hinzuzuziehen. Natürlich lehnten sich die Engländer gegen dieses Vorhaben auf: es entsprach nicht ihren Gewohnheiten, Frankreich bei der Lösung seiner imperialen Probleme zu helfen. Zar Alexander aber antwortete zustimmend, und wenn er auch nicht beabsichtigte, seine Soldaten nach Algerien zu schicken, so hatte er doch nichts dagegen, wenn Napoleon dies tat. Im Jahre 1807 war der türkische Sultan auf die bevorstehende französische Expedition nach Algerien gefaßt — nur die neuerlichen europäischen Wirren retteten den Dei.

Aber es blieb eine Spur der französischen Vorbereitungen zurück. Der Genie-Offizier Boutin wurde 1808 mit geheimer Weisung nach Algerien abkommandiert. Wie bezeichnend für Napoleon klingt ein Satz aus seiner Instruktion: „Bei der ersten Gelegenheit sofort Notizen machen, um mir nachher nicht aus dem Gedächtnis etwas vorzufabeln." Boutin streifte einen ganzen Monat lang verkleidet um Algier herum und machte nicht nur Notizen, sondern zeichnete auch Kartenskizzen. Auf der Rückreise fiel sein Schiff in die Hände der Engländer. Er hatte gerade noch Zeit, die Skizzen zu vernichten; die Notizen jedoch bewahrte er auf — selbst in der Gefangenschaft auf der Insel Malta. Er entfloh von dort, als Matrose verkleidet, nach Konstantinopel, von wo aus er sich nach Paris durchhalf; seine Notizen brachte er mit. In seinem Bericht erläuterte er klar und deutlich, wie der Dei in kürzester Frist mit dem Mindestmaß an Verlusten aus seiner Hauptstadt vertrieben werden könne. Vor allem — schrieb er — darf man nicht versuchen, sie vom Meere aus anzugreifen. Man muß auf Kap Sidi-Ferruch, westlich von Algier, landen und von da aus von hinten auf die Forts marschieren, die währenddessen, so viel sie wollen, ihre Geschosse ins Meer verpuffen können.

Den gleichen Gedanken hatte schon unter Ludwig XVI., sechsundzwanzig Jahre vor Boutin, der französische Konsul in Algier, Kercy, geäußert. Aber Boutin hatte den Gedanken zu Ende gedacht und in militärisch-technischer Beziehung ausgearbeitet. Nach weiteren zweiundzwanzig Jahren wurde sein Plan aufs genaueste verwirklicht. Die Revolution übergab das Vermächtnis des alten Frankreich der Regierung der Restauration. Staatsformen sterben ab, nationale Aufgaben aber dauern.

١٧٢

الشكل رقم : (85)

(10) **فى عهد نابليون مرة أخرى :** خطة بوتان : فى الوقت الذى كان يتراسل فيه نابليون مع داى الجزائر ، ويعبر له عن رغبته فى التعاون والمودة ... كان يعد خطة ، هو أيضا ، لغزو الجزائر ، وأعطاها صبغة سرية جدا تتمثل فى خطوتين :

1) الأولى هـى الحصول على موافقة قيصر روسيا ، ألكسندر الأول ، فى معاهدة تيلسيت le Traité de Tilsitt الفرنسية الروسية بتاريخ 7 يوليو 1807 :

تحت عنوان :

Traité d'Alliance offensive et défensive conclu à Tilsitt le 07 juillet 1807 entre la France et la Russie, signé par Louis Bonaparte, Empereur de France, et Alexandre 1er, Empereur de toutes les Russies (48).

ويتساءل المؤرخ الفرنسى دوكليرك فى نفس السياق :

« هل هناك مادة أخرى سرية جدا (articulus secretissimus) ، كما قيل مرارا ، وكتبه كثير مـن الكتاب الفرنسيين والأجانب (أى غيرهم) ، أم هل هى فقط المادة الثامنة والخاصة بإطلاق اليد ضـد الدولة العثمانية وحدها ، ولم تلحـق بها مـواد سريـة أخـرى ؟ » (49)

ويجيبه المؤرخ الأمريكى سبنسر ، مؤكدا :

« نعم ، هناك تلك المادة السرية جـدا ، وهى الخامسة ، فى المعاهدة » . (50)

وكتاب سبنسر صدر سنة 1976 ، والمؤرخ متخصص فى التاريخ الحديث ، فلا شك إذن أنه اطلع على النص الكامل للمعاهدة .

(48) De Clercq : ibid, t. 2, p. 214.
(49) De Clercq : ibid, t. 2, p. 214.
(50) Spencer : ibid, p. 183.

ويذهب دو غرامون الى عدم قصر هذه « المادة السرية جدا » من المعاهدة على الجزائر ، بل يقول إنها تشمل بلدان المغرب كلها :

« وقد قرر الأمبراطور نابليون أن يضع حدا نهائيا لمشاكله مع بلدان المغرب ، وأن يلحق بفرنسا شمال افريقيا كله .

« وقد كان هذا الإلحاق موضوع مادة من مواد المعاهدة الفرنسية الروسية » . (51)

أما المؤرخ الألماني سميونوف ، فيضيف :

« بل وقد وسع بونابارت من هذا « الحوار » (أى النزاع) بين الجزائر وفرنسا ، فأراد أن يجعله دوليا ، بأن يشرك فى قراره غزو الجزائر كلا من أنكلترا ، والنمسا ، وروسيا .

« ولكن أنكلترا رفضت ، إذ ليس من عادتها أن تساعد فرنسا على حل مشاكلها الأمبريالية . أما القيصر الكسندر الأول (روسيا) فقد وافق وإن لم ينو إرسال جنوده إلى الجزائر .

« ... ولكن الاضطرابات الطارئة فى أوروبا حالت دون تحقيق مشروع نابليون » . (52)

2) والخطوة الثانية التى اتخذها نابليون بونابارت فى هذا الاتجاه ، لتحقيق مشروعه في غزو الجزائر ، مزدوجة ، تتمثل من جهة فى :

أ) « كتابة رسالة سرية يوم 18 أبريل 1808 إلى وزير بحريته ، ديكريس (Decrès) ، يقول له فيها ، فيما يقول :

(51) De Grammont : ibid, p. 371.
(52) Semjonow : ibid, p. 172.

« فكروا فى إعداد غــزوة إلى الجزائر ، وذلك عــلى كـــلا المستويين : البحرى والبرى » . (53)

ب) « ومن جهة أخرى أرسل الرائد بوتان ، رئيس فرقــة الهندسة العسكرية (Vincent - Ives Boutin) إلى الجزائر سريا بتعليمات صارمة :

« إياك أن تحكى قصصا عند العودة ، وتطلق العنان لخيالك ! بل عليك أن تسجل أدنى جزئية فى حينها ، وأن تقدم تقريرا كتــابيا » .

ويضيف سميونوف :

« وفعلا ، فقد أقــام فى الجزائر شهرا كاملا ، وهــو متقنع بحيث لا يتعرف عليه ، ولم يكتف عند العودة بالتقرير الكتابى ، بل دعمه بخرائط ، وأوصى ، بإلحاح ، ألا تجابه العاصمة من البحر ، كالعادة ، بل من الخلفية الأرضية ، غربها ، من **سيدى فرج** ، ومن هناك تقتحم القلاع ؛ وعلى أبراج الجزائر وحصونها أن تقذف بما شاءت على البحر ، فى الفراغ ، عبثا وسدى ».(54)

ويدقق جوليان أكثر فيقول :

« قال بونابارت لبوتان :

« أريد تفاصيل دقيقة بحيث لا تشتمل على : « لكن ، إذا ، **لأن** » الخ :

« des matériaux tels qu'il n'y ait pas de mais, de si, de car ».

« وأقام بوتان فى الجزائر من 24 مايو إلى 17 يوليو ، 1808 ، متقنعا ، حيث وفر له القنصل العام دوبوة تانفيل Dubois-Thainville

(53) Bardon : Histoire Nationale de l'Algérie, p. 315.
(54) Semjonow : ibid, p. 172.

كل التسهيلات والمساعدات ، ورجع بتقرير — حسب المرغوب — وكان الأساس لحملة غزو الجزائر سنة 1830 » . (55) و (56)

ولئن لم يتمكن بونابارت من تحقيق مشروعه الغادر ، نظرا للظروف فى أوروبا إذ ذاك ، وفى فرنسا نفسها ، فقد تحقق فيما بعد ، كما نعلم ، بخطة مدبرة ونية مبيتة نفذت ، باستعمال التصميم الذى وضعه بوتان بمباغتة العاصمة من الغرب ، أى من الخلف ، حيث إن جميع الغارات السابقة ، من فرنسية وغيرها، فشلت لأنها كانت تضرب فى الوجه ، من البحر ، فكانت مدفعيتنا تدحرها من أعلى القلاع المرتفعة .

(11) **ففى عهد شارل العاشر** ، الذى أشرنا إلى حلمه فى اليقظة فى بدء هذا الفصل ، كانت هناك نية مبيتة وخطة مدبرة بتنفيذ محكم قام على ثلاثة عناصر متوازية :

1) عزم مستمر ، 2) وإعداد متواصل ، وقد ذكرنا أمثلة على ذلك متسلسلة تاريخيا .

3) واستفزاز الداى حسين :

لقد أحكمت الخطة : ففرنسا تطورت فى هذه المدة الطويلة : ثلاثة قرون متواصلة ، تطورا كبيرا ، علميا ، وتقنيا ، وصناعيا، وعسكريا ... والدايات عندنا ظلوا مكتفين بشجاعتهم ، وبطولة الجند ، وروح التضحية والفداء لدى الشعب ، وظنوا أن ذلك سيكفى فى المستقبل أيضا !

وبعد أن تأكدت فرنسا من التفاوت الحضارى والتقنى ، ورجح لديها احتمال انتصارها ، أخذت تبحث عن سبب إعلان

---

(55) Ch.-A. Julien : Histoire de l'Algérie contemporaine, p. 23.

(56) انظر الشكل رقم 86 .

Dans la politique générale, les relations avec le dey n'eurent qu'un caractère épisodique. [illegible] chef de bataillon du génie, Vincent-Yves Boutin, prescrit à la demande de l'empereur, eut une importance exceptionnelle, c'est qu'il fut la source principale où puisa la commission chargée de préparer l'expédition d'Alger, en 1830. Boutin séjourna à Alger du 24 mai au 17 juillet 1808 où Dubois-Thainville favorisa par tous les moyens, sa mission d'espionnage qui présentait de réels dangers. Le consul redouta, par moments, les conséquences d'une audace dont le dey s'irritait. L'enquête fut des plus fructueuses. L'officier repartit avec une ample moisson de notes et de croquis d'où il tira un rapport dont la richesse et l'exactitude dépassent l'entendement. L'empereur, qui voulait qu'on lui fournisse des renseignements sûrs concernant les possibilités d'attaque d'Alger et de Tunis, avec « des matériaux tels qu'il n'y ait pas de mais, de si, de car », trouva dans la *Reconnaissance* de Boutin toutes les précisions qu'il exigeait. L'officier portait son choix sur l'une des deux baies de Sidi Ferruch, à 27 km à l'Ouest d'Alger, pour un débarquement des troupes, car « on n'aurait ni batteries à contrebattre, ni probablement d'ennemis en présence, ni de hauteurs à gravir ». Il décrivait les fortifications et indiquait la tactique à adopter pour les réduire, en recommandant d'attaquer en premier lieu « le château de l'Empereur » d'où l'on pourrait « battre la ville ». Le corps expéditionnaire comprendrait 25 à 40 000 hommes, surtout fantassins, appuyés par « une bonne artillerie de campagne et de la plus légère » et dotés d'un matériel de siège. Bien menée, la campagne aboutirait en un mois. Le respect des mosquées, des femmes et des maisons ainsi que le paiement strict des acquisitions seraient de rigueur. La pénétration dans l'intérieur devrait être pacifique. Elle irait de soi en se « faisant aimer sur le littoral » et en évitant d'user de violence. Napoléon témoigna son estime à Boutin à qui il confia, en 1811, une nouvelle mission de reconnaissance en Égypte et en Syrie mais, à aucun moment, il n'envisagea de tirer parti du rapport pour organiser une expédition que la destruction de la flotte française à Trafalgar rendit, au surplus, impossible. Durant les dernières années de son règne, il cessa de s'intéresser aux Barbaresques qui comptaient peu au prix de l'Angleterre et de ses ennemis continentaux.

Le consul Deval et la liquidation des créances

La Restauration ramena Talleyrand aux Relations extérieures (20 mars-12 juin 1815) et le plaça même à la tête du gouvernement (9 juillet-26 septembre 1815). Jacob Bacri, qui avait pris la tête de la maison d'Alger, put avoir, à nouveau, recours à ses bons offices. C'est durant la courte période où le prince de Bénévent fut président du Conseil qu'il désigna comme consul général à Alger, Pierre Deval, officiellement chargé de donner tous apaisements au dey notamment pour le règlement des créances Bacri. C'était reprendre la politique équivoque qui ne jouait qu'au profit des juifs et, subsidiairement, de leurs protecteurs français. Qu'un conflit opposât les Bacri au dey, en la matière, il n'était pas douteux que la France soutiendrait les intérêts des hommes d'affaires contre le souverain. En ce sens, le consul Deval

حرب (« Casus belli ») ، فأوعزت إلى قنصلها العام فى الجزائر ، دوفـال Deval ، بأن يستفز الداى بطريقة مـا حتى يقـوم بتصرف تتخذه هى تعلة لإعلان الحرب على الجزائر . (57)

وكان ذلك مـن السهولة بمكان عـلى دوفال ، الذى لم تجب حكومته عـلى رسائل الداى حسين التى يطالبها فيهـا بتسديد الديون التى عليها للجزائر ... فأمرته بأن يجيب الداى شفويا بأن طلبه تستحيل الاستجابة لـه ، « رغم الاتفاقيات المعقودة بهذا الشأن بين الداى حسين ولويس الثامن عشر يوم 28 أكتوبر 1819 ، وصادق عليها مجلس النواب الفرنسى يـوم 24 يوليـو 1820 » . (58)

وكان الأمر كذلك : ففى يوم عيد الفطر 1242 هـ (30 أبريل 1827) جاء دوفال (59) و (60) ، مع غيره من القناصل الأجانب ، لتهنئة الداى حسين . وكان سؤال الداى ، وكان الجواب المذكور، وكانت « الضربة بالمروحة (le coup d'éventail) » الشهـيرة (61) ... على الأقل حسب التقارير الفرنسية الرسمية ، كما يقول غالبير : « Tel est le récit *officiel* de notre chancellerie » (62) !

وكأن غالبير يستنكر هذا التصرف الفرنسى **الرسمى ، فنراه** يكتب فى نفس الصفحة :

---

(57) Garrot : ibid, p. 646.

(58) De Grammont : ibid, p. 389.

(59) انظر الشكل رقم : 87 .

(60) انظر الشكل رقم : 88 .

(61) انظر الشكل رقم : 89 .

(62) Galibert : ibid, p. 251.

Alger, 30 avril 1827.

MONSEIGNEUR[1],

Je m'empresse de rendre compte à Votre Excellence d'une scène déplorable qui eut lieu hier entre le Dey d'Alger et moi.

Le privilège accordé aux Consuls de France en cette ville de complimenter en audience particulière le Dey la veille des fêtes mahométanes me fit demander au château l'heure où Son Altesse voulait me recevoir. Le Dey me fit dire qu'il me recevrait à une heure après midi, mais qu'il voulait voir la dernière dépêche que la goélette du Roi destinée à la station de pêche m'avait apportée.

Je fis répondre aussitôt par le drogman turc du Consulat que je n'avais reçu aucune lettre de Votre Excellence par cette occasion, mais une seule de S. E. le ministre de la Marine et des Colonies qui avait rapport à la station de la pêche. Je ne fus pourtant pas peu surpris de la prétention du Dey de connaître par lui-même les dépêches que Votre Excellence me fait l'honneur de m'adresser. Je ne pouvais concevoir quel en était le but.

Je me rendis néanmoins au château à l'heure indiquée; introduit à l'audience, le Dey me demanda s'il était vrai que l'Angleterre eût déclaré la guerre à la France. Je lui dis que ce n'était qu'un faux bruit provenant des troubles de Portugal dans lesquels le gouvernement du Roi n'avait pas voulu s'immiscer.

— Ainsi, donc, dit le Dey, le gouvernement de France accorde à l'Angleterre tout ce qu'elle veut, et à moi rien du tout ?

— Il me semble, Seigneur, que le gouvernement de Sa Majesté vous a toujours accordé tout ce qu'elle a pu.

— Pourquoi votre ministre n'a-t-il pas répondu à la lettre que je lui ai écrite ?

— J'ai eu l'honneur de vous en porter la réponse aussitôt qu'elle m'est parvenue.

— Pourquoi ne m'a-t-il pas répondu directement ? Suis-je un manant, un homme de boue, un va nu-pieds ? Mais c'est vous qui êtes cause que je n'ai point reçu de lettre de votre ministre. C'est vous qui lui avez insinué de ne pas m'écrire. Vous êtes un méchant, un infidèle, un idolâtre.

Se levant alors de son siège, il me porte avec le manche de son chasse-mouches trois coups violents sur le corps et me dit de me retirer.

Je repartis vivement.

— Je vous prie, Seigneur, d'être bien convaincu que je crains Dieu et non les hommes, et je puis affirmer à Votre Altesse que j'ai transmis fidèlement à Son Ex. le ministre de Sa Majesté la lettre de

[1] Son Ex. Monsieur le baron de Damas, ministre et secrétaire d'État des Affaires étrangères à Paris.

E. Plantet.

الشكل رقم : (87)

Votre Altesse sans aucune insinuation quelconque de ne point écrire à Votre Altesse. Son Excellence vous a répondu par mon entremise, suivant les formes usitées.

— Au reste, me dit-il, sachez que je n'entends nullement qu'il y ait des canons au fort de La Calle. Si les Français veulent y rester comme de simples négociants, à la bonne heure ; autrement, qu'ils s'en aillent. Je ne veux pas qu'il y ait un seul canon des infidèles sur le territoire d'Alger.

Je voulus répliquer, mais il m'ordonna de me retirer.

Au sortir de cette audience, je me rendis auprès du Kaznadji, premier ministre, dans la grande salle du château ; je lui fis le narré de cette scène violente et de l'injustice du procédé du Dey à mon égard. Le ministre me dit : « Il faut prévenir que les vitres ne se cassent, mais quand elles sont cassées, quel remède y a-t-il ? — Celui, lui dis-je, d'en remettre des neuves à la place... »

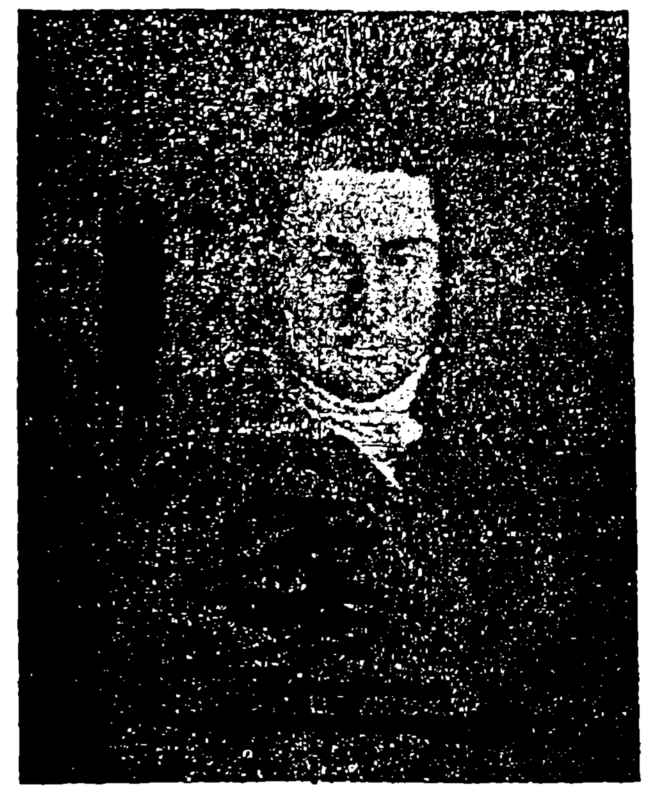
Votre Excellence jugera sans doute que pour le respect des convenances, il ne m'est pas permis de continuer pour le moment ma résidence à Alger. Si Votre Excellence ne veut pas donner à cette affaire la suite sévère et tout l'éclat qu'elle mérite, elle voudra bien m'accorder la permission de me retirer par congé et elle pourra charger M. Jobert, en qualité de député de la nation, de l'agence du Consulat général pendant mon absence...

Je suis avec un profond respect, etc.

Le Chev. Deval.

تابع للشكل رقم : (87)

وبوصول القنصل إلى باريز ؛ جهّزت دولة فرنسا أساطيلها . وبعثتها إلى الجزائر لنظر الأميرال « كوليت » فنازلها . يغاديها القتال ويراوحها . واستمرّ محاصراً لها ، نحو ثلاث سنين ، حتى لانت قوّته . ونفدت ذخائره ، وانقرض معظم جيشه . وتكسرّت أكثر مراكبه . وكانت خاتمة أمره بقتله . ذكر بعض المؤرخين : أنّ النفقة على هذه الحملة ؛ كانت أكثر من عشرين مليون فرنك وأما حكومة الجزائر ؛ فلم يلحقها كبير ضرر . ولما علم « حسين باشا » ، أن دولة فرنسا لاترفع يدها عن الجزائر



سبب النكبة : المسيو دوفال قنصل فرنسا في الجزائر

وأنها تراجع منازلتها لا محالة ؛ أخذ في تثقيف البلد . وتحصين حوزتها . ثم انتقل بأهله وحاشيته إلى القصبة .

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين وألف هجرية (١٢٤٥) . وتسع وعشرين وثمانمائة وألف ميلادية (١٨٢٩) ؛ بعثت دولة فرنسا معتمدها « دي لابر » إلى الجزائر ، يطلب



الشكل رقم (89)

« وكانت علاقات التفاهم سائـدة بـين فرنسا **والجمهورية الجزائرية** منـذ لويس الرابع عشر » . (63) . (وقـد سبق أن رأينا أنها كانت سائدة منذ فرانسوة الأول وابنه هانرى الثانى منذ النصف الأول من القرن السادس عشر !) .

ولم تكن « ضربة المروحة » هذه إلا تعلة إذن ، استفز الداى إليها بطريقة مدبرة مدروسة من الفرنسيين . وذلك أنه لو كان الأمر حقا يتصل بـ « الانتقام للشرف الفرنسى » لانتقموا له كم من مرة قبل ذلك ، كما رأينا عند الكلام عن هانرى الرابع ، مثلا ، وحتى فى عهد نابليون بونابارت . « إذ طرد الداى الحاج علي سنة 1810 قنصل فرنسا من الجزائر بالقوة . وأمر بالإلقاء به بعنف فى سفينة فرنسية كانت بمرسى الجزائر ، ولم يحتج بونابارت ، ولم يطالب برد الاعتبار ، أو شيء من ذلك ... لأنه كان مشغولا فى أوروبا » . (64) حدثت حكاية « المروحة » هذه يوم 30 أبريل 1827 ، كما رأينا .

وفى اليوم 16 من يونيو 1827 أعلنت فرنسا الحرب على الجزائر، فى غياب الأسطول الجزائرى ، الذى كان فى طريقه إلى اليونان لمساعدة الدولة العثمانية ، التى كانت تتوقع حربا من أوروبا المسيحية ... وقد كانت أوروبا كلها فى هيجان إذ ذاك ...

وفعلا ، فسرعان ما وقعت فرنسا ، وأنكلترا ، وروسيا فى لندن يوم 6 من يوليو 1827 « الحلف الثلاثى » : (la Triple Alliance) ضد العثمانيين .

وكانت معركة نافاران Navarin البحرية المشهورة ، التى شنتها الدول الثلاث المذكورة ، وتحطم فيها الأسطول العثمانى ،

---

(63) Galibert : ibid, p. 251.
(64) Cat : ibid, p. 333.

والجزء الأكبر من الأسطول الجزائرى ، الذى بقي وحده في الميدان أمام أساطيل روسيا ، وفرنسا ، وأنكلترا ، يوم 20 أكتوبر 1827 .

وقد ظل إعلان الحرب من فرنسا على الجزائر في شكل حصار بحرى لميناء الجزائر . وفى 8 أوت 1829 قررت حكومة بولينياك (Polignac) الحرب الفعلية . (65)

«وفى يوليو (1829) وصل مبعوث خاص من شارل العاشر ، ملك فرنسا ، للمفاوضات مع الداى حسين ، وكانت شروطه :

« 1) رد الاعتبار للشرف الفرنسى المهان ،

« 2) إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين ،

« 3) إنهاء فرض الإتاوة ،

« 4) إنهاء القرصنة .

« وقد رفضها الداى حسين وقال : « لدي بارود ومدافع » !

« ولكن : هل كانت تلك هى الأسباب الحقيقية للحرب ؟ إن الجواب يكمن فى كلمة رجل الدولة النمسوى الشهير ميتيرنيخ (Metternich) عن سؤال وجه إليه ، إذ قال :

« لا يلقى هكذا بمئات الملايين ، ولا يرسل هكذا مثل هذا الجيش العرمرم عبر البحر ، من أجل ضربة بمروحة » . (66)

وفى يوم 12 مارس 1830 وجه شارل العاشر ، ملك فرنسا ، رسالة إلى جميع الدول الأوروبية قائلا لها : « إن غزو الجزائر فى صالح المسيحية كلها » . (67)

(65) De Grammont : ibid, p. 389.
(66) Semjonow : ibid, p. 208.
(67) De Grammont : ibid, p. 397.

هــذا فيما يتصل بالنوايا . ولنأت الآن إلى مَحاولات تحقيق تلك النوايا ... وهى الغارات :

الغارات الفرنسية على الجزائر :

كما بدأت العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع فرنسا مبكرا، كذلك بــدأت الغارات العدوانية مبكرا ، إذ سرعان مــا تلتها وظلت موازية لها حتى ... الغارة الأخيرة ... سنة 1830 .

وإذا كان عدد الغارات الإسبانية يبلغ ــ أو يتجاوز قليلا ــ العشرة ؛ وكذلك البريطانية ؛ فإن الفرنسية أكثــر مــن هذا بكثير جدا ، بل بلا مقارنة إطلاقا ! فبقطع النظر عن مشاركة فرنسيين كثيرين في غارة شارلكان على الجزائر العاصمة سنــة 1541 ، أرسل ملوك فرنسا بغارات عديدة أهمها :

(1) **في عهد هانري الرابع :** غارة المركيز سافارى دى بريف le Marquis Savary de Brèves ، سنة 1604 ، ورد مدحورا .

وفي عهد ابنه لويس الثالث عشر عدة غارات أهمها :

(2) غــارة المغــامر الفلامانكى الهولانــدى سيمــون دانسر Simon Danser ، (الذى « أسلم » ، ثم عاد إلى النصرانية !) . قام بغارة على الجزائر العاصمة وشرشال ، سنــة 1610 ، وخرب بلــدة برشك (وتسمى الآن بنى حــواء ، وهى مسقط رأس العالمين ولدي الإمام ، صديقى ابن خلدون) . (68)

(3) غارة الأميرال مونتاغو Montagu سنة 1624 . (69)

وبعد الغدر الذى قام به سيمون دانسر هذا سنة 1610 (70) ، « أطلقت الجــزائر العنان لرياس بحريتها حتى 1634 ، وغنمت

(68) مجلة الأصالة، العدد 23، (1395 ــ 1975) فيما يخص تاريخ بلدة برشك.
(69) Reftelius : ibid, p. 667.
(70) إنية وأصالة لكاتب هذه السطور ، ص 291 .

ثمانين (80) سفينة فرنسية ، منها اثنتان وخمسون (52) من تلك التي تمخر عباب المحيطات ، بحمولاتها وأسر فيها 1331 شخص أسلم منهم 149 ، وكان إذ ذاك في سجون الجزائر أكثر من ثلاثة آلاف فرنسي » . (71)

(4) غارة الأميرال دى منتيس de Mantis سنة 1634 ، « التي فشلت بسبب الرياح المعاكسة ، بحيث ألقى الأميرال بأكثر من ستمائة بحار فرنسي في البحر ، (أي أنه لاذ بالفرار) ، وخرب الجزائريون إثرها المركز التجارى الفرنسى في القالة » . (72)

(5) وتبعت هذه الغارة حرب جزائرية فرنسية دامت من 1636 الى 1643 ، وقد رد الفرنسيون مدحورين . (73)

وفي عهد ابنه لويس الرابع عشر لم تشن علينا فرنسا أقل من عشر غارات (74) ، وهو الذى كان يسود أن يخلف شارلمان وشارلكان في التكلم باسم النصرانية كلها ، ولم تكفه أمته التي سماها : « الأمة المسيحية جدا » ! (« La Nation très-chrétienne »).

وهذه الغارات العشر امتدت من 1663 إلى 1688 ، أهمها :

(6) غارات الأميرال الدوق دو بوفور (75) (de Beaufort) ، ومنها تلك التي قام بها يوم 23 يوليو 1664 على مدينة جيجل ، على أساس خطة وضعها له المهندس دى كليرفيل de Clerville ، مترددا بين بجاية وجيجل ، ثم استقر رأيه على هذه الأخيرة (76) ، وجاء دو بوفور بستين بارجة من طولون وسبعة آلاف بحرى ، يوم 23 يوليو 1664 ، بمرافقة القائد فريتوة Fretoy . واحتل المدينة

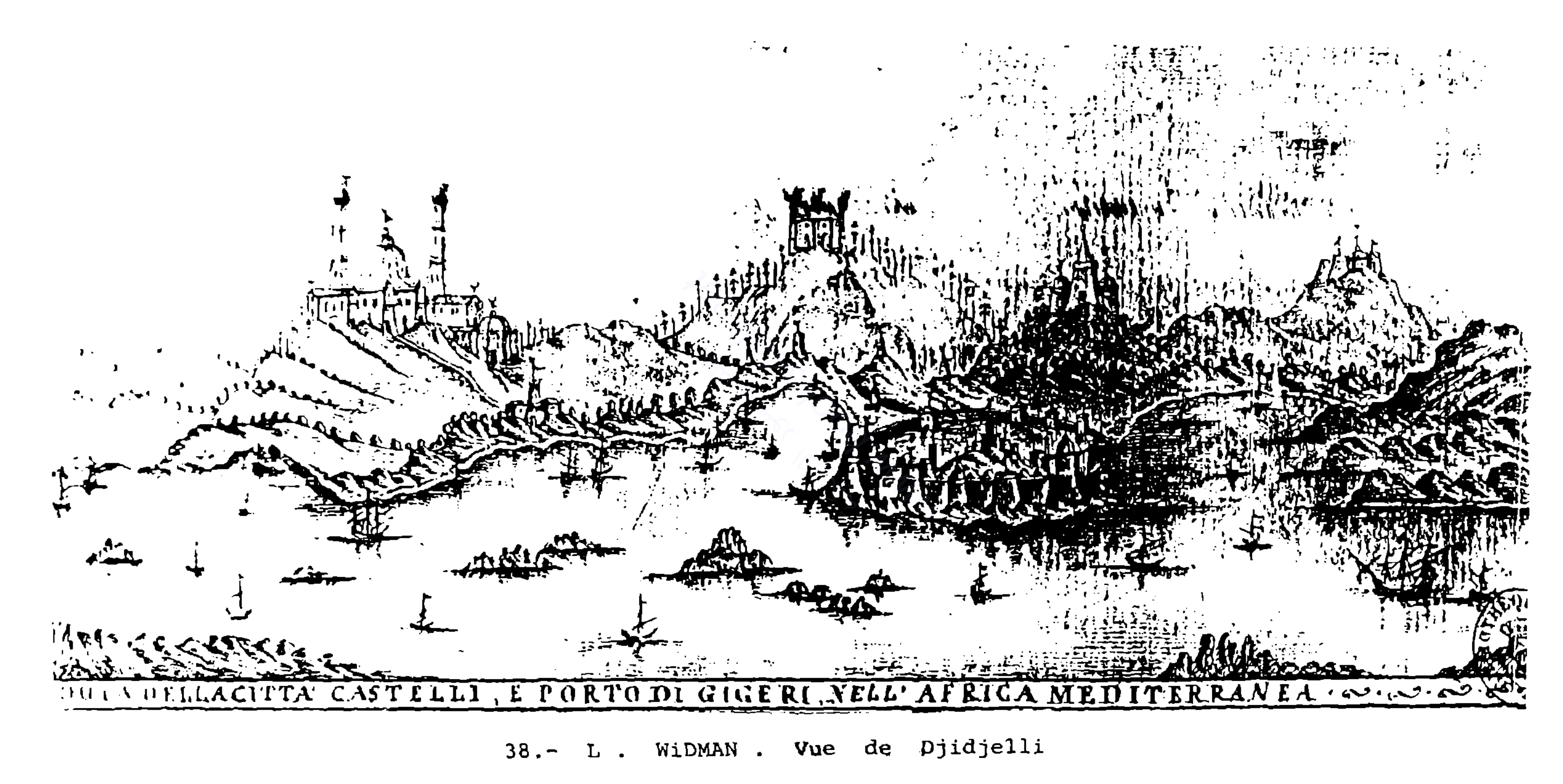
(71) Galibert : ibid, p. 222.
(72) Galibert : ibid, p. 222.
(73) Cat : ibid, p. 289.
(74) Ministère (français) de la Guerre : Aperçu p. 35.
(75) انظر الشكل رقم : 90 .
(76) انظر الشكل رقم : 91 .



le Duc de Beaufort

الدوق دي بوفور

الشكل رقم (90)



38.- L . WiDMAN . Vue de Djidjelli

الشكل رقم : (91)

فملا لأيــام معدودة ، « ثــم فــروا مهزومين . بخسارة كبيرة **تكبدوها** » . (77) ، **منها سبعمائة** مدفع برونزى ممتاز من أجود **صنع غنمها الجزائريون عنهم .**

(7) غارة الأميرال دوكين (78) l'Amiral Duquesne يوم 28 **أوت** 1682 مع المركيز دامفريفيل le Marquis d'Amfreville . (79) «وقد نكص الأميرال هاربا ناجيا بنفسه ، وعنقه فوق رأسه» (80)

(8) غارة أخرى للأميرال دوكين Duquesne في العام الموالى ، **وذلك** يــوم 28 يونيو 1683 ، « وخرب المدينة (بالقنبلة) (81) ، **واشترط** شروطا قاسية ، فضعف الداى محمد قليلا ، فأحيد عن **مكانه** وخلفه الحاج حسين (82) (ميزومورتو : لقب ألصقه به **الأوروبيون**) ، وقــاوم بشراسة ، فأقلع الأميرال دوكين لتقلب **الطقس** راجعا إلى فرنسا بدون نتيجة . وأثناء القنبلة ، التى **خربت** المدينة ، وضع الداى الجديد ، الحاج حسين ميزومورتو . **قنصل** فرنسا ، لوفاشى (83) ، فى فم مدفع ، وقذف بــه سفينة **دوكين** » . (84)

(9 ــ 10) غارتا المريشال دو تورفيل (de Tourville) يوم أول **أبريل** 1684 وسنة 1687 . (85)

---

(77) Reftelius : ibid, p. 84.

(78) انظر الشكل رقم : 92 .

(79) انظر الشكل رقم : 93 .

(80) Reftelius : ibid, t. 2, p. 667.

(81) انظر الشكل رقم : 94 .

(82) انظر الشكل رقم : 95 .

(83) انظر الشكل رقم : 96 .

(84) Reftelius : ibid, p. 669.

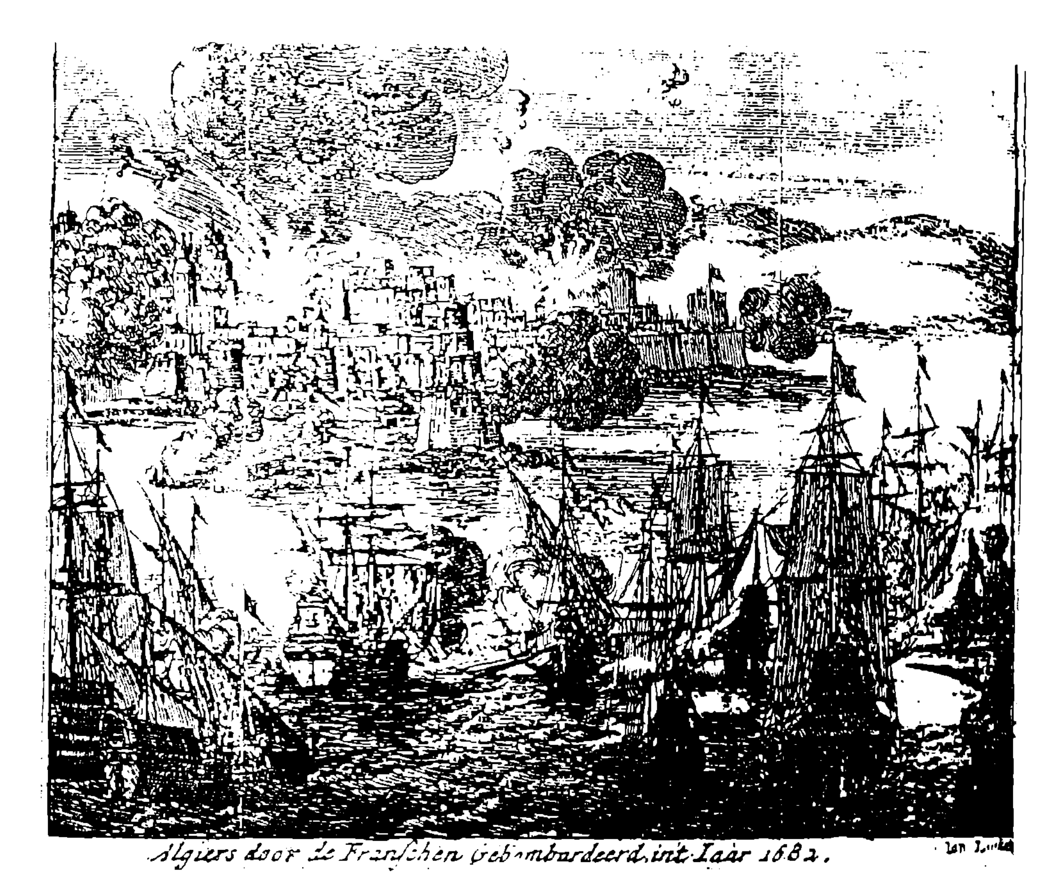
(85) انظر الشكل رقم : 97 .



Abraham du Quesne
Lieutenant. Gñal des Armées Nauales du Roy

الأميرال دوكسين

الشكل رقم : (92)



— Bombardement d'Alger (1682).

الشكل رقم (93)



الشكل رقم : (94)

BOMBARDEMENT D'ALGER. 1683 par Duquesne



Conterfay deß Mezomorto grössten Day in Alger, ietzund Capitan Bassa der Flotten deß Groß Türcken

الداي الحاج حسين (ميزومورتو)

Mezzomorto, dey d'Alger (1683 - 1686)

الشكل رقم : (95)

Supplice du P. Levacher (1683).



الشكل رقم : (96)



المريشال دى تـــورفيل

51

الشكل رقم : (97)

(11) غارة المريشال ديسترى D'Estrées (86) على الجزائر يـوم 29 يونيو 1688، التى كافح فيها نفس الداى الحـاج حسين (ميزومورتو) شخصيا ، وجرح في رأسه بشظية قنبلة.(87) و (88) « وقد أفرغت غارات هذين الأخيرين أكثر من عشرة آلاف قنبلة على عاصمة الجزائر » . (89)

(12 – 13) ثـم غارة جيروم **بونابارت (شقيق نابليون وفى عهده)** على الجزائر فى يوليو 1805 وغارة الأميرال جوريان دو لا غرافيير l'Amiral Jurien de la Gravière بمعية نائب الأميرال الأنكليزى فريمنتل Freemantle ، فى سبتمبر 1819 ، التى هددا بها الداى حسين ، مبلغين إياه قرارات الدول الأوروبية المتخذة يوم 20 نوفمبر 1818 فى مؤتمر آخن (Aix-la-Chapelle) فى ألمانيا .

وكانت الدول الممثلة فى ذلك المؤتمر هى فرنسا (وممثلها هو وزيرها الأول دوق ريشوليو) ، وأنكلترا ، وبروسيا (ألمانيا)، وروسيا ، والنمسا ، باسم أكثر من عشرين دولة أوروبية .

وكانت فرنسا المحرك الأول فى القرارات المتخذة ضد الجزائر فى هـذا المؤتمر بتاريخ 20 نوفمبر 1818 ، وفى قرارين اتخذا فى مؤتمرين سابقين : أحدهما فى 30 مايـو 1815 فى مـؤتمر باريس ؛ والثانى بتاريخ 09 يونيو من نفس العام (1815) فى مؤتمر فيينا، «الذى كان يمكن أن يكون حربا صليبية جديدة» . (90). (« une nouvelle croisade »)

واستقبل الداى حسين يومى 5 و 9 سبتمبر 1819 الأميرالين الفرنسى والأنكليزى ، المهددين باسـم أوروبا ، بثبات جـأش

(86) انظر الشكل رقم : 98 .
(87) انظر الشكل رقم : 99 .

(88) Galibert : ibid, p. 232.
(89) Ministère de la Guerre (Paris) ; Aperçu p. 37.
(90) Garrot : ibid, p. 468.



—2. — LARGILLIÈRE. Le maréchal d'Estrées.

المريشال ديستري

الشكل رقم : (98)



Bombardemant d'Alger par le Maréchal d'Estrées (1688)

الشكل رقم : (99)

وكرامـــة ، ورفض تهديدهما ، واستلام القرار المتخذ باســم أوروبــا .

« ورجعا بدون جـواب كتــابي ــ كانا يلحان عليــه ــ إلى أوروبا » . (91) ، أو بخفي حنين ، أو ، كما يقول دوغرامون :
! « et ils repartirent bredouille... » (92).

(14) غارة 16 يونيو 1827 وحصار ميناء العاصمة (le blocus d'Alger).

وتبقى الغــارة الفرنسية الأخيرة ، أو الحملــة العدوانية ، سنة 1830 ، سنعود إليها بعد استعراض تطورات العلاقات التي كانت بين البلدين إذ ذاك ؛ من علاقات دبلوماسية بين البلدين ؛ ومعاهدات ، ومبعوثين على المستوى الأعلى من ملوك فرنسا إلى دايات الجزائر ؛ فضلا عــن الدبلوماسيين الفرنسيين المعتمدين في الجزائر المقيمين فيها ؛ ومن مراسلات زاخرة لتهنئة بنصــر (للجزائر) ؛ أو بازدياد مولود أو زواج ، (لفرنسا) ؛ أو إخبار بوفاة ، وتولي عرش ، وتعاز عن وفاة ، وتهان في نفس الرسالة بتولي ملك جديد ؛ وغــير ذلك مــن المبادلات . وفي جميع هذه الرسائل يحرص ملوك فرنسا ، وخاصة منهم لويس الرابع عشر، عــلى ذكــر « جمهورية الجــزائــر » : « la République d'Alger »، أو « جمهوريتكم » : (Votre République) ، كما يلاحظ القارىء من نصوص الرسائل التي نورد هنا بعض صور منها .

ولا ننسى في هذا ، طبعــا ، تلك المساعدات الثمينة ، بــل الإنجادات العاجلــة ، والإسعافات المنقذة مــن المجاعــة ، التي قدمتها الجزائر لفرنسا في ظروف الشدة : من قروض للاستيراد من الجزائر ، خاصة الحبوب ؛ ومن قروض أخرى نقدية ؛ بــل ومن مــواد غذائية ، وخيول ، وأشياء أخرى عديدة ، مقدمة

---

(91) Plantet : Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France, p. 543.
(92) De Grammont : ibid, p. 385.

مجانا ! نعم ، وألف نعم ! ولست أنا الذى ادعى هذا ، وإنما هم المؤرخون الفرنسيون أنفسهم الذين سجلوه ، كما سيأتى بيانه فى محله بالأرقام ، والأسماء ، والوثائق ، والتواريخ ، مدعمين ذلك بصور لصفحات مقتطعة من مراجع فرنسية ، خاصة ، وأيضا من غيرها ، حججا دامغة لكل دماغ ... وبلغتها الأصلية ، لمن يريد التثبت والتأكد ، مستغنين عن ترجمتها بما نورده من زبدتها بالعربية .

المعاهدات بين الجزائر وفرنسا :

سبق أن ذكرنا أن عدد المعاهدات المنعقدة بين الجزائر وفرنسا كبير ، بلغ السبعين ، وأن بدايتها تعود إلى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى . وها هو تفصيل ما توصلنا إليه ، أخذناه من مظانه الفرنسية ... وليست لدينا مظانه الجزائرية ، مع الأسف، ولكن قائمتها وحدها تكفى لتفنيد كل من زعم ، أو سيزعم ، أن الدولة الجزائرية المستقلة ، ذات السيادة ، ولدت سنة 1962 م ! بل وتدلنا ، من بين معطيات أخرى ، سنذكرها فى الأخير ، على أن هذه الدولة الجزائرية لم تكن فقط موجودة منذ القدم ، دولة من بين الدول ، وكسائر الدول ، بل كانت ، فوق ذلك ، دولة عظمى ، ولأمة عظمى ، تخشاها ، وتقدرها ، وتتحبب إليها وتتآمر ضدها الدول العظمى ، مستعينة فى ذلك عليها بالمتوسطة بل وحتى بالصغرى !

نعود إذن إلى المعاهدات مع فرنسا :

(1) معاهدة تجارة وملاحة (93) Traité de commerce et de navigation بين ملك بجاية ، خالد بن زكرياء ، ومجلس حكومة مرسيليا ، فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى . (94)

(93) انظر الشكل رقم : 100 .

(94) a) Spencer : ibid, p. 148.
b) Devoulx : ibid, p. 1.

LES ARCHIVES

DU

CONSULAT GÉNÉRAL DE FRANCE

A ALGER.

A. Devoulx

I

Dès le treizième siècle, les Marseillais avaient des relations commerciales sur les côtes Barbaresques, concurremment avec les Pisans, les Génois et les Catalans. En 1230, ils conclurent une étroite alliance avec le roi de Tunis. La commune de Marseille fit, au commencement du quatorzième siècle, un autre traité de commerce et de navigation avec le roi de Bougie, Khaled Ben Zakkaria.

C'est ce qui résulte d'une lettre écrite au viguier de Marseille par le consul de Bougie, Peyre Jordans, pour se plaindre des difficultés qui entravaient le commerce des marchands et le prier d'adresser les remerciments de la commune au reis Mohamed (commandant de la marine), qui, seul, à Bougie, se montrait favorable au commerce marseillais.

Les rapports que le négoce avait établis entre les Marseillais et les Bougiotes nous sont peu connus. La lettre dont nous venons de parler, qui n'a pas de date, et un autre titre de l'an 1268, portant que « Hugues Borgonion, marchand de Marseille, nommé consul du navire *le Saint-Jacques*, pour le présent voyage qu'il va faire à Bougie, aura juridiction pleine et entière sur les passagers, » sont les seuls documents que nous fournissent les archives de cette ville.

Les marchands de Marseille portaient en Barbarie de l'étain qu'ils

1

الشكل رقم : (100)

(2) معاهدة شاتيلرو ، أو : المعاهدة الثلاثية (le Traité de Châtellerault ou : le Traité tripartite) بين مبعوثي خير الدين ، رئيس دولة الجزائريين (هكذا كان الاسم الرسمي) ، ومبعوثي سليمان القانوني ، السلطان العثماني ، وفرانسوة الأول نفسه ، ملك فرنسا ، سنة 1534 م . (95) و (96)

(3) معاهدة سلم وتجارة بين حسين باشا ، رئيس دولة الجزائر ، ولويس الثالث عشر ، ملك فرنسا ، المنعقدة في مدينة تور يوم 21 مارس 1619 (المسماة : معاهدة تور : le Traité de Tours) ، أمضاها لويس الثالث عشر نفسه ، وعن حسين باشا أمضاها مبعوثه الخاص السفير سنان آغا . (97)

وكان المقصود بهذه المعاهدة وضع حد لنزاع حاد قديم طويل بين الجزائر وفرنسا بخصوص مدفعين برونزيين كان فر بهما من الجزائر ضابط بحري هولاندي اسمه سيمون دانسر Simon Danser ، الذي كان تظاهر باعتناق الإسلام ، وأخذ اسم مراد رايس ، ثم رجع إلى النصرانية ، وفر من الجزائر بالمدفعين ، وأهداهما الدوق دي غيز Duc de Guise ، وزير بحرية لويس الثالث عشر ، واستقر بمرسيليا فيما بعد . (98)

---

(95) انظر إنية وأصالة ، ص 272 .

(96) A. Dufour : France - Pays Arabes, avril 1975 :
« Les relations de la France avec l'Algérie de 1519 à 1830 ».

(97) De Grammont : p. 152 ; Garrot : p. 450.
إنية وأصالة : 284 – 286 .

(98) وهو غير مراد رايس الذي ترك اسمه على الحي المعروف اليوم بهذا الاسم، لأن هذا كان ألبانيا مسلما منذ الطفولة ، حسب المؤرخ السويدي ريفتيليوس ، وأصبح فيما بعد المساعد الأول للرايس المغوار البحار العظيم علي قلش Euldj-Ali ، بطل معركة ليبانت Lépante ، سنة 1571 ، ومحرر تونس من الإسبان سنة 1575 .

ولم يكتف سيمون دانسر هذا (مراد رايس الكاذب) بالهروب بالمدفعين المتازين (99) (deux magnifiques canons de bronze) ، بل تسلل حتى بلدة برشك (بنى حواء اليوم) بقوات طوسكانية وخربها تماما ...

وبعد عقد المعاهدة في تور ، حيث كان يقيم الملك الفرنسى . رجع الوفد الجزائرى إلى مرسيليا ، لاسترجاع المدفعين المذكورين قبل الرجوع إلى الجزائر . وكان الدوق دو غيز وعده بهما ، إذ رفض سينان آغا العودة إلى الجزائر بدونهما .

وكان المقرر أن يأتى إلى الجزائر مبعوث خاص للملك لويس الثالث عشر، من نبلاء القصر، اسمه دو موستيى De Moustiers (100)، ليسلم الداى والديوان وثيقة مصادقة الملك الفرنسى على هذه المعاهدة، وإذا بواقعة تقع :

فبينما كان الوفد في الانتظار فى مرسيليا ، وقد طال الانتظار قليلا ... حدث صدام فى البحر بين بحار جزائرى ، راجب رايس ، وبحار فرنسى le Capitaine Drivet ، كان راجعا من الاسكندرونة ، فى خليج الأسد le Golf du Lion ، بسفينة محملة بالدعقس والتوابل ... فيقول المؤرخون الفرنسيون إن راجب رايس أفرغ السفينة الفرنسية (واسمها : (le grand Navire من حمولتها « بدون أدنى مقاومة ممن كانوا فيها » ، وأغرق السفينة ، وكان ذلك يوم 14 فيفرى 1620 . فنجا من ركابها (الفرنسيين) اثنان وصلا إلى شاطىء سردينيا سباحة ، ثم رجعا إلى مرسيليا، مسقط رأسهما ، فأبلغا الخبر، فحنق سكان مرسيليا على الوفد الجزائرى ، وهرعوا إليه ، وذبحوه (41 عضوا من وفده) ، ولم ينج منهم سوى أربعة كانوا خارج الفندق إذ ذاك

...rot : ibid, p. 447-448.
...Grammont : ibid, p. 152.

... واسم الفندق ... le Médilhon... اعتذر حكــام مرسيليا ، وعوضوا ما عوضوا ، ولكن حسين باشا أطلق العنان لرياسه فى البحر ، فغنموا أكثر من ألف ومائتى سفينة أوروبية ، منها : 193 فرنسية ، و 120 إسبانية ، و 60 أنكليزية ، و 56 ألمــانية ، و 447 هولاندية .

ولم يهدإ الجو إلا بعد « أن أرسل الملك الفرنسى لويس الثالث عشر مبعوثا خاصا ، ومعه « المدفعان الممتازان من البرونز » ، إلى الجزائر يوم 20 يونيو 1620 ، كما أكد ذلك حسين باشا نفسه فى رسالة منه بتاريخ فاتح أغسطس 1627 . (101)

(4) « معاهدة سلم دائمة وتجارة Traité de paix perpétuelle et de commerce ، بــين حسين باشا ولويس الثالث عشر ، عقدت بالجزائر يوم 19 سبتمبر 1628 م ، بحضور الآغا ، وقائد الحرس ، والمفتى ، والقاضيين ، الحنفــى والمالكى ، ورجــال الشريعة ، والديوان الكبير ، والمجلس (102) ، فى الجزائر المحروسة (التى لا تغلب) (En cette invincible ville d'Alger) ، أمضاها حسين باشا ، وسنسون نابلّون (Sanson Nappollon) باسم لويس الثالث عشر ، ملك فرنسا » . (103)

« وقد نشر نص هذه المعاهدة كاملا فى مجلة الزئبق الفرنسى Le Mercure Français من عام 1628 » . (104)

وفى سنة 1634 أرسل لويس الثالث عشر مبعوثا خاصا آخر ، هو Sanson Le Page ، ليطلب تعديل بعض بنود هذه المعاهدة ، « ولكن يوسف باشا ، الذى خلف حسين باشا ، رده بأدب وحزم ، رغم ما وزعه المبعوث الفرنسى من هدايا » . (105)

---

(101) Garrot : ibid, p. 429.
(102) Devoulx : ibid, document n° 1, p. 5.
(103) De Grammont : ibid, p. 163.
(104) Garrot : ibid, p. 469 ; Cat : ibid, p. 282.
(105) Cat : ibid, p. 282.

(5) اتفاقية اقتصادية بين حسين باشا ولويس الثالث عشر ، يوم 23 سبتمبر 1628 . ومع ذلك لم يهدإ الجو تماما بين البلدين ، بل سرعان ما تلبد واكفهر ، خاصة بعد الغارة الخادعة التى قام بها الأميرال الفرنسى دومانتيس de Mantès ، سنة 1634 ، كما سبق ذكر ذلك فى فصل الغارات ، « فأطلقت الجزائر رياس بحريتها على السفن الفرنسية فى عرض البحار ، فغنموا منها ثمانين سفينة » . ولم تهدأ العاصفة الجزائرية إلا سنة 1640 ، حيث قبلت الجزائر بعقد :

(6) معاهدة سلم وتجارة فى 7 يوليو 1640 بين يوسف باشا ولويس الثالث عشر ، « هذه المعاهدة التى طالما سعى إليها الملك الفرنسى » . (106)

(7) اتفاقية تجارية بتاريخ 9 فيفرى 1661 بين الآغا إبراهيم ولويس الرابع عشر .

(8) اتفاقية تجارية بتاريخ 9 فيفرى 1662 بين الآغا شعبان ولويس الرابع عشر .

(9) معاهدة سلم وتجارة بتاريخ 17 مايو 1666 بين بابا علي مكسيس ولويس الرابع عشر .

لقد رأينا أنه كانت هناك ، قبل هذا التاريخ بقرون ، معاهدات بين الجزائر وفرنسا ، ومبعوثون وسفراء من فرنسا ؛ وقبل هذا التاريخ بحوالى قرن كانت هناك مراسلة منتظمة كتابية بين دايات الجزائر وملوك فرنسا .

---

(106) Galibert : ibid, p. 222 : « Enfin fut conclu le traité *tant désiré* par Louis XIII ».

مراسلات ـ مع المعاهدات ـ بين الجزائر وفرنسا :

ولكن ابتداء ، خاصة ، من عهد لويس الرابع عشر ، (107) و (108) ، نجد هذه المراسلة حثيثة بين دايات الجزائر وملوك فرنسا وزعماء ثورتها ، ثم أمبراطورها نابليون ، وأخيرا مع الملكية العائدة : لويس الثامن عشر ، ثم شارل العاشر ... الذى وقعت فى عهده الواقعة ، ونفذ وصية جده « القديس لويس » ، أو لويس التاسع !

ومن حين إلى آخر ندرج صورا لرسائل ولمعاهدات معقودة بين البلدين ، بل وحتى فقرة أو أخرى من كتاب تتصل بنقطة معينة بالذات يصعب على بعضنا التصديق بها ... ومن لم يرد التصديق ، فلا صدق ولا صلى !

وفعلا ، فلقد استحكمت العقدة من بعضنا ، وأصبح المرض عضالا ! وإنى لأتكلم عن تجربة وممارسة : فعندما كنت ألقى محاضرات فى عدة جهات من البلاد فى الربيع الماضى (109) عن علاقات الجزائر بالعالم ، بمناسبة الذكرى العشرين لاستعادة الاستقلال ، كم من مرة « فوجئت » بكثير من التشكك فيما كنت أرَويه ـ مجرد رواية ـ عن عدد المعاهدات المعقودة بين الجزائر وكثير من دول العالم الكبرى ؛ وعن الملايين التى أقرضناها الثورة الفرنسية ، بدون فائدة ؛ بل وعن المواد الغذائية التى كنا نقدمها لفرنسا مجانا ... ؛ وعن المساعى الحثيثة التى قام بها جورج واشنطن ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، لدى كاترين الثانية ، قيصرة روسيا ، لإقناعها بضرورة تحالف

---

(107) انظر الشكل رقم : 101 .
(108) انظر الشكل رقم : 102 أ ، و 102 ب .
(109) من سنة 1402 هـ (1982 م) .

LOUIS XIV AU DIVAN D'ALGER.

Vincennes, le 17 septembre 1666.

Illustres et magnifiques Seigneurs,

Ayant été informé que vous doutiez que la ville de Dunkerque nous appartint, ce qui pourrait vous obliger de ne traiter pas les vaisseaux marchands de cette ville là comme nos sujets, nous vous écrivons cette lettre pour vous assurer que non seulement la dite ville de Dunkerque n'est point une République, comme on le croit en Alger, mais qu'elle nous appartient par un traité que nous fîmes, il y a trois ans, avec les Anglais qui l'avaient possédée quelque temps [1]. Elle a toujours été de l'entier patrimoine de la couronne de France que Dieu nous fait la grâce de posséder aujourd'hui, et c'est pourquoi vous devez traiter ses habitants comme nos autres sujets, sans aucune distinction. Du reste vous donnerez entière créance au Consul Français [2] sur ce qu'il vous assurera encore là-dessus et sur les autres choses qui regarderont nos dits sujets, et la présente n'étant à autre fin, nous prions Dieu qu'il vous ait, illustres et magnifiques Seigneurs, en sa sainte et digne garde.

Ecrit à Vincennes, le 17[e] jour de septembre 1666.

LOUIS.

reçut alors la mission d'aller négocier un nouveau traité à Alger, de concert avec Jacques Arnaud, de Gap, « qui avait inspiré aux principaux d'Alger de cesser les hostilités ». Voy. la correspondance inédite entre *Colbert et M. Trubert*, notamment les *Lettres des 17 et 20 février 1666*, et le *Mémoire servant d'Instruction au sieur Trubert*, le 7 septembre 1666. (*Archives des Affaires étrangeres, Consulat d'Alger*, et *Mémoires et Documents, Alger*, t. XV, p. 168.)

Le traité fut signé le 17 mai 1666. Il a été publié dans le *Recueil des Traités* de M. Tetot, n° 189. L'original est aux *Archives des Affaires étrangères* (salle des Traités). Voy. aussi la *Gazette de France*, 1665, p. 389 et 404, les *Lettres de saint Vincent de Paul*, t. III, p. 708 et t. IV, p. 77, 96, 111, 146, etc., et l'*Histoire de Duquesne et de la marine de son temps*, par Jal, t. I, p. 246, 317, 332, 563, 598.

1. Le comte d'Estrades, Ambassadeur de France à Londres en 1661, qui avait défendu Dunkerque contre les Espagnols dix ans auparavant, fut chargé de négocier en 1662 le rachat de cette place au roi Charles II, moyennant 4 674 000 l. Voy. l'*Histoire de Duquesné et de la marine de son temps*, par Jal, t. I, p. 283.

2. Le P. Jean Dubourdieu avait succédé au P. Barreau en 1661. Il resta au Consulat jusqu'en 1673. Voy. sa correspondance aux *Archives des Affaires étran-*

LOUIS XIV AU DIVAN D'ALGER.

Vincennes, le 11 mars 1668.

Illustres et magnifiques Seigneurs,

Nous avons été très aise d'apprendre, par la lettre que nous avons reçue du sieur Trubert, que vous avez résolu avec la Milice et le Divan du Royaume d'Alger d'exécuter ponctuellement le traité fait entre notre cousin, le Duc de Beaufort, et vous pour une bonne et réciproque correspondance entre les sujets de nos deux Royaumes [1]. Si nous nous promettons que vous tiendrez la main à ce que les sujets d'Alger ne contreviennent en aucune manière que ce puisse être à tous les articles du traité, nous vous écrivons cette lettre pour vous assurer aussi que, de notre part, nous obligerons nos sujets à garder et observer de leur côté toutes les choses dont on demeure d'accord. Cependant, pour commencer à vous donner une preuve de la sincérité de nos sentiments, nous vous envoyons par le sieur Trubert, que nous avons estimé devoir vous être plus agréable qu'un autre, les esclaves qu'il nous a demandés en votre nom [2]. Et vous assurant que nous aurons

gères, Consulat d'Alger, et aux *Archives historiques de la Chambre de commerce de Marseille*, 8. AA, 465 de l'Inventaire.

1. Voy. la lettre du 7 septembre 1666, pages 58 et 59.

2. Peu après la signature du traité de 1666, il survint à Alger certaines difficultés relatives à la restitution des esclaves. Trubert en profita pour rester auprès du Consul et pour engager la Régence à se déclarer contre les Anglais et les Hollandais. *Lettres de Colbert au sieur Trubert*, le priant de faire diligence pour que les esclaves français soient tous remis en liberté, les 21 octobre et 5 novembre 1666, 6 et 11 mars 1668.

La communauté de Provence dut faire un fonds considérable pour racheter tous ces esclaves, et le roi y ajouta 100 000 l., qu'il fit remettre au sieur Trubert par le Trésorier de la marine. *Lettres de Colbert au sieur Trubert*, le 14 janvier 1667, et *Lettre* du 3 novembre 1667 contenant le *Recensement des esclaves turcs qui vont sur les galères du roi*. Voy. aussi l'*Etat des versements des communes de Provence pour le rachat des esclaves*, — le *Mémoire de la dépense extraordinaire du Consul depuis l'arrivée de M. Trubert jusqu'au départ des vaisseaux*, — la *Lettre du Roi à M. d'Infreville*, du 23 mars 1668, l'avertissant qu'il envoie M. Trubert une seconde fois à Alger, sur le vaisseau *le Courtisan*, pour en rapporter nos captifs. Trubert parvint à en rapatrier 1127. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger*.)

bien agréable que vous lui donniez une entière créance sur tout ce qu'il vous dira encore plus précisément de notre part, nous ne vous ferons la présente plus longue que pour prier Dieu qu'il vous ait, illustres et magnifiques Seigneurs, en sa sainte garde.

En notre château de Vincennes, le 11 mars 1668.

LOUIS.



ISMAÏL, PACHA D'ALGER,
A M. TRUBERT, COMMISSAIRE DU ROI ET CONTRÔLEUR GÉNÉRAL DE LA MARINE DU LEVANT.

Alger, le 26 novembre 1668.

Comme nous avons donné une entière créance à tout ce que vous nous avez dit de la part du Roi [1], aussi nous avons la confiance que vous aurez rendu un fidèle témoignage à Sa Majesté, et comme il est passé beaucoup de temps sans que nous ayons reçu aucune de vos nouvelles, et que d'ailleurs nous avons appris que les Anglais sèment le faux bruit, partout où ils se trouvent, que nous avons rompu la paix et que nos corsaires prennent les Français, ce qui est contre la vérité [2], nous avons résolu d'envoyer un exprès à Marseille, sur un de nos vaisseaux, avec nos lettres pour Sa Majesté, afin de l'assurer de la continuation de l'amitié que nous avons contractée par le traité de paix que nous faisons observer. Que si les vaisseaux qui étaient, la campagne passée, au service du Grand Seigneur prirent trois embarcations qui se disaient Françaises, ce fut son Envoyé, qui était chef dans l'armée, qui les fit de bonne

1. Voy. la lettre précédente.

2. Les Anglais avaient cherché à faire échouer les négociations de Trubert par tous les moyens possibles; ils avaient offert notamment 30 vaisseaux aux Algériens, s'ils voulaient rompre la paix avec la France. *Lettres du sieur Trubert à M. Arnoul, Intendant à Marseille*, du 20 mai 1666, et *du Consul Dubourdieu au sieur Trubert*, du 28 novembre 1668. (*Archives des Affaires étrangères. Consulat d'Alger.*)

روسيا مع أمريكا ضد الجزائر ... هل هذا ممكن ؟ نعم ، بل إنه مؤكد ، ومستقى من مصادر فرنسية وأمريكية !

ولكن بعضنا ينظر إلى نفسه ــ أى إلى بلاده وأمتـه ــ وإلى أمريكا وفرنسا ، مثلا ، بمنظار اليوم : هل من المصدق أن تقرض الجزائر فرنسا ؟ هـل مـن المعقول أن تمنحها قرض الاستيراد crédit fournisseur ؟ نعـم ! أقرضتها ، وبـدون فائـدة ، وإن الفرنسيين لهم الذين سجلوا لأنفسهم ، ولنـا ، هذه الحقائق ! وهل مـن الممكن أن تحاول أمريكا التحالف مـع روسيا ضـد الجزائر ؟ نعـم ! حاولت ! وإن الأمريكان لهـم الذين خلـدوا لأنفسهم ، ولنا ، هذه الوقائع التاريخية !

ومن أجل هذا نقدم لك ، أيها القارىء المتشكك ، هذه الصور مـن رسائل (110) ، ومعاهدات ، وفقرات مـن كتب ، وقوائم بأسماء ، وتواريخ ، بل وصورا مجسمة ، مثل تلك التى تعرض علينا المسيو ديزو Dusault ، المبعوث الخاص لكل من الملكين لويس الرابع عشر والخامس عشر إلى الجزائر ، فى مجلس الداى فى عاصمة بلغين بن زيرى : الجزائر ، وما أدراك ما الجزائر !

(10) معاهدة سلـم وتجارة بتاريخ فيفرى 1670 بـين الداى حاجى محمد ولويس الرابع عشر .

(11) معاهدة سلم وتجارة فى 11 مارس 1679 بين الداى حاجى محمد ولويس الرابع عشر .

(12) معاهدة سلم وتجارة سنة 1681 بين الـداى بابا حسـن ولويس الرابع عشر .

---

(110) انظر الشكل السابق رقم : 101 و 102 أ ، ب .



لويس الرابع عشــــر

الشكل رقم : (103)

(13) معاهدة سلم وتجارة فى 25 أبريل 1684 بين الداى الحاج حسين (ميزومورتو) (111) ولويس الرابع عشر . (112)

(14) معاهدة سلم بين الداى الحاج حسين (ميزومورتو) ولويس الرابع عشر سنة 1685 . (113)

(15) تجديدها سنة 1686 بينهما .

(16) معاهدة سلم وتجارة فى 13 مايو 1689 بين الداى شعبان ولويس الرابع عشر ، (بإلحاح كبير من هذا الأخير) . وقد سلم نص المصادقة عليها هذه المرة لويس الرابع عشر نفسه للسفير محمد الأمين فى قصر فرساى يوم 26 يوليو 1690 » . (114)

(17) معاهدة سلم لمائة سنة (Traité de paix centenaire) بين الداى شعبان ولويس الرابع عشر بتاريخ 24 سبتمبر 1689 .

وبعد عقد هذه المعاهدة نجد لويس الرابع عشر يبعث رسالة إلى الداى شعبان يعرض عليه فيها كل التسهيلات والمساعدات للأسطول الجزائرى فى الموانىء الفرنسية ، وخاصة منها فى ميناء بريست Brest ، « وستلقى سفنكم الحربية فى هذه الموانى نفس المعاملة التى تلقاها سفننا تماما » ، ويحثه فيها ، إلى درجة الإغراء ، على التعرض للسفن الأنكليزية والهولاندية، «لما فى ذلك من أرباح عظيمة ومن طيران سمعة في الآفاق» . (115)

وفى هذا الظرف ، بالضبط ، طلب لويس الرابع عشر من الداى شعبان إعلان الحرب على أنكلترا وهولاندا ، كما سبق أن ذكرنا .

---

(111) انظر الشكل السابق رقم : 95 .
(112) انظر الشكل رقم : 103 .
(113) Hist. Univ. Encyclop. Pléiade, t. 3, p. 2091.
(114) Galibert : ibid, p. 233.
(115) انظر الشكل رقم : 104 .

LOUIS XIV A HADJI CHABAN, DEY D'ALGER.

Versailles, le 30 octobre 1689.

Très illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons vu, par la lettre que vous nous avez écrite, la disposition dans laquelle vous êtes de maintenir la paix qui a été conclue par le Commissaire Marcel avec le Pacha et Divan d'Alger, et comme le traité qu'il nous a présenté est conforme à nos intentions, nous ratifions, par cette lettre, les articles dont il est convenu, et nous donnons ordre aux Commandants de nos vaisseaux et au sieur de Vauvré, Intendant de la Marine au port de Toulon, de les exécuter dès à présent. Nous espérons que, de votre part, vous tiendrez la main à ce que les conditions d'un traité si solennel ne soient violées par aucune contravention, et que, s'il s'en commet quelques-unes dans la suite, vous aurez soin qu'elles soient aussitôt réparées, afin que rien ne puisse altérer la bonne intelligence dans laquelle nous voulons vivre avec vous.

Nous avons estimé nécessaire de renvoyer le dit Commissaire Marcel à Alger [1], tant pour vous porter cette lettre et consommer avec vous tout ce qui peut regarder l'exécution du traité de paix, que pour vous faire comprendre l'importance des secours que les vaisseaux d'Alger trouveront dans les ports de notre Royaume, et principalement dans celui de Brest, si vous prenez la résolution de les faire passer dans l'Océan [2]. Nous donnerons des ordres si précis pour l'avantage des dits vaisseaux, du détail desquels le dit Marcel vous informera, qu'ils seront traités comme nos propres vaisseaux de guerre. Par ce moyen, vous pourrez vous assurer que les grands profits que tireront tous ceux qui armeront en course dans la dite Ville d'Alger, étant donné les prises considérables qu'ils pourront faire sur les Anglais et les Hollandais, vous donneront un nouveau crédit. Sur ce nous prions Dieu qu'il vous ait, très illustre et magnifique Seigneur, en sa garde.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 30 octobre 1689.

LOUIS.

1. *Mémoire pour servir d'Instruction au sieur Marcel sur la suite qu'il doit donner à la négociation qu'il a à faire pour le rachat des esclaves français à Alger*, 16 novembre 1689. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*) — Mercadier avait compté, à la fin de l'année 1680, 1033 esclaves chrétiens à Alger. *Lettre de Mercadier à MM. les Députés de Marseille*, le 16 novembre 1689. (*Archives de la Chambre de commerce de Marseille*, S. AA, 489 de l'Inventaire.)

2. M. de Vauvré avait donné le conseil de « permettre aux corsaires d'Alger de se ravitailler dans nos ports pour courir sus aux Anglais, les ennemis communs de la France et de la Régence ». *Lettre de M. de Vauvré au marquis de Seignelay*, le 23 juin 1689. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

الشكل رقم : (104)

ولنترك للقارىء الكريم حرية الاستنتاج من قراءة نص الرسالة نفسها .

(18) اتفاقية اقتصادية بتاريخ 5 مايو 1690 بينهما .

(19) تجديدها بتاريخ 27 ديسمبر 1690 بينهما أيضا .

(20) تجديدها بينهما أيضا فى 1692 .

وهنا نجد رسالة (116) أخرى من لويس الرابع عشر إلى الداى شعبان كلها مودة ، وعواطف ، وعروض طيبة بنفس المعاملة ، وفيها ذكر للمبعوث الخاص للويس الرابع عشر ، دوزو Dusault، الذى سنجده فيما بعد أيضا بينهما ، (ثم مبعوثا من لويس الخامس عشر – وهناك سنعرض صورة استقباله من الداى محمد بن حسن) .

(21) اتفاقية اقتصادية بتاريخ 3 يناير 1694 بينهما أيضا .

وهنا رسالة أخرى من لويس الرابع عشر إلى الداى الجديد ، الحاج أحمد ، يهنئه فيها بانتخابه « دايا لجمهورية الجزائر »، ويتمنى له فيها كل خير وبركة ... (117)

ورسالة أخرى منه أيضا إلى نفس الداى الحاج أحمد ، يعلمه فيها بإرسال مبعوثه الخاص دوزو Dusault ، من جديد ، إلى الجزائر « لإزالة بعض سوء التفاهم ... الذى لا تمكن إزالته بالرسائل وحدها ... » (118)

(22) تجديدها فى 4 مارس 1698 بين الداى الحاج أحمد ولويس الرابع عشر .

---

(116) انظر الشكل رقم : 105 أ ، و 105 ب .
(117) انظر الشكل رقم : 106 .
(118) انظر الشكل رقم : 107 .

Écrit le 2[illegible] jour du [illegible] mois de Safer, l'an 1104, qui est le 6 de novembre 1692.

(Sceau)

CHABAN,

Dey de la Ville et Royaume d'Alger en Afrique.

Traduit par Pétis de la Croix, Secrétaire-interprète du Roi, le 2 décembre 1692.

LOUIS XIV

A HADJI CHABAN, DEY D'ALGER[1].

Versailles, le 24 décembre 1692.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons reçu avec joie les marques que vous nous donnez de votre affection pour notre service par la lettre qui nous a été présentée de votre part[2], et la disposition dans laquelle vous paraissez être de maintenir toujours la paix conclue avec nous nous est très agréable. Vous pouvez être assuré, et nous vous en donnons de nouveau notre parole royale, qu'il n'y sera contrevenu de notre part en aucune manière, et que, si quelques-uns des officiers commandant nos vaisseaux n'exécutaient pas ponctuellement les ordres qu'ils ont reçus sur ce sujet, ils en seraient sévèrement punis. Vous verrez, au surplus, par ceux que nous donnons pour l'entière exécution du traité et par les choses qui nous ont été demandées en votre nom par le sieur Dusault, les égards et la considération particulière que nous avons pour vous, dont nous espérons que vous vous attirerez la continuation par la conduite que vous tiendrez dans la suite avec nos sujets, en entrant dans les propositions qui vous seront faites par le dit sieur Dusault[3].

1. *Archives de la Marine.* (*Levant et Barbarie*, B⁷ 214.)

2. Voy. la Lettre du 6 octobre 1692, p. 382.

3. Voy. le *Mémoire pour servir d'Instruction au sieur Dusault retournant en Barbarie*, le 24 décembre 1692. Notre négociateur avait reçu l'ordre de revenir

Sur ce je prie Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa sainte garde.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 24 décembre 1692.

LOUIS.

Traduit par PÉTIS DE LA CROIX, Secrétaire-interprète du Roi, le 17 janvier 1693

LE COMTE DE PONTCHARTRAIN, SECRÉTAIRE D'ÉTAT DE LA MARINE, A HADJI CHABAN, DEY D'ALGER [1].

Versailles, le 24 décembre 1692.

Très illustre et magnifique Seigneur,

J'ai présenté à l'Empereur, mon Maître, la lettre que vous avez écrite à Sa Majesté Impériale [2], et l'ai informée de la disposition dans laquelle il m'a paru, par celle qui était jointe pour moi [3], que vous êtes de maintenir la paix conclue avec vous. Elle m'ordonne de vous témoigner qu'elle en est très satisfaite, et, pour vous en donner des marques, elle renvoie avec diligence le sieur Dusault à Alger [4], et le charge de vous remettre 21 Turcs qui restent de ceux qu'il était convenu de vous renvoyer par le traité, les 7 autres étant morts ou inconnus, ainsi qu'il l'a vérifié par la revue exacte qu'il a faite sur les galères, ainsi que les 16 dont vous avez demandé la liberté en payant la rançon stipulée par le traité.

Il vous remettra aussi 24 Turcs qui composaient l'équipage d'un petit bâtiment pris par le sieur de La Roche. Sa Majesté a bien voulu vous les renvoyer par la considération qu'elle a

de suite à Alger pour s'appliquer tout particulièrement « à faire déclarer les corsaires contre les Anglais ». Il devait ensuite passer à Tripoli, conclure un traité de paix avec le Bey de cette Régence, et retirer 350 sujets français qui y étaient aux fers. *Lettre de Dusault au comte de Pontchartrain*, le 17 janvier 1693. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

1. *Archives de la Marine.* (*Ordres et dépêches*, B[7] 67.)
2. Voy. la Lettre du 6 octobre 1692, p. 382.
3. Voy. la Lettre du 6 octobre 1692, p. 385.
4. Voy. la note 3, p. 396.

الشكل رقم :(105) ب

A HADJI AHMED, DEY D'ALGER

Fontainebleau, le 28 septembre 1695.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons appris, par la lettre que vous nous avez écrite[1] votre élévation à la dignité de Dey et au Gouvernement de la République d'Alger, dans lequel nous vous souhaitons toutes sortes de prospérités, la ratification du traité de paix ci-devant conclu avec le Divan[2], et la résolution dans laquelle vous êtes de réparer les contraventions qui y ont été faites par les reïs d'Alger. Vous pouvez compter qu'il sera exactement exécuté de notre part, et que, s'il s'en commettait quelques-unes par les officiers de nos vaisseaux, nous les en punirions sévèrement lorsque vous nous en feriez des plaintes. Nous avons, au surplus, fait expliquer plus particulièrement nos intentions au Bachi envoyé par le Divan[4], sur les moyens d'entretenir la bonne correspondance établie entre nos sujets et les Algériens, et nous chargeons le sieur de Pontchartrain de vous informer des ordres que nous avons donnés, sur les plaintes qui nous ont été faites de la part du Divan. Et la présente n'étant à autre fin, nous prions Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa garde.

Écrit en notre château impérial de Fontainebleau, le 28 septembre 1695.

LOUIS.

1. *Archives de la Marine.* (*Levant et Barbarie*, B[7] 214.)
2. Voy. la Lettre du 18 août 1695, p. 490.
3. Le 4 septembre 1689.
4. Soliman. Voy. les notes 2, p. 464 et 496.

الشكل رقم : (106)

LOUIS XIV

AU DIVAN D'ALGER [1]

Versailles, le 5 septembre 1696.

Illustres et magnifiques Seigneurs,

Nous avons entendu les demandes qui ont été portées auprès de notre trône impérial par Soliman Boulouk Bachi, votre Envoyé, et vu vos réponses à celles qui vous ont été faites par notre ordre [1]. Et comme elles n'étaient pas assez précises, qu'elles méritent même quelques discussions qui ne se peuvent faire par lettres, nous avons résolu de vous envoyer le sieur Dusault, que nous avons chargé de nos ordres pour les examiner et terminer avec vous [2], en sorte qu'aucune difficulté ne puisse altérer la paix que nous vous avons accordée et la bonne intelligence que vous avez avec nos sujets. Notre intention est de la maintenir toujours ponctuellement, ainsi que nous avons fait jusqu'à présent, ne doutant pas que vous ne soyez dans la disposition d'en observer inviolablement le traité [3].

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 5 septembre 1696.

Louis.

du lait », et il l'a invité à revenir le voir en lui exprimant le regret qu'il éprouvait de sa vivacité. — Cette réconciliation ne devait pas durer longtemps, et notre Consul écrivait deux mois après au Ministre « qu'il ne savait plus sur quel pied se maintenir ». *Lettre de Lemaire au comte de Pontchartrain*, les 31 août et 1er novembre 1696.

1. Lemaire faisait connaître au Ministre que les Algériens, déjà fort peu satisfaits de ne pas voir Soliman de retour avec les esclaves des galères, pouvaient fort bien rompre la paix si leur Envoyé revenait mécontent de la Cour de France. « Il importe, ajoutait-il, qu'il passe ici le plus de vaisseaux qu'on pourra. » Ahmed, entièrement dominé par la cupidité et par la crainte, était loin d'avoir conservé pour notre agent la considération des premiers jours; il l'avait maltraité plusieurs fois, « à la grande joie du Consul d'Angleterre », et lui avait déclaré que si les esclaves algériens ne venaient pas, « sa tête payerait tout ». *Lettres de Lemaire au comte de Pontchartrain*, les 26 juillet et 31 août 1696.

2. *Archives de la Marine*. (*Levant et Barbarie*, B7 220.)

1. Voy. la Lettre de Soliman Boulouk Bachi au Dey d'Alger, le 18 juin 1696, p. 515.

2. Lemaire se plaignait toujours de l'attitude insolente du Dey à son égard et des contraventions continuelles de ses corsaires. Ahmed voulait obliger son drogman à partager avec celui du Consul d'Angleterre certains profits de sa chancellerie, en refusant d'admettre que les chrétiens demeurassent sous la protection exclusive de notre représentant. Il avait fait saisir ce drogman par un Chaoux, l'avait fait amener au Divan avec Lemaire, et avait demandé à la Milice quel était celui qu'elle voulait pour gouverner la Régence, la priant dédaigneusement de choisir entre notre Consul et lui, « à quoi âme vivante n'avait répondu ». Quand l'Interprète de Clairambault était arrivé à Alger, le Dey, à qui Lemaire était allé le présenter, s'était encore mis en colère, en accusant ce dernier de faire venir des espions de Constantinople. — Le Ministre crut devoir prendre alors quelque ménagement, et il écrivit à notre malheureux Consul en lui annonçant qu'il allait lui envoyer Dusault, pour rétablir ses bons rapports avec Ahmed. Il l'exhorta à subir patiemment les procédés de ce Seigneur, ajoutant « qu'il fallait les regarder plutôt comme l'effet d'une humeur emportée, que son âge ne lui permettait pas de réprimer, que comme la conséquence d'une volonté déterminée de nuire ». *Lettres de Lemaire au comte de Pontchartrain*, les 27 septembre 1696, 3 janvier et 6 février 1697. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*) — Voy. aussi les *Lettres de Lemaire aux Échevins de Marseille*, les 3 janvier et 12 février 1697. (*Archives de la Chambre de commerce de Marseille*, S. AA, 470 de l'Inventaire.)

3. Le Consul avait fini par obtenir de la Chambre de commerce, pour [illegible] la fureur de Hadji Ahmed, l'envoi des présents que nous offrions d'ordinaire [illegible] Puissances, à l'avènement des nouveaux Gouverneurs d'Alger. On [illegible] 92 pièces de damas, 112 pièces de satin, 72 pièces de velours, une pendule [illegible] tition, une caisse de pommes, un sac de châtaignes, 24 boîtes [illegible] bouteilles de Rossoli, 6 paires de pistolets, etc. *Compte des de*[illegible] *de Lemaire pour l'année 1696*. (*Archives des Affaires étran*[illegible] *commerce de Marseille*, t. V.)

(الشكل رقم : 107)

(23) تجديدها فى 23 يوليو 1698 بينهما .

(24) اتفاقية اقتصادية في 19 يوليو 1700 بين الداى على ولويس الرابع عشر .

وتلقى الداى الجديد مصطفى رسالة تهنئة من لويس الرابع عشر ، يؤكد له فيها نفس النوايا ، بعد تجديد مصادقة الداى على المعاهدات السابقة ، حسب العرف المتبع الذى يقضى بتجديد المصادقة على المعاهدات السابقة كلما انتخب رئيس دولة جديد . وفيها تعبير عن عواطف وتمنيات .. الخ . (119)

كما بعث لويس الرابع عشر برسالة أخرى إلى الداى مصطفى يشكره فيها على تهنئته بوليد لحفيد له: دوق برغونيا duc de Bourgogne، ويعبر له فيها أيضا عن عواطفه ... ولم ينس أن ينتهز الفرصة لتأكيد ضرورة الحفاظ من كلا الجانبين على المعاهدات ... (120)

ورسالة أخرى منه أيضا إلى الداى مصطفى يهنئه بالانتصار على باى تونس ، حسن بن علي ، في حرب بينهما . (121)

(25) تجديد معاهدة السلم في نوفمبر 1705 بين الداى مصطفى ولويس الرابع عشر .

وأرسل جوابا إلى الداى الجديد ، حسين خوجة ، يهنئه فيه (لويس الرابع عشر) بتوليه رئاسة جمهورية الجزائر ، ويعبر له عن عواطفه وتقديره ، وصدق نواياه ، ثم لا ينسى أبدا ، كالعادة، أن يؤكد أهمية الحفاظ على المعاهدات بين البلدين . (122)

---

(119) انظر الشكل رقم : 108 .
(120) انظر الشكل رقم : 109 .
(121) انظر الشكل رقم : 110 أ ، 110 ب ، 110 جـ .
(122) انظر الشكل رقم : 111 .

LOUIS XIV
A MUSTAPHA, DEY D'ALGER [1].

Versailles, le 8 septembre 1700.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons appris par votre dépêche du 11 du mois passé [2], qui nous a été présentée, le choix que le Divan et la Milice d'Alger ont fait de votre personne pour les gouverner, et par le Consul que vous avez renouvelé le traité de paix [3]. Vous devez vous assurer, sur notre parole inviolable, qu'il sera de notre part ponctuellement rempli, ainsi qu'il l'a été jusqu'à présent, et

1. *Archives coloniales de la Marine. (Compagnies du Bastion de France, 1639-1731.)*
2. Voy. p. 6.
3. Voy. la note 1, p. 5.

nous en renouvelons si précisément l'ordre aux Capitaines et Commandants de nos vaisseaux et à tous nos sujets qu'il n'y a point à craindre qu'il y survienne par eux aucune contravention

Nous attendons de vous la même exactitude, et qu'en répondant à la bonne intelligence qu'ils ont avec les Algériens, nous n'aurons que des occasions de vous marquer une considération particulière pour votre personne, et l'estime qu'elle doit attendre de l'opinion qu'on nous en a donnée.

Écrit en notre château impérial, le 8 septembre 1700.

LOUIS.

الشكل رقم : (108)

A MUSTAPHA, DEY D'ALGER [1].

Versailles, le 4 février 1705.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons lu avec plaisir la lettre que le Comte de Pontchartrain nous a présentée de votre part [3] sur la naissance de notre arrière-petit-fils, le duc de Bourgogne. La part que vous prenez à la joie que nous en avons eue est un témoignage d'affection pour notre personne auquel nous sommes très sensible.

Vous ne devez pas aussi douter de la considération particulière que nous avons pour vous, et que nous continuerons dans

bonté, à notre sollicitation, d'accorder le Consulat de Chio en faveur du sieur Antoine Guerin, selon la prière que le Seigneur Dey d'Alger, mon frère, a faite à Votre Excellence. Je suis si pénétré de cette grâce qu'il me semble que je suis le maître de l'univers. Dieu veuille augmenter tous les jours de plus en plus la vie et le règne de votre grand Empereur, et accroître jusqu'au plus haut degré la gloire, la puissance et l'autorité de Votre Excellence! Je vous dirai à présent que le sieur de Rians, qui était ici Consul de France, est mort le 1er jour de la lune de Zilhidjé, c'est-à-dire le quatrième avril dernier, et a passé de cette vie à l'autre. Dieu veuille vous conserver en parfaite santé! C'est ce qui me donne lieu, dès à présent, de prier Votre Excellence d'avoir la bonté d'envoyer au sieur Antoine Guerin, marchand à Smyrne, les patentes du Consulat de Chio, vous assurant que je vous en aurai toutes sortes d'obligations. Et s'il y a ici quelque occasion de rendre mes très humbles services à Votre Excellence, j'en attendrai toute ma vie l'occasion, sur le premier ordre dont elle voudra bien m'honorer. Ayez donc, Seigneur, la bonté d'expédier incessamment vos ordres à ce sujet. Je prie Dieu qu'il vous conduise toujours dans les voies de la Direction. » (*Archives coloniales de la Marine, Compagnies du Bastion de France*, 1639-1731.)

1. Charles de Ferriol, baron d'Argental, Ambassadeur de France à Constantinople de 1699 à 1711.

2. *Archives coloniales de la Marine.* (*Compagnies du Bastion de France*, 1639-1731.)

3. Voy. p. 21.

la sincère disposition où nous avons toujours été en toute occasion. Nous donnerons tous les ordres nécessaires pour faire exécuter ponctuellement par nos officiers et nos sujets les articles du traité de paix, comptant que vous aurez de votre part la même intention.

Donné en notre château impérial de Versailles, le 4 février 1705.

LOUIS.

الشكل رقم : (109)

LOUIS XIV

A MUSTAPHA, DEY D'ALGER [1].

Fontainebleau, le 7 octobre 1705.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons appris avec joie l'heureux succès de votre expédition contre le Bey de Tunis, et l'avantage que vous avez remporté sur lui presque aussitôt que vous êtes entré sur les terres de ce Royaume [2]. La considération singulière que nous avons

1. *Archives coloniales de la Marine. (Compagnies du Bastion de France,* 1639-1731.)

2. Mustapha, ayant besoin d'argent pour payer sa Milice, entra de nouveau en campagne contre le Bey de Tunis, Hassan ben Ali, qui avait été nommé après la défaite d'Ibrahim. Il envahit son territoire, et le menaça de venir assiéger sa capitale. « Que ne retournez-vous à Alger? vinrent lui dire les Envoyés du Divan de Tunis. Le but de votre expédition n'est-il pas atteint? En marchant sur Tunis, votre intention était de châtier Ibrahim, et le sort des armes, en vous donnant la victoire, vous a rendu maître de sa vie. N'êtes-vous pas amplement satisfait? Quant à nous, représentants de la population tunisienne, nous devons

II. — 3

الشكل رقم : (110) أ

pour votre personne et pour la République d'Alger nous a engagé aussitôt à donner l'ordre au Consul de se rendre auprès de vous pour vous en féliciter, et vous témoigner toute la part que nous prenons à un événement si glorieux pour vous [1].

Nous le chargeons aussi de vous expliquer les justes motifs que nos sujets ont de se plaindre de la conduite des deux derniers Beys, et des injustices qu'ils ont commises contre ceux qui résident à Tunis et contre la Compagnie du Cap-Nègre [2], et de vous demander les ordres nécessaires pour y remédier à l'avenir et pour le maintien de cette Compagnie, dont le commerce est très utile à une partie du Royaume de Tunis [3]. Nous espérons que vous ferez toute l'attention qui sera praticable sur ces représentations, et que vous nous donnerez, en cette occasion, de nouvelles marques du désir que vous avez de conserver notre bienveillance et de maintenir la bonne correspondance entre

être en dehors des conséquences de cette lutte aujourd'hui terminée. » Le Dey d'Alger n'en continua pas moins l'investissement de Tunis, en refusant d'entamer les négociations proposées. *Lettre de Durand au comte de Pontchartrain*, le 25 juillet 1705. — Voy. les *Voyages de Paul Lucas*, t. II, p. 354, et les *Annales tunisiennes*, p. 93.

1. *Lettres de Durand au comte de Pontchartrain*, les 23 mai, 26 septembre et 15 décembre 1703, relatives au voyage que fit Durand au camp du Dey d'Alger, pour s'entendre avec lui sur le choix d'un Bey de Tunis favorable aux intérêts de notre colonie du Cap-Nègre. Son congé expiré, il était revenu à Alger le 5 mai 1705; les Puissances l'avaient fort bien accueilli, et l'avaient vivement complimenté sur la conduite du sieur de Clairambault, « qui avait gouverné les affaires avec toute la prudence et la dextérité que l'on pouvait attendre d'un homme aussi expérimenté que lui ».

2. Le dernier Bey Ibrahim avait retenu prisonnier dans son camp le gouverneur des Concessions françaises, Demarle, lorsque celui-ci était venu se plaindre d'une saisie de caisses de corail pratiquée contrairement aux usages établis. *Lettre de Durand au comte de Pontchartrain*, le 26 août 1703; — *Mémoire pour servir d'Instruction au sieur Durand, Consul à Alger*, le 7 octobre 1705. Voy. pour notre colonie du Cap-Nègre l'*Histoire de La Calle*, par Féraud, p. 294 et suiv.

3. Les principaux administrateurs de la Compagnie du Cap-Nègre, Charles, Simon et Milhau, s'étaient enfuis en Espagne en 1701, après avoir fait faillite, et toutes les autorités de Provence, Arnoul, Lebret, Dusault et de Vauvré, travaillaient à sauvegarder tout au moins l'intérêt public. La Compagnie du Bastion avait été compromise dans cette affaire, et elle avait vu s'engloutir dans ce désastre une partie de ses capitaux. Il fallait désintéresser les anciens associés, de façon que la Compagnie Hély pût exploiter désormais le Cap-Nègre comme tous ses autres comptoirs. Voy. *Mémoire contenant [illegible]stances de ce qui s'est pratiqué dans la banqueroute du Cap-Nègre*; — *État des effets et dettes de la Compagnie du Bastion*, le 1er janvier 1704. Voy. aussi la correspondance de Dusault et d'Arnoul, de 1701 à 1705. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

nos sujets. Le Consul vous expliquera les ordres que nous avons donnés sur ce qui nous a été demandé de votre part.

Écrit en notre château impérial de Fontainebleau, le 7[e] jour d'octobre 1705.

Louis.

الشكل رقم : (110) ج

LOUIS XIV

A HUSSEIN, DEY D'ALGER [1].

Versailles, le 13 janvier 1706.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons reçu avec joie la lettre qui nous a été présentée de votre part [2], pour nous apprendre que vous avez été nommé par la Milice d'Alger pour gouverner la République. Nous étions déjà assez informé de votre mérite particulier pour juger qu'elle ne pouvait faire un meilleur choix. Vous devez attendre de nous, en toute occasion, des marques d'une considération singulière pour votre personne, et tous les égards qui pourront vous faire connaître la sincérité de nos intentions. Nous avons jusqu'à présent fait exécuter avec la plus exacte ponctualité les traités de paix faits entre nos sujets et ceux de la République d'Alger. Nous vous assurons de continuer d'en user de même à l'avenir, et nous renouvelons nos ordres à nos officiers et Commandants de nos vaisseaux, pour les obliger à en observer tout le contenu avec plus d'exactitude encore, s'il est possible. Nous donnons ordre au Comte de Pontchartrain de vous informer de ce qui regarde la prise du Capitaine Jacomo [3].

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 13 janvier 1706.

LOUIS.

1. *Archives coloniales de la Marine.* (*Compagnies du Bastion de France*, 1639-1731.)
2. Voy. p. 37.
3. Voy. la note 1, p. 40.

الشكل رقم : (111)

(26) تجديد الاتفاقية الاقتصادية فى 8 مارس 1707 بين الداى محمد بكداش ولويس الرابع عشر .

(27) تجديد الاتفاقية الاقتصادية فى 30 مارس 1710 بين الداى دالى ابراهيم ولويس الرابع عشر .

(28) تجديد الاتفاقية الاقتصادية فى 14 أغسطس 1710 بينهما .

فى هذه الأثناء انتخب داى جديد ، هو علي شاوش ، فأجابه لويس الرابع عشر على رسالة ، يؤكد له فيها أهمية الحفاظ على العلاقات الطيبة بين رعاياه ورعايا جمهورية الجزائر ، ثم يتمنى له فى الأخير « حكومة أكثر استقرارا » . ونحن نستطيع هنا أن نقول إن التمنى كان فى محله ، سواء كان صادقا أو دبلوماسيا فحسب ... بالنظر إلى المدة التى قضاها هو على العرش ، وعدد الدايات اللامتناهى ... الذين مروا فى الاستعراض أثناء تلك المدة ... (123)

(29) اتفاقية اقتصادية بتاريخ 15 يوليو 1714 بين الداى بابا علي ولويس الرابع عشر .

(30) معاهدة سلم بتاريخ 26 يناير 1718 بين الداى محمد ابن حسن ولويس الخامس عشر . (124)

(31) تجديد معاهدة السلم والتجارة فى 6 ابريل 1718 بين الداى محمد بن حسن ولويس الخامس عشر .

(32) تجديد الاتفاقية الاقتصادية فى 26 يوليو 1718 بينهما .

---

(123) انظر الشكل رقم : 112 .

(124) Reftelius : ibid, t. 2, p. 614.

LOUIS XIV
A ALI, DEY D'ALGER [1].

Versailles, le 1er avril 1711.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons vu avec plaisir, par la lettre que vous nous avez écrite le 10 du mois de janvier [2], les sentiments que vous marquez pour maintenir la paix et la bonne correspondance entre nos sujets et ceux de la République d'Alger. Vous devez être persuadé que, de notre part, nous ne souhaitons rien de plus que la continuation de cette disposition, et que nous profiterons des occasions que nous pourrons avoir de vous marquer notre bonne volonté pour la rendre solide et durable. Celle qui vous a obligé d'envoyer à Marseille le reïs Bekir a été remplie avec toute la promptitude que vous avez pu désirer. Les circonstances extraordinaires dans lesquelles on s'est trouvé, dans ce port et dans celui de Toulon, par les contretemps des saisons, nous ont empêché de rouvrir nos magasins de la mâture, qui ont toujours été garnis jusqu'ici de provisions, mais nous avons donné des

1. *Archives coloniales de la Marine. (Compagnies du Bastion de France,* 1639-1731.)
2. Voy. p. 64.

الشكل رقم : (112)

ordres très pressants à nos Intendants pour vous fournir ce dont vous avez besoin [1], et nous avons été informé qu'on avait mis votre Envoyé en état de remplir entièrement sa commission et de s'en retourner satisfait. Nous espérons que, par ces bons offices, vous serez mieux engagé à continuer de donner aux Commandants de nos vaisseaux et à ceux de nos sujets qui pourront relâcher ou commercer dans les ports de la République d'Alger tous les secours nécessaires. Et pour vous donner des marques de la considération que nous avons pour votre personne, nous avons ordonné de faire mettre en liberté 20 des Algériens ou Turcs qui sont sur les galères, et que nous chargeons notre Consul de vous présenter [2], avec un diamant que nous lui adressons pour vous, et que nous espérons que vous voudrez bien recevoir comme un témoignage de notre bienveillance. Nous vous souhaitons au surplus un Gouvernement tranquille et plein de prospérités.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 1[er] avril 1711.

Louis.

1. Voy. *Lettre du comte de Pontchartrain aux Députés de Marseille*, le 1 mars 1711, leur donnant avis qu'il a autorisé le Dey à faire acheter des mâts à Marseille, mais qu'il a été bien entendu que ce dernier en fournirait le prix, et que cette permission n'était qu'une faveur exceptionnelle. (*Archives de la Chambre de commerce de Marseille*, S. AA, 16 de l'Inventaire.)

2. De Clairambault les avait demandés depuis longtemps déjà sans que la Cour s'en occupât, et plusieurs fois il n'avait pas caché que le peu de succès de ses réclamations rendait ses relations officielles de plus en plus difficiles. « Il est impossible, avait-il écrit dans un moment de découragement, que les affaires ne périclitent pas entre mes mains, le Dey étant persuadé que mon discrédit auprès de Votre Grandeur est le seul obstacle à la liberté des quelques esclaves qu'il demande. Si vous estimez que leur liberté soit une chose trop importante pour en accorder aucun, le seul moyen de prévenir de nouveaux embarras est de nommer un autre Consul. » *Lettres de de Clairambault au comte de Pontchartrain*, les 1[er] et 12 juin 1708, 28 juin et 24 septembre 1709.

تابع للشكل رقم : (112)

وفى السنة الموالية ، 1719 ، أرسل لويس الخامس عشر إلى الداى محمد بن حسن مبعوثه الخاص ، دوزو Dusault ، الذى كان قد أرسله مرارا قبل ذلك لويس الرابع عشر نفسه كمبعوث خاص أيضا ، كما مر . (125)

(33) تجديد معاهدة السلم والتجارة فى 07 ديسمبر 1719 بينهما .

(34) معاهدة سلم وتجارة بتاريخ 20 فبراير 1720 بينهما .

وفى سنة 1721 بعث لويس الخامس عشر برسالة إلى الداى محمد بن حسن يؤكد فيها حرصه على العناية بعلاقات حسن التفاهم مع جمهورية الجزائر، ويتطرق لعدة نقاط جزئية (126) .

(35) تجديد الاتفاقية التجارية بتاريخ 20 مارس 1724 بين الداى محمد كور عبدى ولويس الخامس عشر .

وفى سنة 1729 بعث لويس الخامس عشر برسالة إلى الداى محمد كور عبدى ، جوابا وديا على رسالة منه ، ورد فيها ذكر تبادل الأسرى ، والود ، والتقدير ، والحرص على حفظ السلم ، واحترام المعاهدات . (127)

(36) تجديدها يوم 6 يوليو 1731 بينهما .

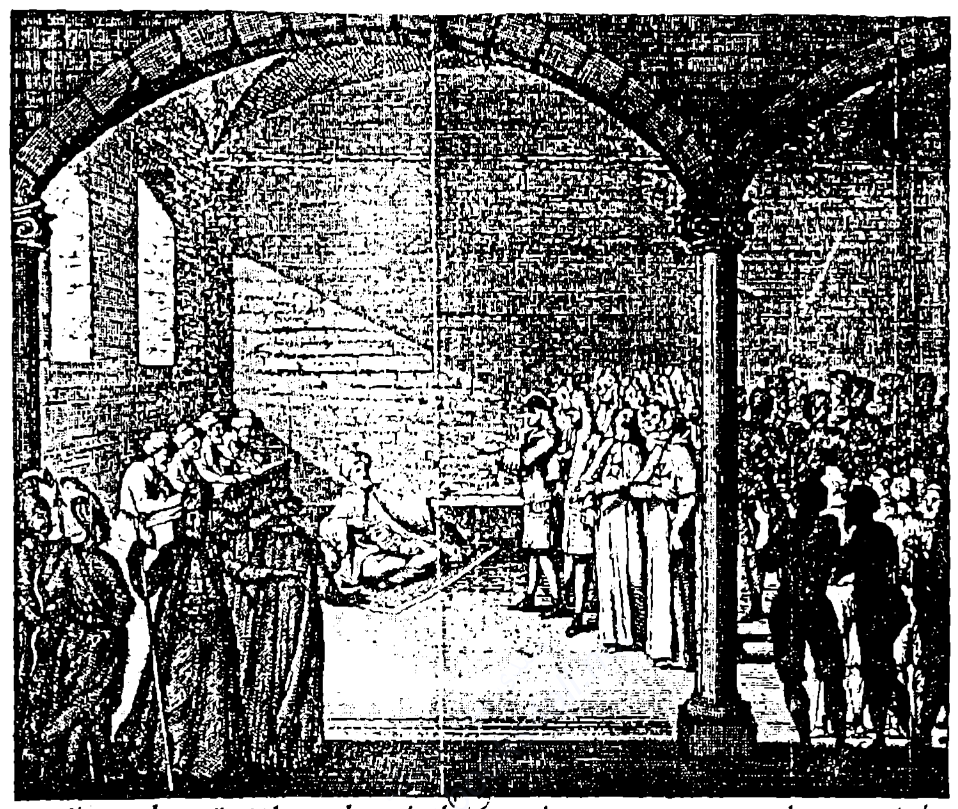
(37) معاهدة تجارية يوم 23 سبتمبر 1731 بينهما .

(38) معاهدة تجارية يوم 10 يونيو 1732 بينهما .

(39) تجديدها يوم 06 سبتمبر 1732 بين الداى بابا إبراهيم ولويس الخامس عشر .

---

(125) انظر الشكل رقم : 113 .
(126) انظر الشكل رقم : 114 .
(127) انظر الشكل رقم : 115 .



Audience du Deï D'Alger donnée le 2 Decbre 1719. à M. Durault Envoié de France accompagné des Religieux Trinitaires pour le rachat des Captifs

– Rachat des Captifs (1719).

الداى محمد بن حسن يستقبل ديزو ، المبعوث الخاص من لويس الخامس عشر ، ملك فرنسا ، إليه (سنة 1719 م)

الشكل رقم : (113)

LOUIS XV
A MOHAMMED, DEY D'ALGER.

Paris, le 27 décembre 1721.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons reçu la lettre que vous nous avez écrite [1], et nous avons vu avec plaisir la justice que vous avez rendue sur les instances qui vous ont été faites par notre Consul, en lui faisant remettre les 33 Français amenés à Alger par les corsaires qui avaient enlevé le vaisseau *La Ville de Cette* [2], dont ils faisaient partie de l'équipage, et qui a été repris sur eux par le Commandant d'une escadre hollandaise, puisque vous avez reconnu qu'il n'y avait eu nulle raison de la part des corsaires d'arrêter ce bâtiment, et que le Capitaine était muni d'un passeport en bonne forme. Nous espérons que vous renouvellerez vos ordres pour empêcher u'aucun retombe dans une pareille erreur, puisque ces sortes d'incidents, contraires à la bonne intelligence que nous voulons maintenir avec la République d'Alger, ne pourraient servir qu'à la troubler et à causer de la perte tant au commerce de nos sujets qu'aux armateurs algériens, par les restitutions qu'ils seraient obligés de faire en arrêtant les bâtiments français contre la disposition des traités. A l'égard des Algériens qui se sont trouvés sur la prise, lorsqu'elle a été enlevée par les Hollandais, nous en faisons demander la liberté avec instance, de même que la restitution du vaisseau et de son chargement. Nous n'oublierons rien pour y parvenir, quoique ce soit par la faute de vos corsaires que cette disgrâce leur est arrivée, et le Consul aura soin de vous informer du succès de vos diligences, mais nous estimons que ce qui vous a été rapporté, que les Français ont donné lieu aux Hollandais de prendre le vaisseau, n'est ni vrai

1. Voy. p. 108.
2. *Lettre de Loup au Conseil de Marine*, le 29 janvier 1720. (*Archives de la Chambre de commerce de Marseille*, S. AA, 474 de l'Inventaire.)

ni possible; peut-être qu'il leur était plus avantageux d'aller à Alger, où ils auraient été relâchés, que de s'exposer, en tombant entre les mains des Hollandais, aux difficultés qu'on en peut essuyer. Ces Français n'étant que 5 en nombre, avec 27 Algériens, n'auraient pu rien tenter contre la volonté de ces derniers.

Notre Consul nous a fait savoir que vous aviez agréé que son Chancelier [1] passât à Oran, pour y exercer l'emploi de Vice-Consul de la nation française, suivant le brevet que nous lui en avons accordé [2]. Nous vous prions de lui donner une lettre de votre part pour le Bey de cette ville, et de lui recommander de le protéger dans l'exercice de ses fonctions, de même que les Français qui pourront s'y établir. Nous vous souhaitons au surplus toute la prospérité que mérite votre personne, pour laquelle nous aurons toujours toute l'estime et l'affection qu'elle peut attendre de notre sincère et parfaite amitié.

Écrit en notre château impérial, à Paris, le 27 décembre 1721.

LOUIS.

تابع للشكل رقم : (114)

LOUIS XV

A ABDI, DEY D'ALGER.

Versailles, le 24 août 1729.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous nous sommes fait lire votre lettre du 25 juin [2], et nous avons vu avec plaisir les assurances que vous nous donnez du

1. Voy. *Lettres de Durand au comte de Maurepas*, le 14 juillet 1729, *et du comte de Maurepas à Durand*, le 24 août 1729.
2. Voy. p. 136.

désir que vous avez d'entretenir la paix et la bonne correspondance entre vous et nos sujets. Nous regardons comme une marque de la sincérité de vos sentiments l'ordre que vous avez donné de remettre à notre Consul à Tunis les 13 Français qu'un marchand d'Alger avait amenés de Tripoli; quoiqu'on nous ait rapporté que la chose s'est passée autrement que vous nous le mandez, nous en sommes satisfait, et, pour vous en marquer notre contentement et l'estime particulière que nous avons pour vous, nous donnons nos ordres afin que l'on vous renvoie 19 de vos sujets qui sont esclaves sur nos galères. Nous nous remettons, au surplus, à ce que le sieur comte de Maurepas vous mandera de notre part sur les autres esclaves que vous demandez, et sur diverses infractions faites aux traités par quelques-uns de vos corsaires [1], et comme nous ne doutons point que vous ne nous en fassiez faire de justes réparations, nous vous assurons aussi de nos dispositions sincères à maintenir la paix et la bonne intelligence entre nos sujets et les vôtres. Sur ce nous prions Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa sainte garde.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 24 août 1729.

Louis.

الشكل رقم : (115)

(40) تجديدها يوم 15 ديسمبر 1743 بينهما .

(41) تجديدها يوم 2 نوفمبر 1745 بين الداى إبراهيم الصغير ولويس الخامس عشر .

(42) تجديدها يوم 18 فيفرى 1748 بين الداى محمد بن بكر ولويس الخامس عشر .

(43) تجديدها يوم 29 ديسمبر 1754 بين علي باشا ولويس الخامس عشر .

(44) معاهدة سلم وتجارة يوم 16 يناير 1764 بين الداى بابا علي ولويس الخامس عشر . (128)

(45) معاهدة تجارية يوم 23 مايو 1767 بين الداى محمد عثمان ولويس الخامس عشر .

(46) تجديدها يوم 10 يونيو 1768 بين الداى محمد عثمان ولويس الخامس عشر .

وفى سنة 1774 مات لويس الخامس عشر ، وخلفه لويس السادس عشر ، فبعث رسالة إلى الداى محمد عثمان (بابا محمد) يخبره فيها بوفاة سلفه ، وبتعيينه مكانه ، « طبقا للحقوق الموروثة والقوانين الأساسية لأمبراطورية فرنسا » ، ويؤكد له حرصه على استمرار السلم والصداقة بين البلدين وتوطيدهما الخ ... (129)

وفى السنة التالية (1775) ، بعث لويس السادس عشر برسالة إلى الداى محمد عثمان يخبره فيها بأن حماته « العزيزة والمحبوبة جدا قد رزقت بوليد » ، (وهى زوجة أخيه الكونت دارتوة

(128) انظر الشكل رقم : 116 .
(129) انظر الشكل رقم : 117 .

12.

1764 *Traité de-paix de la France avec le Dey et la*
16 Janv. *Régence d'Alger, arrêté le 16 Janvier 1764* *)

(*Koch* table etc. et Recueil T. II. pag. 169.)

ART. I.

Oubli du passé. L'an de l'Hégire 1177 et le 12, de la lune de Régeb, (ce qui revient au 16 Janvier 1764), il a été convenu entre Mr. *Louis de Fabry*, chevalier de l'ordre royal et militaire de St. Louis, capitaine de vaisseau, major des armees navales, commandant l'escadre de l'empereur [illegible] de,

*) De ce traité il n'a été donné qu'un extrait imparfait dans m. recueil Tome IV. p. 40.

De Martens : ibid, suppl. t, III.

الشكل رقم : (116)

de France mouillée actuellement en cette rade, muni des pouvoirs de Sa Majesté impériale pour terminer les différens survenus avec la regence d'Alger, et les seigneurs Dey, Bacha, Divan et Milice d'Alger, savoir, que tous les griefs antecedens, survenus entre les deux nations, sont oubliés de part et d'autre : au moyen de quoi le dit Sr. chevalier de Fabry, au nom de l'empereur de France, et le Divan au nom de la milice, n'auront plus rien à s'entredemander.

ART. II.

Que les corsaires d'Alger venant à rencontrer en mer des batimens françois, et se faisant reciproquement du mal, contre ce qui est porté par le traité, on examinera si c'est le François ou l'Algerien qui a tort; et après avoir verifié les faits, si c'est l'Algerien qui soit coupable, le Dey d'Alger promet de le faire châtier rigoureusement pour l'exemple; et si c'est le François, il sera remis entre les mains du consul de France, qui sera pareillement obligé de le faire châtier.

Punition des excès futurs.

ART. III

Que, survenant quelques discussions entre l'empereur de France et la regence d'Alger, et dans le cas même où il y auroit rupture ce qu'à Dieu ne plaise, il y aura trois mois de terme pour que tous les François residens dans le royaume d'Alger puissent se retirer avec leurs biens, marchandises et effets.

Cas de rupture.

ART. IV

Qu'en cas de rencontre entre les corsaires d'Alger et les batimens françois, et dans le cas même où il y auroit eu combat, la regence d'Alger ne s'en formalisera pas, et ne pourra, pour cause des dits combats, faire aucun mal aux François residens à Alger, non plus qu'à ceux de la compagnie d'Afrique, promettant la dite regence de ne jamais plus maltraiter les dits François, mais de châtier ceux des siens qui auront tort.

Sureté des françois à Alger.

E 3 ART.

تابع للشكل رقم : (116)

LOUIS XVI

A BABA MOHAMMED, DEY D'ALGER.

Versailles, le 12 mai 1774.

Illustre et magnifique Seigneur,

Dieu vient d'appeler à lui notre très honoré Seigneur et aïeul Louis XV, Empereur de France, de glorieuse mémoire. Il nous

1. Ce nouveau Consul arriva à Alger le 1er décembre 1773 sur la frégate *La Sultane*, commandée par M. de Taulanne, et y reçut « l'accueil le plus affectueux et le plus distingué que l'on pût désirer ». Voy. *Lettre de Vallière à M. de Boynes*, le 8 décembre 1773. — Voy. aussi *Note des présents à distribuer par M. Langoisseur de la Vallée, lors de son arrivée à Alger*. L'état ne désigne pas moins de 92 personnes, et le total s'élève à 16 891 l. 7 s. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger*.)

الشكل رقم : (117)

serait impossible de vous exprimer la douleur et l'affliction où nous a jeté un coup aussi affreux qu'inattendu. Ce Prince a succombé avant-hier [1], à la suite d'une maladie cruelle; la Providence nous a enlevé et à ses peuples le plus tendre des pères et le meilleur des Empereurs, et les étrangers perdent un ami de l'humanité, un allié fidèle et sincère. Nous connaissons trop les sentiments qu'il vous avait inspirés pour n'être pas assuré que vous donnerez des regrets à la mémoire de cet auguste Monarque. Le droit de notre naissance et les lois fondamentales de l'Empire de France nous ont appelé au trône de nos ancêtres, et nous avons pris les rênes de l'Empire français au milieu des acclamations de nos peuples, qui nous ont donné les marques les plus vraies de leur respect et de leur amour pour notre personne sacrée. Dieu, qui lit dans tous les cœurs, est témoin que nous n'avons d'autre désir que de marcher sur les traces de notre auguste aïeul; la droiture et la justice seront toujours le fondement et le lien de l'attachement de nos sujets comme de l'amitié des nations étrangères.

Nous confirmons d'autant plus volontiers les traités qui existent entre la France et la Régence d'Alger que nous sommes convaincu que vous en remplirez fidèlement les conditions, et que vous rendrez à notre Couronne impériale et à nos sujets tout ce qui peut affermir de plus en plus la paix, l'amitié et la correspondance la mieux établie. C'est dans cette confiance que nous avons voulu vous assurer nous-même de notre affection et de notre haute bienveillance.

Nous envoyons nos pleins pouvoirs au sieur de la Vallée, que nous confirmons dans sa place de Consul et de Chargé de nos affaires auprès de vous [2]. Nous lui donnons ordre de vous présenter cette lettre, et nous vous requérons d'ajouter entière foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom. Sur ce nous prions Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa sainte et digne garde.

Écrit en notre château impérial de Versailles, le 12 mai 1774.

LOUIS.

1. Le 10 mai 1774.

2. Voy. *Lettre de M. de Boynes à de la Vallée*, le 12 mai 1774, contenant des instructions spéciales au sujet de l'avènement du nouveau Roi.

تابع للشكل رقم : (117)

(le Comte d'Artois ، الذى سيصبح ، فيما بعد ... الملك شارل العاشر ، « صاحبنا » ...) .

ثم يقول للداى : « إنى أخبركم بذلك لأنى اعلم أنه سيسركم ذلك ... كما سنبتهج نحن بأى حادث سعيد سار يحدث لديكم » . (130)

وفعلا ، فقد أجابه الداى محمد عثمان برسالة يقول له فيها : « إن الخبر سرنا أبلغ السرور » . (131)

إلى هذا الحد بلغت « الألفة » بين دايات الجزائر وملوك فرنسا، وبيادرة من هؤلاء الأخيرين ! ثم يقال : « إن الجزائر لم تكن لها دولة ولا أمة » !

ورسالة أخرى من لويس السادس عشر إلى الداى محمد عثمان يخبره فيها بحادث « سعيد » جديد فى أسرته ، وهو ازدياد وليد له ، هذه المرة ، أو أمير ، « تمخضت عنه زوجتى ومرافقتى العزيزة جدا » ، « واستعجل بإبلاغكم خبر هذا الحدث العظيم لعلمى بعواطفكم ... » ، الخ ، ويتمنى للداى فى الأخير كل خير وازدهار ... (132)

وتمر بضع سنين ثم تأتى منه رسالة جديدة إلى الداى محمد عثمان يقترح عليه فيها تعديل بعض بنود معاهدات سابقة « لزيادة تعزيز العلاقات بين **الأمبراطورينين** » . (133)

---

(130) انظر الشكل رقم : 118 .
(131) انظر الشكل رقم : 119 .
(132) انظر الشكل رقم : 120 .
(133) انظر الشكل رقم : 121 .

LOUIS XVI

A BABA MOHAMMED, DEY D'ALGER.

Versailles, le 6 août 1775.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous vous informons avec plaisir que Madame la comtesse d'Artois [1], notre très chère et bien aimée belle-sœur, vient d'ac-

de 1830. Le prix convenu entre lui et Baba Mohammed, pour l'établissement d'une nouvelle fonderie et la fabrication d'un certain nombre de pièces d'artillerie, fut de 3000 sequins algériens (28 687 l. 10 s.). Voy. *Mémoire du sieur Vallière sur la fonderie d'Alger*, le 6 février 1772, — *Lettres de Vallière à M. de Boynes*, les 6 février 1772, 31 août, 27 octobre et 8 décembre 1773, — *Lettres de M. de Boynes à Vallière*, le 5 juin 1774, *et de de la Vallée au comte de Sartine*, le 26 juin 1775. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

1. Marie-Thérèse de Savoie. On sait que le comte d'Artois, petit-fils de Louis XV, devint plus tard Charles X.

coucher heureusement d'un Prince que nous avons nommé le duc d'Angoulême [1]. Après avoir remercié l'Être Tout-Puissant de cette faveur, nous n'avons rien de plus pressé que d'en faire part aux Princes nos amis et alliés. Nous comptons trop sur les sentiments qui nous lient à votre personne pour ne pas être assuré que vous apprendrez avec satisfaction un événement qui nous a rempli de joie. Vous devez être bien persuadé que nous prendrons toujours beaucoup de part à tout ce qui vous arrivera d'heureux. Nous ferons des vœux pour votre prospérité, et nous prierons Dieu, illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous ait en sa sainte et digne garde.

Fait au château impérial de Versailles, le 6 août 1775.

Louis.

الشكل رقم : (118)

BABA MOHAMMED, DEY D'ALGER,

A LOUIS XVI.

Alger, le 2 septembre 1775.

(Sceau)
MOHAMMED,
Dey d'Alger la bien gardée.

Au très illustre et très magnifique Empereur de France, le plus grand des Princes qui professent la religion du Messie, notre haut et puissant ami, Salut.

Après nous être informé de l'état de votre santé, pour la conservation de laquelle nous formons les vœux les plus sincères et les plus constants, et après vous avoir exposé ceux que nous y joignons pour la durée et la prospérité de votre règne, nous nous empressons de vous témoigner la joie que nous avons ressentie, lorsque votre Consul nous a remis de votre part

1. Il épousa en 1799 la fille de Louis XVI, Marie-Thérèse-Charlotte, sa cousine.

الشكل رقم : (119)

la lettre pleine d'amitié que vous nous avez écrite, en date du 6 août dernier [1]. La nouvelle agréable et intéressante que vous avez bien voulu nous donner que votre illustre frère, le comte d'Artois, était devenu père d'un fils que vous avez nommé duc d'Angoulême, nous a causé la plus grande satisfaction. Votre amitié pour nous, et celle qui nous unit depuis si longtemps à votre Couronne, exigent de nous que nous prenions la part la plus sincère aux événements qui peuvent concourir à votre satisfaction. Nous souhaitons au Prince nouveau-né les jours les plus longs et les plus heureux, et, pour que notre joie soit complète, nous unissons nos vœux à ceux de votre peuple pour que le Ciel vous soit propice, en vous accordant des enfants qui marchent sur vos traces et qui soient dignes de vous. Puissent nos vœux être exaucés par l'assistance de Jésus, de Marie et de l'ange Gabriel! Ainsi soit-il!

Très illustre et très puissant Empereur, très haut et ancien ami, vous n'ignorez pas qu'en vertu des traités et de l'amitié qui nous unissent, votre nation et vos sujets jouissent chez nous d'un degré d'estime et de considération que nous n'accordons pas à nos autres alliés. Nous n'avons pas lieu de nous plaindre de cette déférence envers vous, par le zèle et l'empressement avec lequel vous nous servez dans les affaires les plus difficiles et les plus épineuses; c'est ce qui doit nécessairement nous porter à cultiver l'amitié et la bonne intelligence qui règnent entre nos deux nations. Aussi sommes-nous disposé à exécuter ponctuellement les articles des traités conclus entre nous, dans tous les cas qui se présenteront et dans toutes les affaires où l'équité n'aura point à souffrir d'atteinte. Nous espérons que vous voudrez bien agir avec nous selon les mêmes principes.

Veuille le Dieu Tout-Puissant prolonger vos jours et les faire prospérer!

Fait et écrit à Alger la forte et la bien gardée, le 2 septembre 1775 de Jésus-Christ.

1. Voy. p. 321.

LOUIS XVI
A BABA MOHAMMED, DEY D'ALGER.

Versailles, le 22 octobre 1781.

Illustre et magnifique Seigneur,

L'Être suprême a mis le comble à mes souhaits et aux vœux de la France par la naissance d'un Prince [1] dont la Reine, ma très chère épouse et compagne, vient d'être heureusement délivrée. Je m'empresse de vous notifier ce grand événement, qui assure le bonheur de mes peuples en perpétuant la race impériale. Je compte trop sur vos sentiments pour ne pas être assuré que vous apprendrez avec plaisir une nouvelle aussi heureuse pour mon illustre famille que pour mes sujets. Je fais des vœux pour votre prospérité, et je prie Dieu, illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous ait en sa sainte et digne garde.

Fait en notre château impérial de Versailles, le 22 octobre 1781.

Louis.

الشكل رقم : (120)

LOUIS XVI
A BABA MOHAMMED, DEY D'ALGER.

Paris, le 6 décembre 1789.

Illustre et magnifique Seigneur,

Le désir que nous avons de terminer radicalement les différents que des malentendus ont élevés depuis quelque temps entre la France et la Régence d'Alger, d'y remédier pour l'avenir

الشكل رقم : (121)

en insérant quelques modifications ou changements dans les articles des traités qui subsistent entre nous, et qui sont relatifs à la démarcation des limites assignées sur nos côtes aux courses de vos bâtiments de guerre, aux passeports que nous faisons délivrer à nos bâtiments de commerce et à la réclamation de ceux des dits bâtiments qui ont été arrêtés, est le motif qui nous détermine à envoyer devers vous le chevalier de Sainneville, l'un des premiers officiers de nos armées navales, en qualité de notre Envoyé, pour mettre la main à un ouvrage si salutaire, déterminer ses conditions, en signer l'acte authentique, et proroger la durée de la paix que nous désirons vivement de voir perpétuer entre les deux Empires[1]. Nous lui avons remis à cet effet nos pleins pouvoirs, avec ordre de vous assurer de la sincérité de nos intentions. Nous l'avons chargé en même temps de vous présenter cette lettre, pour vous prier d'ajouter foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom, et pour vous offrir les témoignages de notre amitié et de notre considération personnelle.

Sur ce nous prions Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa sainte garde.

Fait en notre château impérial du Louvre de Paris, le 6 décembre 1789.

LOUIS.

1. Le Consul avait demandé à la Cour d'envoyer à Alger « une personne qui joignît à un extérieur imposant un caractère ferme et l'habitude de négocier ». Pendant que le chevalier de Sainneville se disposait à aller remplir la mission dont il s'agit, le Ministre jugeait nécessaire de faire intervenir la Porte dans nos différends avec la Régence, et le comte de Choiseul-Gouffier obtenait du Sultan l'envoi d'un commissaire, Hussein-Effendi-Zadé Saïd-Bey, muni des firmans nécessaires pour amener la réconciliation des deux pays. Cette ambassade nous coûta 110 000 l. — Voy. *Mémoire pour servir d'Instruction et pleins pouvoirs donnés au sieur chevalier de Sainneville, Chef de division des armées navales, Envoyé de Sa Majesté près le Dey et la Régence d'Alger*, 1789, — *Mémoire remis par le comte de Choiseul-Gouffier à la Sublime Porte*, le 8 mars 1790, — *Lettres du comte de Choiseul-Gouffier à de Kercy*, le 22 octobre 1789, — *du comte de La Luzerne à de Kercy et aux Échevins de Marseille*, les 8 février, 25 mars 1789 et 3 janvier 1790, — *de de Kercy au comte de La Luzerne*, les 24 septembre et 10 octobre 1788, 5 juin, 22 juillet et 3 août 1789, — *du comte de La Luzerne au comte de Choiseul-Gouffier*, le 25 mars 1789. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger*, et *Archives de la Chambre de commerce de Marseille*, S. AA, 113 de l'Inventaire.)

(47) معاهدة سلم وتجارة فى فيفريى 1790 بين الداى محمد عثمان ولويس السادس عشر . (134)

(48) معاهدة سلم وتجارة يوم 29 مارس 1790 بين الداى محمد عثمان ولويس السادس عشر وتجديد المعاهدات السابقة . (135)

وندرج هنا جوابا (136) من الداى محمد عثمان على رسالة لويس السادس عشر التى كان قدمها له المبعوث الخاص من الملك السادس عشر ، وفيه ذكر للمصادقة التى ذكرناها منذ حين .

(49) اتفاقية تجارية يوم 23 يونيو 1790 بين الداى محمد عثمان ولويس السادس عشر .

(50) تجديد معاهدة السلم والتجارة يوم فاتح يوليو 1791 بينهما .

وهنا نجد رسالة من الداى الجديد ، حسن (أو بابا حسن) ، إلى لويس السادس عشر يعلمه فيها بوفاة الداى محمد عثمان وبانتخابه ، خلفا له ، ويستعير منه سفينة سياحية فاخرة لتحمل وفدا جزائريا مع هدية إلى الخليفة العثمانى ، رمزا للولاء الروحى المعنوى ، مثلما كانت سلطة معنوية للبابا على رؤساء الدول المسيحية .

وإذ يستعير سفينة فاخرة ، فلأن الأسطول الجزائرى لم يكن يعنى بالجانب الترفيهى السياحى ، بل هو مكرس بكليته للدفاع . (137)

(134) De Martens : ibid, t. VII, p. VII.

(135) انظر الشكل رقم : 122 .

(136) انظر الشكل رقم : 123 أ ، 123 ب .

(137) انظر الشكل رقم : 124 أ ، 124 ب .

Renouvellement des Traités entre la France et Alger conclu le 29 mars 1790.

Le sujet de cet Écrit est : qu'en cette courante année 1204 de l'Hégire et dans les premiers jours de Redgeb, le Marquis *de Baudot Sainneville*, Chevalier de Saint-Louis, Chef de Division des Armées Navales de France, ayant été envoyé auprès du Très-Illustre et Magnifique Mohammed-Pacha en qualité d'Envoyé Extraordinaire de la part de l'Empereur de France, il a été convenu que les anciens Traités faits entre la France et Alger, notamment celui de l'an 1132 de l'Hégire (1719), avec les articles qui y ont été ajoutés depuis à différentes époques, seront maintenus en totalité dans toute leur valeur, pourvu qu'il ne soit point donné de passeports françois à des étrangers, ce qui ne pourrait se faire sans occasionner de la mésintelligence entre les deux Puissances Contractantes. De sorte, que, la Paix ayant été renouvelée aux mêmes clauses et pactes que ci-devant, ce renouvellement de Paix entre les deux Puissances durera pendant cent ans consécutifs.

Fait à Alger, le 12 de Redgeb l'an 1204, correspondant au 29 mars 1790. Signé à l'original ci-contre, duement scellé du grand Sceau, Mohammed Pacha Deï, Gouverneur d'Alger la bien-gardée.

BAUDOT DE SAINNEVILLE.

Et ainsi, quoique dans les anciens Traités faits entre la France et Alger, il soit dit : « que par égard pour l'Empereur de France, les Corsaires de la Régence doivent faire leur course à trente mille des côtes de France »; cependant, comme cette stipulation est un sujet de discussions fréquentes entre les deux Puissances, elles sont conve-

الشكل رقم : (122)

nues de l'abolir, et dorénavant les limites de l'immunité, tant pour les vaisseaux algériens que pour leurs ennemis, sont fixées à la portée du canon des côtes de France et des côtes de Corse, soit que sur le rivage il y ait des canons, soit qu'il n'y en ait pas; de façon que, dans l'espace de ces nouvelles limites, les Corsaires Algériens doivent être à l'abri de leurs ennemis, et eux aussi ne doivent inquiéter, en aucune manière, les bâtiments ennemis de la Régence qui s'y trouveront. Mais l'exécution de cet article ne commencera à avoir lieu que quatre mois après la signature du présent renouvellement afin que la Cour de France ait le temps d'en prévenir les Puissances Étrangères.

Fait à Alger le 12 de Redgeb 1204, correspondant au 29 mars 1790.

S'il est jugé convenable de changer les Passeports que la Cour de France a coutume de donner à ses navires marchands, on les fera dans une nouvelle forme. Au reste, conformément aux anciens pactes et conditions qui sont ici renouvelés, notre Paix sera ferme et constante, et durera l'espace de cent ans.

Fait à Alger le 12 de Redgeb 1204, correspondant au 29 mars 1790. Signé à l'original ci-contre, dûment scellé du grand Sceau, Mohammed Pacha Deï, Gouverneur d'Alger la bien-gardée.

BAUDOT DE SAINNEVILLE.

تابع للشكل رقم : (122)

santé est fort altérée depuis quelque temps, et comme elle est précieuse au service de Sa Majesté Impériale, je me propose de lui obtenir un congé pour venir respirer l'air natal, lorsque tout sera terminé. Quant au sieur Venture, il n'est que passagèrement à Alger, et a des fonctions à remplir auprès de Sa Majesté Impériale qui obligent à le faire revenir; le chevalier de Sainneville a ordre de le ramener avec lui, et de laisser à sa place le sieur Sielve [1], si le sieur de Kercy a besoin d'un interprète.

Daignez agréer avec votre bonté ordinaire mes vœux pour votre conservation. Ils me sont inspirés par l'attachement et la considération distinguée avec lesquels je suis plus cordialement et plus véritablement que personne au monde,

Très illustre et magnifique Seigneur,

Votre très parfait et sincère ami.

LA LUZERNE.

BABA MOHAMMED, DEY D'ALGER,
A LOUIS XVI.

Alger, le 4 avril 1790.

(Sceau)
MOHAMMED,
Dey et Gouverneur d'Alger.

A Sa Majesté Louis, l'élite des Monarques chrétiens, le plus glorieux des Grands parmi les nations de la croyance du Messie, le très auguste, très sincère, très affectionné Empereur de France, notre grand et ancien ami. — Puisse son existence être comblée de bénédictions! Daigne le Ciel le diriger sans cesse dans le chemin de la droiture! —

Après avoir offert à Votre Majesté les vœux les plus ardents et les expressions de l'amitié la plus pure, notre premier

1. Joseph-Charles Astoin-Sielve, qui fut nommé Chancelier du Consulat d'Alger le 27 mars 1790. Voy. sa correspondance avec les Échevins de Marseille. (*Archives de la Chambre de commerce de Marseille*, S. AA, 492-500 de l'Inventaire.)

devoir est de nous informer de l'état de votre santé. Si nos prières sont exaucées, il n'est sorte de prospérités et de bonheur dont vous ne jouissiez pendant un règne aussi long que glorieux.

Nous étions occupé de ces souhaits et de nos sentiments les plus sincères pour Votre Majesté, lorsque son Envoyé, M. le chevalier de Sainneville, nous a remis le 26 février la lettre pleine d'amitié dont elle nous a honoré [1]; nous en prîmes lecture avec le plus grand empressement, et nous appréciâmes avec reconnaissance toutes les expressions contenues dans cette dépêche et qui portaient le caractère de l'éloquence du cœur. Nous fîmes en conséquence appeler auprès de nous l'Envoyé de Votre Majesté et son Chargé d'affaires résidant à Alger, et nous leur montrâmes les plus favorables dispositions à les entendre sur les points principaux de leurs instructions [2].

Il en est résulté un écrit par lequel nous nous sommes engagé à confirmer la paix qui subsiste entre les deux Empires depuis un temps infini, et à l'observer dans sa plénitude à la satisfaction des deux partis, et c'est à la suite de notre ancien traité que cet écrit a été consigné [3].

Il nous reste à désirer que la Vérité éternelle daigne raffermir et fortifier les nœuds de l'amitié qui nous unissent à Votre

1. Voy. p. 389. M. de Sainneville arriva à Alger le 26 mars 1790 sur la frégate du Roi *L'Iris*, commandée par le chevalier de Ligondez, et repartit le 4 avril. Voy. *État de la dépense faite d'ordre de M. de Kercy à l'occasion de la venue en cette rade de la frégate du Roi L'Iris, commandée par le chevalier de Ligondez*, le 31 mars 1790.

2. Voy. *Lettre du chevalier de Sainneville au comte de La Luzerne*, le 10 avril 1790, rendant compte de sa mission. « Le Dey a montré beaucoup d'humeur dans la première audience, et m'a paru aussi exigeant qu'il pouvait l'être. Il a seulement consenti à ajouter au traité une clause établissant le renouvellement de la paix centenaire, et une nouvelle démarcation de limites, pour la course de ses corsaires, à la portée du canon des côtes de France et de Corse. Mohammed a consenti à laisser les Concessions à la Compagnie moyennant 2 000 sequins de plus tous les deux mois. » — Voy. aussi *Compte particulier de M. de Sainneville en 1790*, — *Fonds accordés en 1790 pour la négociation avec Alger*, et *Rapport sur les dépenses de l'affaire d'Alger*, le 4 septembre 1790, soit 330 000 l., — *Récapitulation des présents de l'Envoyé du Roi*, le 5 juin 1789, — *Lettres du comte de La Luzerne à de Kercy*, les 31 janvier et 28 avril 1790, *et de de Kercy au comte de La Luzerne*, les 6, 23 avril et 7 août 1790. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger*.)

3. L'original du traité du 29 mars 1790 est aux *Archives des Affaires étrangères, Salle des Traités*. Il a été publié dans les recueils de MM. Tétot et de Clercq.

الشكل رقم : (123) ب

Majesté, et que la divine Providence ne nous permette jamais de nous écarter de la bonne voie. Ainsi soit-il!

A Alger, séjour de la guerre contre les infidèles, le 19 de la lune de Redjeb, l'an de l'hégire 1204, c'est-à-dire le 4 avril 1790.

Traduit par Ruffin, Secrétaire-interprète du Roi, le 28 mai 1790.

الشكل رقم : (123) جـ



SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,

A LOUIS XVI.

Alger, le 15 juillet 1791.

(Sceau)

HASSAN,

Dey et Gouverneur d'Alger la bien gardée.

Au plus grand des Souverains chrétiens, à l'élite des Chefs des nations qui professent la religion du Messie, notre très

1. Voy. *Lettre des Députés de la Chambre de commerce de Marseille à Vallière*, le 19 mai 1791. La Chambre était autorisée à faire à notre agent l'avance de 6 655 sequins. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

الشكل رقم : (124) أ

grand et très fidèle ami, l'auguste Empereur de France. — Que Dieu couronne de bénédictions sa glorieuse carrière, et dirige ses pas dans le chemin de la justice et de la droiture! — Salut et prières!

Nous offrons à Votre Majesté Impériale nos vœux les plus ardents et les plus étendus pour sa conservation et sa félicité. Puisse-t-elle jouir d'une santé inaltérable et d'une satisfaction sans bornes! Ainsi soit-il! par Jésus, fils de Marie.

Nous avons l'honneur de notifier à Votre Majesté Impériale que notre illustre prédécesseur Mohammed, Dey et Gouverneur de notre victorieuse Régence d'Alger, en exécution des décrets de la Providence qui a condamné tout être vivant à goûter le calice de la mort, a quitté en dernier lieu cette vie périssable pour passer à l'éternité, et que nous, Sidi Hassan, ci-devant Khaznadji, avons immédiatement succédé à ce Prince, — dont le tombeau soit sanctifié [1]! —

Nous devons, suivant l'usage, envoyer à la Sublime Porte des présents d'une grande valeur à l'occasion de notre heureux avènement, et nous avons à faire à Votre Majesté une demande à cet effet. Nous la prions de destiner à ce voyage le Capitaine Doumergue, qui se trouve actuellement en France, et de vouloir bien lui faire donner le vaisseau que ce navigateur désignera et le lui laisser armer comme il l'entendra. En un mot nous demandons à Votre Majesté Impériale, au nom de l'amitié qui nous unit, qu'il soit consigné au dit Capitaine un vaisseau grand et neuf, pourvu de toutes les munitions nécessaires. C'est ainsi que nous en sommes convenu avec le dit navigateur. La célérité qui sera mise à cette expédition ajoutera un grand prix au bienfait et de nouveaux motifs à notre reconnaissance [2].

1. Baba Mohammed mourut à l'âge de 81 ans, le 12 juillet 1791; il fut aussitôt remplacé par Sidi Hassan, son fils adoptif, qui ratifia nos traités le même jour, à la demande de Vallière. Voy. *État des présents faits par le sieur Vallière à l'occasion de l'avènement du nouveau Dey,* soit 7233 l. 17 s.

2. Voy. *Lettre de Vallière au Vice-Amiral Thévenard,* le 28 juillet 1791. « Le nouveau Dey m'a fait l'accueil le plus flatteur et les démonstrations les plus amicales; la jalousie des étrangers s'est alarmée déjà d'un fantôme de faveur. Mais Hassan est Algérien, impatient par conséquent, et il me sollicite journellement pour la plus grande diligence dans l'expédition du bâtiment qu'il a



Nous osons donc espérer qu'à la réception de cette lettre, Votre Majesté Impériale donnera les ordres les plus précis pour l'armement et le départ du vaisseau indiqué.

Que Dieu lui accorde la continuation d'une bonne santé, et nous fasse tous persévérer dans la droite voie, sans permettre que nous nous en écartions! Ainsi soit-il!

Écrit à Alger, le centre de la guerre contre les infidèles, le 14 de la lune de Zilcadé, l'an de l'hégire 1205, ou le 15 juillet 1791.

Le vaisseau que nous désirons est un vaisseau de guerre, ce n'est pas un vaisseau marchand. Nous attendons cette faveur de Votre Majesté Impériale avec toute la confiance de l'amitié qui nous unit depuis longtemps.

Traduit par RUFFIN, Secrétaire-interprète du Roi, le 7 août 1791.

الشكل رقم : (124) ب

ويتلوها مباشرة جواب لويس السادس عشر ، يهنئه فيه ويجيبه إلى طلبه . (138) .

علاقات جمهورية الجزائر بالثورة الفرنسية :

نتذكر أن الثورة الفرنسية قامت يوم 14 يوليو 1789 . ولكنها لم تلغ الملكية منذ اليوم الأول ، بل أبقت على لويس السادس عشر ، الذى تغير لقبه الرسمى من ملك فرنسا إلى ملك الفرنسيين ، حتى خلع يوم 10 أوت 1792 ، وأعلنت الجمهورية يوم 21 سبتمبر 1792 ، وبدأ تأريخ جميع الوثائق الرسمية الفرنسية ، ابتداء من اليوم التالى : 22 سبتمبر ، بصيغة : « العام الأول للجمهورية(l'An 1 de la République) » ، التى أعلن عنها فى اليوم التالى : 23 سبتمبر ، أنها « واحدة لا تتجزأ (Une et indivisible). وهنا يبدأ فصل جديد فى تاريخ العلاقات الجزائرية الفرنسية .

ففى 03 مايو 1793 بعث « المجلس التنفيذى المؤقت للجمهورية الفرنسية » رسالة إلى « سيدى حسن ، داى الجزائر » ، يعلمه فيها « **بالتغيرات الطارئة** » فى فرنسا ، ويرسل بأوراق الاعتماد لمثله الدبلوماسى فى الجزائر مجددا له الثقة ... (139)

(51) وأجابه الداى حسن بتاريخ 20 مايو 1793 معترفا بالجمهورية الفرنسية الأولى ومجددا المصادقة على المعاهدات الجزائريةالفرنسية السابقة للثورة الفرنسية (140)

---

(138) انظر الشكل رقم : 125 .
(139) انظر الشكل رقم : 126 .
(140) أ ـ انظر الشكل رقم : 127 أ
ب ـ انظر الشكل رقم : 127 ب
جـ ـ انظر الشكل رقم : 127 جـ
د ـ انظر الشكل رقم : 127 د

LOUIS XVI

A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER.

Paris, le 16 septembre 1791.

Nous avons reçu, très illustre et magnifique Seigneur, avec une grande satisfaction la nouvelle de votre avènement à la dignité suprême de Dey d'Alger[1], et l'attention que vous avez eue de nous en informer vous-même nous a été infiniment agréable. Les rares qualités dont vous êtes orné et les sentiments d'attachement que vous montrez pour la nation française pouvaient seuls adoucir les regrets que nous a causés la perte de notre ancien ami, votre illustre prédécesseur. Votre empressement à ratifier les traités qui subsistent si heureusement entre la France et la Régence aurait suffi pour nous convaincre de la sincérité de vos désirs pour le maintien de la bonne harmonie,

demande pour son ambassade à Constantinople. » — Voy. aussi *Mémoire du capitaine Doumergue sur la demande du Dey d'un bâtiment pour Constantinople*, le 16 août 1791.

1. Voy. p. 407.

الشكل رقم : (125)

mais vous y avez ajouté de plus une marque de prédilection à laquelle nous attachons un grand prix, celle de donner la préférence à notre pavillon pour transporter à Constantinople l'Ambassadeur que vous envoyez à Sa Hautesse, afin d'obtenir son investiture [1]. M. Vallière, notre Chargé d'affaires auprès de vous que nous recommandons à vos bontés, très illustre et magnifique Seigneur, aura l'honneur de vous présenter cette lettre. Il a dû déjà vous prévenir que nous avions donné promptement les ordres nécessaires à cette expédition. Nous nous en rapportons entièrement aux détails qui vous en seront faits par notre Ministre de la Marine. Vous y reconnaîtrez qu'ils sont absolument conformes à vos vœux. Les nôtres n'auront jamais d'autre objet que la conservation de la paix et de la bonne amitié, ainsi que la gloire et la prospérité de votre Régence, et la présente n'étant à autre fin, je prie Dieu, très illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous ait en sa sainte garde.

Écrit en notre château impérial des Tuileries de Paris, le 16 septembre 1791.

LOUIS.

تابع للشكل رقم : (125)

LE CONSEIL EXÉCUTIF PROVISOIRE DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE [1]
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER.

Paris, le 3 mai 1793.

Très illustre et magnifique Seigneur,

Les changements survenus en France exigeant que le Consul qui réside auprès de vous soit muni d'un titre émané de notre Gouvernement actuel, nous nous empressons de confirmer par la présente le citoyen Vallière dans les fonctions qu'il remplit à notre satisfaction. Nous lui donnons à cet effet l'ordre de vous présenter cette lettre, qui servira à l'accréditer de nouveau auprès de votre personne en qualité de Consul général et Chargé des affaires de la République française. Vous pouvez ajouter entière foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom, relativement au service et aux intérêts du commerce et de la navigation des Français dans vos États, et principalement lorsqu'il vous assurera de toute notre estime, de l'intention sincère où nous sommes de vous en donner des marques en toute occasion, et de vous prouver par là le désir que nous avons d'entretenir la bonne harmonie qui existe si heureusement entre les deux nations.

1. Le Conseil exécutif provisoire était composé des Ministres et présidé par chacun d'eux à tour de rôle et de semaine en semaine. (Loi du 15 août 1792 relative à ses attributions.)

Sur ce nous prions Dieu, très illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous ait en sa sainte et digne garde.

Écrit en notre palais national des Tuileries, le 3 mai 1793.

Par le Conseil exécutif :

Le Ministre des Affaires étrangères,

LEBRUN [1].

الشكل رقم : (126)

SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,

AUX MINISTRES ET ADMINISTRATEURS DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE [1].

Alger, le 20 mai 1793.

Ceci est la lettre amicale adressée aux Ministres et aux autres Chefs du Gouvernement français par Son Excellence Hassan Pacha, — Que Dieu comble ses désirs! — Vice-Roi et Gouverneur actuel du Royaume d'Alger.

(Sceau)
HASSAN,
Dey et Gouverneur d'Alger.

Princes des Princes de la nation de Jésus, Grands des Grands du peuple du Messie, nos très honorables et très sincères amis les Ministres et Administrateurs de la République française, après nous être convenablement informé de la santé de chacun de vous en particulier, nous vous exposons avec sincérité ce qui suit:

Nous venons de recevoir la lettre amicale que vous nous avez adressée [2], lettre dont les paroles sincères ont pour but de nous annoncer en même temps les changements survenus par la volonté du Très-Haut dans l'organisation du Gouvernement français, les dispositions d'après lesquelles vous avez été chargés

1. Pierre-Hélène-Marie Lebrun-Tondu, Ministre des Affaires étrangères du 10 août 1792 au 21 juin 1793. Il avait été auparavant précepteur à Liège, puis imprimeur et publiciste.

2. Voy. la note 1, p. 435.

3. Voy. p. 435.

الشكل رقم : (127) ا

de l'administration, et de nous faire connaître qu'en vertu de ces mêmes dispositions le très sincère et très véridique Vallière, votre Consul actuel auprès de nous, a été confirmé et maintenu dans le poste qu'il occupe, les lettres et titres de créance d'usage lui ayant été envoyés par la République française.

La recommandation que vous nous adressez en faveur du dit Vallière, afin que nous lui accordions à l'avenir notre entière confiance dans l'exercice de ses fonctions et dans la gestion des affaires avantageuses aux deux nations, a été parfaitement comprise. Aussi, prenant en considération le sujet de votre lettre dont nous approuvons le contenu, nous consentons très volontiers à ce que le susdit Vallière soit continué dans l'exercice de ses anciennes fonctions. Confirmant de plus, d'après nos anciennes promesses, l'état actuel des stipulations et conventions arrêtées entre nous, nous promettons qu'elles seront religieusement observées et nous veillerons à ce qu'on n'en néglige point l'exécution.

A l'avenir, et tant que par l'ordre des membres de votre Gouvernement il ne sera rien fait de contraire à nos traités et promesses, notre amitié n'éprouvera pas la plus légère atteinte. Puisse-t-elle au reste durer toujours, au nom du Maître des créatures!

Daté des derniers jours de mai de l'année de Jésus 1793, correspondant à l'année arabe 1207, à Alger de Barbarie la bien gardée.

En marge est écrit :

Quelle que soit la teneur des conventions et stipulations contenues dans les articles des traités passés entre les mains de votre Consul ici, voulant que ces mêmes traités soient exécutés comme par le passé, nous les avons renouvelés, et ce renouvellement a été inscrit et consigné par nous sur nos dits traités qui sont entre les mains de votre Consul [1]. C'est afin de vous faire connaître cette disposition que la présente lettre vous a été écrite.

Traduit par Bianchi, Secrétaire-interprète du Roi, le 7 mars 1827.

1. Cette ratification de nos traités, le 20 mai 1793, contenait en même temps la reconnaissance du Gouvernement de la République française. Elle a été publiée dans le *Recueil des traités* de M. Tétot, n° 1490.

49.

1793 *Traduction de la ratification et du renouvellement des traités entre la République Française et la régence d'Alger 1793.*

(*Moniteur 1793 n. 169. Recueil d. Traités P. I. p. 205.*)

Le sujet de cet écrit est que, l'an 1204, au commencement de la lune de Regieb, notre prédécesseur d'heureuse mémoire Mouhammet Pacha, a renouvellé les anciens traités d'amitié & de paix avec la France, & a promis d'en maintenir l'exécution, sans y apporter aucune infraction; & actuellement le consul de France nous ayant demandé que les dits traités fussent renouvellés au même titre que par le passé avec la République de France, ce renouvellement vient d'être ... ici ce jourd'hui ... de la lune de Chewal ... l'Egire 1207, afin que dans l'occasion on puisse y avoir recours, & agir en conformité. Fait au commencement de la lune de Chewal, l'an 1207.

Signé du sceau du Dey accoutumé.

De Martens :ibid, t. VI, doc 49, p. 316

الشكل رقم : (127) ب

TABLE

PAR ORDRE ALPHABÉTIQUE

DES PUISSANCES.

ALGER.

ALLEMAGNE (Empire d').

AUTRICHE.

De Clerq : Recueil des traités de la France

3e. vol.

الشكل رقم : (127) جـ

RECUEIL

DES

TRAITÉS DE LA FRANCE

PUBLIÉ SOUS LES AUSPICES

DE S. EX. M. DROUYN DE LHUYS

MINISTRE DES AFFAIRES ÉTRANGÈRES

PAR

M. DE CLERCQ

Ministre Plénipotentiaire.

TOME PREMIER

1713-1802

PARIS

AMYOT, ÉDITEUR DES ARCHIVES DIPLOMATIQUES

8, RUE DE LA PAIX, 8.

MDCCCLXIV

الشكل رقم : (127) د

وقد عد هذا التجديد للمعاهدات السابقة معاهدة بذاتها فى جميع السجلات الفرنسية وغيرها للمعاهدات الدولية .

وهنا يبدأ فصل جديد فى العلاقات بين الجزائر وفرنسا ، بدأ خصبا مثمرا ، وانتهى بالقحط والخراب !

لقد كنا توقفنا ، عند الاستعراض الخاطف للمساعدات العسكرية ، بل والإنجادات الحربية لفرنسا من طرف الجزائر ، وعملية « إنقاذها من الخراب والتفتت » ، لدى طلب لويس الرابع عشر المساعدة من الداى شعبان سنة 1689 .

ونود الآن أن نذكر نبذا ذات دلالة عن أربعة أنواع أخرى من المساعدات التى قدمتها الجزائر لفرنسا فى ظروف الشدة أيضا ، بل وفى أحلك ظروفها : أثناء الثورة الفرنسية والجمهورية الفرنسية الأولى .

هذه المساعدات الجزائرية لفرنسا هى :

1) المساعدة الدبلوماسية ،

2) المساعدة بالمواد الاستراتيجية العسكرية والحربية ،

3) المساعدة الاقتصادية ،

4) المساعدة المالية .

كما سنرى ذلك مدعما ليس فقط بفقرات مأخوذة من كتب لمؤرخين فرنسيين ، بل وأيضا بنصوص من المعاهدات ، وبرسائل من قادة الثورة الفرنسية أنفسهم والجمهورية الفرنسية الأولى .

1) فالمساعدات الدبلوماسية تتمثل هى نفسها فى ثلاثة أصناف :

أ) الاعتراف بالجمهورية الفرنسية الأولى برسالة من الداى حسن يوم 20 مايو 1793 ، بمجرد أن سلم سفير الجمهورية الفرنسية

فى الجزائر رسالة بذلك من قادتها (141) إلى الداى فى الجزائر بعد إعلانها ببضعة أشهر فقط . وكان اعتراف الجزائر (142) بالجمهورية الفرنسية الأولى أول اعتراف على الإطلاق يأتيها من العالم ، إذ كانت أول جمهورية فى أوروبا التى كان يسود فيها النظام الملكى ، والقيصرى ، والأمبراطورى ، وقد تجسمت فيما سمى بالتكتلات السبعة تلك المعارضة الأوروبية الموحدة (les sept coalitions) ضد الجمهورية الفرنسية ، واستمرت حتى بعد تتويج نابليون نفسه قيصرا . وقد امتدت تلك التكتلات أكثر من عشرين سنة ، بدأت سنة 1793 ، بعد إعلان الجمهورية الفرنسية ، ولم تنته إلا بسقوط نابليون للمرة الثانية والنهائية سنة 1815 .

وقد كانت الدولة العثمانية طرفا فى بعض هذه التكتلات ، وطبعها ، كخلافة وراثية ــ أى نظام ملكى هى أيضا ــ جعلها فى صف الملوك ضد هذه « البدعة » : الجمهورية ، ولكن الجزائر ــ كجمهورية ــ سارعت إلى الاعتراف بهذه الجمهورية الجديدة والأولى فى أوروبا .

وقد كانت مقدمة رسالة الاعتراف من الداى حسن آية فى براعة الاستهلال . والرسالة كلها نموذج مثالى للدبلوماسية العليا فى مبناها ومعناها . هذا فى الترجمة الفرنسية . فلا شك أنها فى أصلها كانت أبلغ ، وأروع ، وأجزل .

(141) انظر الشكل السابق رقم : 126 .

(142) انظر الشكل السابق رقم : 127 أ ، 127 ب ، 127 جـ ، 127 د .
وليتأمل القارىء الكريم جيدا مصادقة الداى حسن بتاريخ 9 شوال 1207 هـ (20 مايو 1793 م) ، وفيها ذكر أن ذلك تم بطلب من القنصل الفرنسى ، الذى سلمه رسالة المجلس التنفيذى المؤقت للجمهورية الفرنسية . إذ ذاك كانت الجزائر هى التى تعترف بالناس، أو لا تعترف !
والنص مأخوذ من : De Martens : ibid, t. VI, doc. : 49, p. 316.

ب) الصنف الثانى من هذه المساعدة الدبلوماسية الجزائرية لفرنسا يتمثل فى تجديد صلاحية جميـــع المعاهدات الجزائرية الفرنسية ، المنعقدة قبـــل الثورة ، واعتبارها ساريـــة المفعول لفائدة الجمهورية الفرنسية الفتية ، بناء على طلبها الكتابى الذى قدمـــه سفيرها للـــداى حسن والذى يخوله فيـــه قادتها التكلم باسمها . (143)

ج) الصنف الثالث من هذا الدعم الدبلوماسى هـــو الوقوف العلنى مـــن الجمهورية الجزائرية إلى جنب الجمهورية الفرنسية ضـــد العالم أجمع ، وفـــك العزلـــة السياسية عنها ، مشجعة ، ومساندة ، ومعززة .

وقد قدر قادة الجمهورية الفرنسية ذلك الموقف الجزائرى حق قدره فى رسائلهم إلى الداى ، كما يرى القارىء ذلك من النماذج التى نعرضها هنـــا ، متتابعة ، كمجرد عينات ، من رسائلهم إلى « سيدى حسن ، داى الجزائر ، الصديق الحليف القديم للأمـــة الفرنسية » .

(« A Sidi Hassan, Dey d'Alger, Ancien Ami et Allié de la nation française ») (144).

2) وكمـــا ساعدت الجزائر فرنسا فى المجـــال الدبلوماسى ، بالاعتراف بهـــا ، وبتجديد المعاهدات السابقة لصالحها ، لفـــك

---

(143) انظر الشكل السابق رقم : 126 .

(144) الأشكال ، بالأرقام الآتية ، متتابعة ، وهى من صور صفحات الرسائل التى أرسلها قادة الجمهورية الفرنسية إلى الداى حسن . وقـــد يلاحظ القارىء أنها كانت توجه أحيانا باسم القيادة الفرنسية المشتركة وبأسماء جميع أعضائها ، وأحيانا أخرى باسم وزير من وزرائها .
وهذا الترتيب الأخير تقرر بقانون ابتداء من 15 أوت 1792 ، يقضى بأن يترأس المجلس التنفيذى المـــؤقت للثـــورة الفرنسية احـــد الوزراء ، بالتناوب ، أسبوعا بآخـــر ، وهكذا دواليك . انظـــر هامش الرسالـــة المؤرخة فى 03 مايو 1793 ، فى الصفحة 435 من صور الرسائل المرفقة ، وهى فى الشكل السابق رقم 126 .

العــزلة السياسية التى اتفقت عليها أوروبا ضدها بالتكتلات السبعة، فقــد أنجدتها أيضا.فى المجال المــالى ، والاقتصادى ، والعسكرى ، لخرق الحصار الشامل الذى ضربته أوروبا حــولها لقهرها ، ولتحطيم المقاطعة الاقتصادية التى شنتها عليها لخنقها .

وبفضل ذلك الخــرق للحصار وجــدت الجمهورية الفرنسية الفتية ، الغضة ، المزعزعة ، المهزوزة ، المهــددة فى حياتها ، متنفسا ، ومددا ، وسندا لدى الجمهورية الجزائرية القــوية ، الأثيلة ، الأصيلة التقاليد ، والعتيدة القواعد ، المتينة البنيان ، الوطيدة الأركان ، ذات الهيبة الدولية .

وقــد كانت تلك المساعدة متنوعة : ماليــة ، واقتصادية ، وعسكرية استراتيجية .

أ) فالمالية الاقتصادية تتمثل فى قرض من الداى حسن سنة 1793 لحكومة الجمهورية الفرنسية لتشترى به قمحا فى الجزائر ، وهو ما يسمى اليوم بقرض الاستيراد (إلى فرنسا) ، أو للتصدير (من الجزائر) (crédit fournisseur) أو قرض حكومى (crédit gouvernemental).

وتمهيدا لعديد من الرسائل من قادة الجمهورية الفرنسية إلى داى الجزائر بخصوص هذه المساعدات ... والشكر عليها ... وبعد الحصول على الاعتراف الدبلوماسى ، وتجديد المعاهدات ، نجدهم يبعثون برسالة إلى الداى حسن بحجة إعلامه بتغيير العلم الفرنسى ، ليؤكدوا اهتمامهم بالعلاقات مع الجزائر ، وحرصهم عليها ، « هذه العلاقات التي ظلــت موجودة ، **لحسن الحــظ** ، علاقــات الصداقة والمصلحة » ، « والمعاهدات التى تصـــل ، **لحسن الحظ** ، (مرة أخرى) بــين الدولتين والتى نتمنى لها ، بقصد تحقيق الازدهار المشترك ، الدوام الأبدى » . (145)

---

(145) انظر الشكل رقم : 128 .

LE CITOYEN DEFORGUES, MINISTRE DES AFFAIRES ÉTRANGÈRES[1], A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER.

Paris, le 18 germinal an II (28 mars 1794).

Très illustre et magnifique Seigneur,

Les représentants de la nation française ayant résolu de changer le pavillon français, j'ai été chargé par le Gouvernement de la République de te faire part de ce changement, afin de prévenir toute méprise entre les navires de la Régence d'Alger et ceux de la nation française qui paraîtront bientôt sous ce nouveau pavillon[2].

L'agent de la République auprès de toi[3] te communiquera la loi qui a été rendue à ce sujet[4], avec les motifs qui l'ont déterminée, et te remettra en même temps une planche coloriée qui t'indiquera avec précision la forme du nouveau pavillon et la nouvelle disposition de ses couleurs. D'après les relations d'intérêt et d'amitié qui subsistent heureusement entre la République française et la Régence d'Alger, j'espère que tu voudras bien prescrire aux Commandants de tes ports et de tes navires de respecter en tous lieux notre nouveau pavillon, et de ne porter aucun préjudice aux bâtiments français qui paraîtront dans peu sous ce nouveau signe de notre régénération politique. Tu peux compter de notre part sur la plus parfaite réciprocité. Cette innovation, devenue nécessaire, ne peut faire aucun changement dans les traités qui unissent si heureusement les deux États et dont, pour leur prospérité commune, je désire l'éternelle durée.

DEFORGUES.

(الشكل رقم : (128))

1. Les Consulats avaient été rattachés au Ministère des Affaires étrangères par un décret de la Convention du 14 février 1792. François-Louis-Michel Chemin Deforgues, mis à la tête de ce Département à la mort de Lebrun, occupa son poste du 21 juin 1793 au 2 avril 1794, et se trouva par suite appelé à correspondre avec le Dey. Il avait été auparavant Chef de bureau de la Commune, membre du Comité des massacres de septembre, Secrétaire général du Comité de salut public et adjoint au Ministre de la guerre. — La veille de son arrestation, le 12 germinal an II (1er avril), un décret de la Convention supprima le Conseil exécutif provisoire et le remplaça par 12 commissions. Deforgues fut donc pendant un jour le premier Commissaire des relations extérieures; il eut pour successeurs dans ces fonctions Goujon, puis Hermann, Buchot, Miot et Colchen, jusqu'à la Constitution de l'an III.

2. Voy. *Lettre du citoyen Deforgues au citoyen Vallière*, le 16 nivôse an II. « Le pavillon décrété par l'Assemblée nationale ressemble à la constitution qu'elle nous avait donnée : les couleurs nationales étaient reléguées dans un coin du pavillon comme si on les y avait ajoutées à regret. La couleur de la royauté y prédominait, comme ses prérogatives prédominaient dans la Constitution. Aujourd'hui les couleurs du peuple doivent couvrir toute la surface du pavillon, comme sa souveraineté couvre toute la surface de la République, et rien ne doit retracer d'anciennes idées lorsqu'elles ont disparu de l'esprit de tous les Français. »

3. Vallière.

4. Décret de la Convention nationale du 27 pluviôse an II. « Le pavillon national sera formé des trois couleurs nationales disposées en trois bandes égales, posées verticalement, de manière que le bleu soit attaché à la gaule, le blanc au milieu, et le rouge flottant dans les airs » (art. 2).

ثم تتلوها مباشرة رسالة أخرى منهم إلى «سيدى حسن (146) ، داى الجزائر ، الصديق الحليف القديـــم للأمة الفرنسية » ، يشكرونه فيها على « الاستعداد الطيب نحو الأمة الفرنسية فى عدة مناسبات ، والتسهيلات » التى منحهم إياها لاستيراد القمح من الجزائر ، وعلى « **القرض** الذى قدمته لنا لهذا الغرض » .

ويختمون الرسالة بالملاحظـة :

« إنه لمن خواص القلوب الكريمة ، مثل قلبك ، أن تهتـــم **بالقضية (الثورية الفرنسية) التى يساندها العقل ، والعدل، والمجـــد ...**

« وإننا لمعتزون بصداقتك ، وحريصون على الحفاظ عليها ، وعلى إعطائك براهين على صداقتنا ، ونرجو أن تكون هـــذه الصداقة بيننا أبدية » . (147)

ثم رسالة أخرى منهم إلى « سيدى حسن ، الصديق الحليــف القديم للأمة الفرنسية » ، يعلمونه فيها بإرسال مبعوث خاص اليه ، ويرجون منه « حسن استقبالــه كمبعوث للجمهوريـة الفرنسية والاستماع إليه » .

« وإن المعاهدات الموجودة بيننا ، والاهتمام الذى توليه (148) انتصاراتنا ... **والتسهيلات التى قدمتها فى عـــدة مناسبات**

---

(146) وقد كانت كلمة « سيدى » إذ ذاك لها معنى غير معنى اليوم فى اللغة الفرنسية !

(147) انظر الشكل رقم : 129 أ و 129 ب .

(148) الغت الثورة الفرنسية صيغة المخاطبة بالجمع للمفرد المعمول بها حتى ذلك الوقت على سبيل التادب ، كما ألغت صيغة « السيد » Monsieur، فعوضتها بالمـواطن citoyen ، بالنسبة للجميـع ، حتى للملـوك والأباطرة .

LE CITOYEN BUCHOT, COMMISSAIRE DES RELATIONS EXTÉRIEURES [1],
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DE LA NATION FRANÇAISE.

Paris, le 11 fructidor an II (28 août 1794).

Très illustre et magnifique Seigneur,

Le Consul Vallière, que la République française entretient auprès de toi, nous a rendu compte en différentes occasions des dispositions amicales que tu as montrées envers la nation française. C'est ainsi que nous avons appris les facilités que tu as accordées à nos bâtiments pour l'extraction des blés de ton pays, et le prêt que tu nous as avancé pour cet objet [2]. Nous avons été également informé des ordres que tu as donnés pour faire respecter par tes marins le nouveau pavillon national [3]. Le Gouvernement de la République en a ressenti une grande satisfaction, et il se propose de t'en témoigner sa reconnaissance par une amitié inaltérable et par tous les services que tu le mettras dans le cas et que les circonstances lui permettront de te rendre. Pour t'en donner une preuve, les Représentants du peuple composant le Comité de salut public n'ont pas plus tôt été informés que tu désirais qu'il y eût à l'avenir des paquebots établis entre la France et Alger, qu'ils se sont empressés de prendre un arrêté conforme à ta demande [4], et dans peu de temps cet établissement sera formé pour l'utilité réciproque des deux pays.

Mais pour tirer un avantage réel de cet établissement, que nous avons un intérêt commun à voir réussir, il est nécessaire de prendre tous les moyens pour le garantir contre la malveillance des ennemis de la République. Nous comptons à cet égard sur tes bons offices, et nous ne doutons pas que tu ne t'empresses de faciliter, par tous les moyens qui sont en ton pouvoir, l'exécution d'un projet dont tu as conçu la première idée.

Ce qui nous fait le plus de plaisir dans la proposition que tu nous as faite, c'est de voir que le motif principal qui t'y a engagé est aussi honorable pour nous que pour toi, et qu'en t'adressant à notre Consul pour savoir la vérité touchant la grande et glorieuse guerre que nous faisons à l'Europe, tu nous as rendu la justice que nous méritons. Ce n'est sûrement pas par le canal de nos lâches et cruels ennemis que la vérité pourra te parvenir. Après nous avoir déclaré une guerre injuste, attaqué

الشكل رقم : (129)

notre indépendance, acheté nos villes par la trahison, fomenté des rebellions, violé le droit des gens, ils ne peuvent que mentir, puisqu'ils sont déjà déshonorés. La vérité sortira de la bouche de ceux qui, au milieu de tant d'ennemis, ont su résister à tous, les ont chassés du territoire de la République qu'ils avaient souillé et les ont poursuivis jusque dans le leur. Les Pyrénées et les Alpes, la Belgique et le Rhin attestent l'héroïsme et les triomphes des défenseurs de la liberté et la honte de leurs ennemis[4].

Il appartenait à des cœurs généreux comme le tien de s'intéresser en faveur de la cause qui a pour elle la raison, la justice et la gloire. Aussi sommes-nous flatté de ton amitié, jaloux de la conserver et de te donner des preuves de la nôtre. Nous désirons qu'elle soit éternelle.

BUCHOT.

1. Philibert Buchot, ancien maître d'école, puis avocat, juge au tribunal de Lons-le-Saunier, procureur général syndic du département du Jura, substitut de l'agent national Payan, Commissaire des relations extérieures du 20 germinal an II au 30 brumaire an III. Après sa destitution, il devint commis de l'octroi et enfin recenseur des ports.

2. Un décret de l'Assemblée nationale, du 9 mars 1792, avait mis dix millions à la disposition du Ministre de l'Intérieur pour être employés en achats de grains, nécessaires à un grand nombre de nos départements. Le Conseil exécutif du Directoire et le Comité d'approvisionnements de Marseille avaient donné l'ordre à Vallière de négocier avec les Algériens « la plus grande traite possible de denrées »; et Hassan lui avait prêté, de la meilleure grâce du monde, 50 000 p. (250 000 f.) pour solder ses premiers achats à Bône et à Constantine. « Ce prêt, écrivit le Consul, les bonnes dispositions du Dey, le service essentiel qu'il travaille à nous rendre, l'intérêt qu'il prend à la République sont des titres sacrés à notre attachement et à notre reconnaissance que tu sauras faire apprécier, citoyen Ministre de la République. Le Consul d'Angleterre a prié ce Souverain de ne nous fournir aucun secours, mais le Dey lui a répondu en homme maître de son pays et fidèle à ses amis. » Voy. *Lettre du citoyen Vallière au citoyen Deforgues*, le 10 pluviôse an II.

3. Le Dey avait remis deux passeports au Consul, pour donner plus de sécurité à nos transports de grains, et Vallière avait cru ne pouvoir mieux les confier qu'à la Compagnie d'Afrique. Voy. *Lettre du citoyen Vallière au citoyen Deforgues*, thermidor an II.

4. Voy. *Lettre du citoyen Vallière au citoyen Buchot*, le 15 messidor an II.

الشكل رقم (129) ب

لجيشنا تجعلنا حريصين على زيادة توطيد العلاقات الودية السائدة بيننا ... الخ » . (149)

وندرج هنا جوابا من الداى حسن على رسالة قادة الجمهورية الفرنسية الخاصة بالقرض ، والقمح ، والمساعدة العسكرية للجيش الفرنسي (بالجلود ، والحبوب وغيرها) ، يعرض فيها عليهم مساعدات إضافية ... « بالمواد الغذائية ، والخيول الجيدة، والحبوب، ومواد استهلاكية أخرى من جميع الأصناف... **لأننا نحس** أنكم فى حربكم العامة ، ضد هذا العدد الكبير من الدول الأوروبية ، من المستحيل ألا تجابهكم صعوبات فى التزود بالمواد ذات الضرورة الأولى .

« وإن سفراء الدول ، التى أنتم ضدها فى حرب ، المقيمين لدينا ، لا يفتأون ، تحت قناع الصداقة ، يلحون علينا فى أن نعلن ضدكم حربا ... **ولكننا جيرانكم وأصدقاؤكم القدماء الأوفياء** ... الخ » . (150)

ويأتى الجواب بسرعة متحمسا من قادة الجمهورية الفرنسية يشكرونه فيه بحرارة على هذا العرض الخاص « بالخيول الجيدة والمواد الاستهلاكية » :

« وإن الجمهورية لسوف تتذكر دوما هذه المساعدات التى تلقتها من أصدقائها وحلفائها فى هذه الظروف العصيبة...» (151)

وقد عقدت بين الجمهورية الجزائرية والجمهورية الفرنسية، ثم مع نابليون بعدها ، كقنصل أول لها ، ثم كأمبراطور ، ثم مع

---

(149) انظر الشكل رقم : 130 .
ويلاحظ القارىء أن الإمضاء ، هذه المرة ، كان من مجموع أعضاء المجلس الاعلى للجمهورية .

(150) انظر الشكل رقم : 131 أ ، 131 ب ، 131 جـ .

(151) انظر الشكل رقم : 132 أ ، 132 ب .

LES REPRÉSENTANTS DU PEUPLE
COMPOSANT LE COMITÉ DE SALUT PUBLIC DE LA CONVENTION NATIONALE
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DE LA NATION FRANÇAISE.

Paris, le 24 vendémiaire an III (15 octobre 1794).

Illustre et magnifique Seigneur,

Le citoyen Herculais, Chef de brigade au service de la République, chargé de différentes missions auprès des Régences musulmanes de l'Afrique, se rend auprès de ta personne pour te porter les assurances de notre amitié, et pour réclamer ton assistance et tes bons offices dans les différentes opérations que nous avons confiées à ses soins [2]. Nous te prions de l'accueillir

favorablement comme Envoyé de la République française, et d'écouter les propositions qu'il sera dans le cas de te faire de notre part. Le Commissaire de nos relations extérieures a déjà saisi une occasion pour t'exprimer les sentiments de plaisir et d'amitié que ta conduite bienveillante a inspirés au Gouvernement de la République [1]. La fidélité avec laquelle tu as observé

les traités qui nous unissent, l'intérêt que tu portes à nos victoires et à nos glorieuses destinées, les facilités qu'en différentes occasions tu as accordées à notre armée ne nous laissent que le désir de voir se consolider de plus en plus les relations amicales qui subsistent entre nous. Nous espérons de notre côté que tu seras satisfait des témoignages de bienveillance que le citoyen Herculais est chargé de te porter, et que sa mission même servira à resserrer davantage les liens qui nous unissent. Le séjour qu'il a fait autrefois sur les côtes d'Afrique lui a donné le moyen de connaître les intérêts réciproques de nos deux nations, et l'a mis à portée de se pénétrer d'une haute estime pour ta personne. Il jouit d'ailleurs de notre confiance entière, et c'est sous tous ces rapports qu'il nous paraît également digne de la tienne.

Puisse notre amitié être réelle!

TREILHARD,
RICHARD,
MERLIN,
DELMAS.

الشكل رقم : (130)

SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,

AU CITOYEN BUCHOT, COMMISSAIRE DES RELATIONS EXTÉRIEURES.

Alger, le 16 octobre 1794.

(Sceau)

HASSAN,

Dey et Gouverneur d'Alger d'Afrique.

La lettre qui suit est une dépêche amicale adressée au Vizir de la République du peuple français par Son Excellence le très fortuné Hassan Pacha, Gouverneur des pays d'Alger en Afrique, le glorieux Conseiller et le très honorable Administrateur qui modère par son génie bienfaisant les affaires de la Régence, et termine avec la plus grande prévoyance les négociations générales, — Que Dieu bénisse ses intentions! — lequel n'est cependant que la poussière des pieds du coursier victorieux de Sa Hautesse le Sultan, fils de Sultan, Sélim, fils du Sultan Mustapha, le possesseur des Empires, le conquérant de l'Arabie et de la Perse, le Souverain arbitre de la vie de ses sujets, le Maître des deux continents, l'Empereur des deux mers, l'élite des rejetons de la famille ottomane, le destructeur de l'oppression et de la tyrannie. — Que Dieu perpétue son règne et sa félicité jusqu'à la consommation des siècles! — 444

Très estimable, fidèle et sincère ami, glorieux Vizir, après nous être informé de votre santé, nous vous faisons savoir que votre lettre, datée du 11 fructidor[1], nous est parvenue il y a dix jours, et nous a été lue d'un bout à l'autre par votre Consul Vallière, qui réside auprès de nous.

Cet officier vous avait écrit qu'il n'avait qu'à se louer de nos procédés à son égard et de notre conduite envers la nation française, et vous nous en témoignez votre satisfaction. Il s'en faut cependant de beaucoup que nous vous ayons rendu autant de services que nous l'eussions désiré. Notre espoir est qu'il se présentera par la suite plus d'occasions de vous obliger. Notre amitié est si ancienne et si bien cimentée qu'il ne surviendra jamais aucun acte qui puisse l'altérer. Nous ne nous refuserons à aucune des demandes de la République, si elle en a quelqu'une à former auprès de notre Régence et si l'objet désiré est en notre pouvoir. Des vivres et de bons chevaux : voilà nos principales productions. C'est au besoin qu'un véritable ami doit se faire connaître. Voilà nos principes. Nous sommes disposé à vous donner des grains, des comestibles de toute espèce, en un mot tout ce que vous nous demanderez, parce que nous sentons que dans la guerre générale que vous avez à soutenir contre tant de Puissances de l'Europe, il est impossible que vous n'éprouviez de la difficulté à vous procurer des subsistances et d'autres objets de première nécessité. C'est dans de semblables circonstances que nous devons déployer toute la magnani-

mité de notre caractère et l'étendue de nos sentiments. Nous pouvons vous donner ici une preuve incontestable de la solidité de ces sentiments. Les agents des Puissances belligérantes qui résident auprès de nous, se couvrant du voile de l'amitié, ne cessent de nous presser et de nous solliciter de profiter de vos embarras présents pour rompre les traités sacrés qui nous unissent à la nation française et pour lui déclarer la guerre [1], mais nous, vos fidèles et anciens amis et voisins, bien loin d'écouter ces perfides insinuations, nous écartons de notre présence quiconque ose les proférer parce que, encore une fois, c'est précisément dans les circonstances épineuses où vous vous trouvez que nous devons respecter et observer plus scrupuleusement que jamais, à votre égard, les devoirs qui nous sont imposés par le bon voisinage et par notre ancienne amitié. Nous avons appris vos victoires sur tous vos ennemis [2]. Dieu nous est témoin de la joie que nous en avons ressentie! Daigne le Ciel nous faire, vous et nous, toujours triompher de tous ceux qui veulent troubler notre repos! 445

Vous avez marqué à votre Consul que si notre Régence avait quelque chose à demander à la République française, nous n'avions qu'à prononcer. Grâce au Très-Haut, nous n'avons aucun désir à former pour nous dans cet instant, et nous serons très empressé à profiter de vos offres, lorsque l'occasion s'en présentera. Mais, en attendant, nous vous ferons une demande qui nous est personnellement relative, que vous jugerez sans doute peu considérable, et à laquelle néanmoins nous attachons le plus haut prix. Elle vous avait été déjà présentée en notre nom par l'organe de votre Consul, et nous vous la réitérons directement et avec insistance. Le négociant Meifrund, qui a longtemps résidé à Alger et qui a rendu une infinité de services à la Régence, est notre ami particulier [3]. Ce fut pour toutes ces considérations que nous nous déterminâmes à vous prier, par l'entremise du sieur Vallière, de faire obtenir au dit Meifrund et à toute

1. Le Consul d'Angleterre avait reçu l'ordre de négocier, à quelque prix que ce fût, la paix de la Régence avec le Portugal, afin de rouvrir le détroit aux corsaires qui eussent contrarié la navigation des Américains, et les eussent ainsi empêchés de continuer à porter leurs grains dans nos ports. Vallière rendit cette manœuvre inutile en faisant conclure un traité entre la Régence et les États-Unis. Voy. *Note de ce qu'il en coûte aux États-Unis d'Amérique pour obtenir la paix avec la Régence d'Alger*, soit 897 132 p. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger*.)

2. Voy. les notes 1, p. 434 et 441.

3. Voy. la note 2, p. 441.

الشكل رقم : (131) ب

sa famille, qui se trouvent ici, le pardon de leurs fautes, la permission de rentrer dans leur patrie et la faculté de reprendre possession de toutes leurs propriétés, pour qu'ils pussent être remis en jouissance de tout ce qui leur appartenait et de tous leurs droits. Nous insistons encore aujourd'hui auprès de vous en faveur de Meifrund; il n'est pas de la classe des traîtres; nous en sommes sûr. Il n'y a point d'homme qui n'ait ses défauts. Nous demandons en grâce que ceux de Meifrund soient oubliés. Il mérite d'ailleurs votre estime et votre protection; c'est ce que nous vous garantissons par notre témoignage. Nous prenons nous-même soin de son existence depuis qu'il est ici. Nous avons déjà pourvu aux frais de son retour, et nous n'attendons qu'une réponse de votre part qui nous instruise de l'accueil propice ou défavorable qui sera fait à notre demande. Son sort dépend de vous[1].

De la place bien gardée d'Alger en Afrique, le 21 de la lune de Rebi-el-ewel, l'an de l'hégire 1209.

Traduit par RUFFIN, Secrétaire-interprète de la Commission des relations extérieures, le 26 brumaire an III.

الشكل رقم : (131) جـ

LES REPRÉSENTANTS DU PEUPLE
COMPOSANT LE COMITÉ DE SALUT PUBLIC DE LA CONVENTION NATIONALE
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DE LA NATION FRANÇAISE.

Paris, frimaire an III (décembre 1794).

Illustre et magnifique Seigneur,

La lettre que tu as adressée en date du 21 de la lune de Rebi-el-ewel, l'an de l'hégire 1209, au Commissaire des relations extérieures de la République ' a été mise sous nos yeux. L'expression qu'elle contient de ton amitié pour la nation française te donne de nouveaux droits à son estime et à son affection. Ces sentiments réciproques serviront seuls de base aux transactions politiques et commerciales que le voisinage de nos pays et la nature de leurs productions doivent faire naître et rendre chaque jour plus intéressantes. Aussi la Convention nationale de France, en acceptant les offres que tu lui fais de fournir à la République des comestibles et des chevaux, donnera des ordres à ses agents afin que, dans cette négociation, il soit pris des mesures propres à concilier les intérêts respectifs des deux pays.

Nous avons vu avec satisfaction, mais sans étonnement, que la sagacité qui te distingue t'a fait facilement apercevoir les pièges des ennemis de la France et le but de leurs perfides insinuations. La victoire qui suit partout nos armées ' ne laisse aux vaincus que les ressources du mensonge, dernier moyen qu'emploient les lâches. Le moment n'est pas éloigné où l'augmentation des

الشكل رقم : (132) أ

forces navales de la République lui procurera des triomphes aussi éclatants sur les mers que ceux qu'elle doit à la valeur de ses armées de terre, mais, quels que soient ses succès, elle se rappellera toujours avec sensibilité les services qu'elle aura reçus, dans des temps orageux, de ses amis et de ses alliés.

Quant au négociant Meifrund, à qui tu nous demandes d'accorder la faculté de rentrer sur le territoire de la République[1], le sincère désir que nous avons de t'obliger nous fera rechercher tous les moyens de concilier ce sentiment avec le respect que nous devons à nos lois.

CAMBACÉRÈS,
DELMAS,
PRIEUR,
MERLIN.

1. Sidi Hassan attachait à l'amnistie de Meifrund une telle importance qu'il avait renvoyé au Consulat de France les cadeaux que Vallière lui avait présentés. « J'ai apporté au Dey le magnifique et rare solitaire et la superbe paire de pistolets que vous m'enjoignez de lui donner. Son premier mot a été : Tous les présents du monde me touchent peu, si tu ne viens pas m'annoncer la grâce de Meifrund. » Voy. *Lettres du citoyen Vallière au Comité de salut public,* les 12 vendémiaire, 11 prairial, 27 messidor et 21 thermidor an III. — Le Dey refusa

également un parasol à l'orientale que lui avait destiné l'Agence d'Afrique, substituée le 19 pluviôse an II à la Compagnie d'Afrique, et le Comité de salut public rendit un arrêté spécial, le 16 thermidor an III, affectant une destination différente au parasol en question.

1. Voy. p. 443.
2. Voy. la note 1, p. 441.
3. Voy. p. 445.

الشكل رقم : (132) ب

الملك لويس الثامن عشر ــ بعد عودة الملكية ــ اتفاقيات عدة بشأن تلك القروض ــ ولا نتكلم طبعا عن المساعدات المجانية ــ التى قدمتها الجمهورية الجزائرية للجمهورية الفرنسية عند ميلادهــا .

فبعد تلك الوثيقة المزدوجة التى ذكرناها ، والتى علق عليها الناشر (فى هامش ص 437 بالفرنسية) بما ترجمته :

« ان هذه المصادقة على معاهداتنا السابقة (من الداى حسن) ، يوم 20 مايو 1793 م ، تتضمن أيضا فى الوقت نفسه الاعتراف بحكومة الجمهورية الفرنسية » (152) نقول : بعد هذه الوثيقة ، التى عدت هى نفسها معاهدة ، بل أم المعاهدات ، عقدت معاهدة أخرى مع الجمهورية الفرنسية ، وهى تمثل ، فى الوقت نفسه ، البند الثالث من المساعدات الجزائرية للجمهورية الفرنسية ، بعد المساندة الدبلوماسية والعون العسكرى ، وهى :

52) الاتفاقية الاقتصادية بتاريخ 9 مسيدور (Messidor) من العام الرابع للجمهورية الفرنسية (28 يونيو 1796 م) بين الداى حسن وحكومة الجمهورية الفرنسية (ولم يكن هناك رئيس بعد ، بل قيادة مشتركة ، أو مجلس ثورة) ، «وهى اتفاقية قرض لتسديد الكميات الكبيرة من القمح التى اشترتها حكومة الثورة الفرنسية من الجزائر » (153) ، وهو ما يسمى اليوم ــ كما سبق أن قلنا ــ

(152) وقد أوردنا صيغتها الفرنسية فى ص 437 من صور النصوص الأصلية والمترجمة المرفقة . وصيغتها موجودة أيضا بالفرنسية فى أهم سجلات المعاهدات الدولية ، مثل :

(Recueil des principaux traités internationaux)
De Clerq : ibid, t. I, p. 224.
De Martens : ibid, supp. t. VI, doc. 49, p. 316.
Titot : Recueil des traités, n° 1490.
Le Moniteur (Journal), Paris, 1793, n° 169, P.I., p. 205.

(153) Egretaud : ibid, p. 48.

القرض الحكومي ، أو قرض الاستيراد : (crédit gouvernemental)،
أو (crédit fournisseur).

وكانت فرنسا تعانى إذ ذاك ضائقة مالية . أو العجز المالى ، وتجتاحها ، « فى أغلب ولاياتها » ، مجاعة . وأصابها قحط ، بالعربى الفصيح الحديث ، أو عام الشر ، بالتعبير الدارج ، ولكنها كانت بالجمع : أعوام الشر ، وليست بالمفرد : عام الشر!

وهذا ما عبر عنه الشاعر الكبير الفقيد مفدى زكريا فى الإلياذة الخالدة ، إلياذة الجزائر ، (وهو صاحب الأناشيد : « من جبالنا » ، و « فداء الجزائر » ، و « قسما ») . إذ يقول :

وجاعت فرنسا فكنا كراما
وكنا الألى يطعمون الطعاما (154)

وقرض آخر ، مالى بحت ، نقدا ، مبلغه خمسة ملايين من الفرنكات الذهبية ، بقيمة ذلك الوقت ... أى آلاف الملايير بعملة اليوم ! وهذا القرض بدون فائدة !

ومواد غذائية متنوعة ، وتجهيزات مختلفة : جلود ، صوف، وخيول جيدة للجيش الفرنسى أيضا ، وهى شاحنات ودبابات ذلك العصر !

وقد يظن القارىء الكريم أننى أطلقت العنان لمخيلتى ... « الخصبة » ، واسترسلت فى تحمس واندفاع اتصور ما لم يحدث ، وتمنيت أن يكون قد حدث !

---

(154)انظر الشكل رقم : 133 .
والالياذة بكاملها تراجع فى الجزء الأول من كتاب الملتقى السادس للفكر الإسلامى ، نشر وزارة التعليم الأصلى والشؤون الدينية ، وطبع مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1972 م .

وَجَاعت فرنسا... فكنا كراما   وَكنا الأُلَى يُطعمون الطغاما!
فأبطرهم قمحنا الذهبي   ، وَكم تبطر الصدقاتُ اللئاما
وَبَاعت فرنسا ضميرَ اليهود   ، فباع ضميرُ اليهود الذماما
وَمَا كان بوشناقُ إلا ابن آوى   وَما كان بوخريص إلا طغاما[2]
وَخرّب شارلُ المريضُ فرنسا   فثار بها الشعبُ يَغلي انتقاما
وَضاق الفرنسيسُ بالعاطلين   ، وَما ذاق شارلُ المريضُ المناما
وَأوحى له قمحنا غزوَنا   فأطلق هذي القموحَ سهاما
وَصَبّ النفاياتِ في أرضنا   وَخان المسيحَ، وأغرى السواما[3]
وَمروحةُ الداي لم تكُ إلا   كما يستبيح اللصوصُ الحراما[4]
أبوتان[5]... هل سيدي فرج   وَإن طال ليل... أقر النظاما؟؟

شَغَلنا الورَى، ومَلأنا الدُنا
بشعر نرتله كالصَلاة
تسابيحه من حَنايا الجزائر

(1) قصة الديون المترتبة على فرنسا من آجل تسديد ثمن القمح معروفة، فضلا عن ديون أخرى نقدا.

(2) اشتركت خزينة الدولة مع بعض التجار، كاليهوديين بوشناق وبوخريص في تموين تلك العملية الإنقاذية وكان اليهوديان عميلين لفرنسا.

(3) وقف شارل العاشر، ملك فرنسا، يقول في خطاب العرش يوم 2 مارس 1830 م ما نصه: «ان العمل الذي سأقوم به لترضية شرف فرنسا سيكون بإعانة الله القدير لفائدة المسيحية جمعاء».

(4) حديث المروحة معروف.

(5) بوتان الجاسوس الفرنسي الذي رسم خطة الهجوم من ثغر سيدي فرج بأمر من نابليون بونابارت في يوليو 1808، وقد انتفع الجيش الفرنسي بتلك الرسوم عند حمله على الجزائر سنة 1830.

الشكل رقم (133)

لا ! أبدا ! فبعد رسائل قادة الجمهورية الفرنسية ـ عرضت بعضها وسأعرض أخرى ـ ، ها هى بضع فقرات من رسائل السفير الفرنسى إذ ذاك فى الجزائر ، فالير ، ومن كتب مؤرخين فرنسيين ، وفرنسيين فحسب فى هذه النقطة بالذات :

يقول دوغرامون ، رواية عن تقارير فالير ، الذى كان القنصل العام الفرنسى فى الجزائر إذ ذاك ، ومحافظ العلاقات الاقتصادية الفرنسية ، والمستشار للملك ، سابقا ، أى على الأقل بدرجة وزير مقيم بالجزائر ! :

« لقد علمت ، وملئى السخط الشديد ، أن الأنكليز (وأنكلترا كانت إحدى الدول الأعضاء فى الكتل السبع ضد الثورة الفرنسية) قد تجاسروا إلى حد الطلب من الداى بأن يمنع عنا كل إسعاف (tout secours) ، ليجعلونا نموت جوعا .
(« nous refuser tout secours pour nous laisser périr par la famine »)

« ولكن الداى أجابهم ، كسيد بلاده ، وكصديق للفرنسيين .

« ثم قام القنصل الأنكليزى بمحاولة جديدة لم تكن أنجح من الأولى .

« وإنى لأكل إليك مهمة إطلاع الجمهورية وأبنائها على سلوك الداى نحوهم فى هذه المناسبة . وإن الظروف لتضاعف من قيمة موقفه هذا معنا عشر مرات » . (155)

وعن هذا القرض الحكومى (لشراء القمح) ، وتلك القروض العينية (النقدية) ، نجد عند مؤرخين فرنسيين وغيرهم ألفاظا وصيغا متعددة ، ولكنها تؤدى كلها نفس المعنى : فنجد كلمة « قحط » (« disette ») عند كل من المؤرخ الفرنسى المعاصر إيغروطو الذى يقول :

---

(155) De Grammont : ibid, p. 348-349.

« بل وقد منح الداى الجمهورية الفرنسية ، أثناء حروب الثورة ، قروضا بدون فائدة، فى الوقت الذى كان يزودها أيضا بالحبوب ، مما أنقذها من القحط (disette) » (156) .

ومؤرخ فرنسى ثان هو غارو ، الذى يقول (157) :

« وقد أصدر الدريكتوار (المجلس الأعلى للثورة الفرنسية المتكون من خمسة أعضاء يعينون الحكومة ، وقواد الجيش، الخ) أمرا إلى القنصل الفرنسى العام بالجزائر ، فاليير ، بأن يتفاوض مع الجزائريين على أكبر كمية ممكنة من الحبوب ، حيث إن عددا كبيرا من المقاطعات (الولايات) كانت تعاني القحط (disette)، والحكومة تعاني عجزا ماليا (en court d'argent) لتسديد مبلغ مشتريات القمح السابقة ؛ كما أرسل إلى الجزائر المسمى هركولى (Herculais) مبعوثا خاصا بمهمة الحصول من الداى على قرض مبلغه خمسة ملايين من الفرنكات » . (158)

ومؤرخ فرنسى ثالث هو باردون الذى يكتب :

« كانت الجزائر أرسلت بكميات معتبرة من الحبوب لفرنسا ، التى كانت تعانى القحط (disette).

« وقد توقف تسديد ديون القمح لنضوب الخزينة »:
(épuisement du trésor) (159).

ومؤرخ فرنسى رابع ، دى غرامون ، يقول :

« وكانت فرنسا تعانى عجزا ماليا (pénurie de finances) لم يكن يسمح لها بتسديد ديونها نحو الجزائر » . (160)

---

(156) Egretaud : ibid, p. 42.
(157) Garrot : ibid, p. 598.
(158) انظر الشكل رقم : 134 و 139
(159) Xavier Bardon : ibid, p. 139.
(160) De Grammont : ibid, p. 354

dû leur salut qu'à l'intervention des milices locales accourues à leur secours. Les navires algériens renfloués et réparés par les soins de la marine française, avaient été renvoyés à Alger, où ils arrivaient le 7 mai 1793, convoyés par une division de trois vaisseaux, placée sous le commandement du capitaine Rondeau. Leurs équipages, au nombre de trois cent dix hommes, étaient rapatriés le 13 juin suivant sur la frégate la « Vestale », commandée par M. Gavoty.

Cette marque de générosité de la part du gouvernement de la République française, avait produit à Alger une grande impression. Le dey, les membres du divan, témoignant de leur joie de voir le nouvel état de choses en France, le consul Vallière profitait de ces bonnes dispositions pour entretenir avec les Puissances les meilleures relations.

Acquisitions de grains pour le compte du Directoire. — Les consulats étaient rattachés au ministère des affaires étrangères depuis le 14 février 1792. Le 14 mars suivant, un décret de l'assemblée nationale avait mis dix millions à la disposition du ministre de l'intérieur, pour être employés en achats de grains, nécessaires à un grand nombre de départements souffrant de la disette. Le conseil exécutif du Directoire et le comité d'approvisionnements de Marseille avaient donné l'ordre au consul Vallière de négocier avec les Algériens « la plus grande traite possible de denrées ». Le dey Hassan, sympathique au nouveau gouvernement de la France, avait prêté en 1793 au consul de la meilleure grâce du monde, et sans qu'il soit spécifié d'intérêts, le prêt à intérêts étant formellement interdit aux musulmans, la somme de deux cent cinquante mille francs pour solder ses premiers achats à Bône et à Constantine régions où la récolte était alors en abondance. « Ce prêt « écrivait le consul au ministre de l'intérieur, démontre « les bonnes dispositions du dey. Le service essentiel qu'il « travaille à nous rendre ; l'intérêt qu'il porte à la Républi« que, sont des titres sacrés à notre attachement et à « notre reconnaissance que tu sauras faire apprécier, ci« toyen ministre de la République. Le consul d'Angleterre « a prié ce souverain de ne nous fournir aucun secours « mais le dey lui a répondu en homme maître de son pays « et fidèle à ses amis. »

L'année suivante, le dey d'Alger offrait encore à la France

. ٥٥٠ f.

(بقيه الرسالة فى ص 149 الشكل رقم 139)

Henri Garrot

ومؤرخ فرنسي خامس ، بلانطي ، يقول :

« وفعلا ، فبينما كانت حكومة الجمهورية الأولى في حالـــة حرب مع أوروبا كلها تقريبا ، وجدت في داى الجزائر صديقا كريما وحليفا وفيا .

« ... وكانت ظروفنا تلزمنا بأن نعامل الجزائريين بالحسنى، ليس فقط لضمان حمايتهم ملاحتنا في البحر الأبيض المتوسط، بل أيضا لتزويدهم إيانا بالحبوب والجلود الضرورية لجيشنا.(161)

« ... وها هو سيدى حسن (الداى حسن) يتجاوز هــذا ، ويعطينا أكثر : فيقدم لنا تسبيقا أوليا قدره خمسون ومئتـا ألف فرنك ، بدون فائدة ، لتسديد مشترياتنا من الحبوب في عنابة وقسنطينة ؛ ويعطي قنصلنا جوازات سفـــر لسفننا ، ويسمح لبحارتنا بالتزود في جميع مراسيه ...

« بل ويرفض الهدايا التي قدمهـا له قنصلنا ، ويعطينـا ، زيادة على ذلك، قرضا بمليون لمدة عامين، وبدون فائدة ...».(162)

ونجد مؤرخا فرنسيا سادسا : كاط (163) ، يكتب حـــول الموضوع ، متجاوزا المبلغ الذى حـــدده السابق ذكرهم مـــن المؤرخين ، ورافعا إياه إلى خمسة ملايين من الفرنكات (هــذا قرض عيني ، أى نقدى ، زيادة عن القرض الحكومى المخصص لشراء القمح) ، فيقول (164) :

« ولقد أبدى (الداى حسن) استعدادا طيبا نحو فرنسا . وعندما اندلعت ثــورة 1789 م ، رفض أن ينضم إلى أعدائنا ، وقاوم جميع مناورات الأنكليز في هذا الاتجاه . بل وقد سهل

(161) Plantet : ibid, p. 29.

(162)انظر الشكل رقم : 135 .

(163) E. Cat : ibid, t. 1, p. 328.

(164)انظر الشكل رقم : 136 .

seulement en raison de notre navigation méridionale, mais encore de l'approvisionnement des blés et des [illegible] nécessaires à nos armées, et voilà que Sidi Hassan va au-devant de nos désirs. Il demande à Vallière de quelle façon il peut nous obliger davantage, et déclare que « c'est au besoin que doit se faire connaître un véritable ami ». Il nous fait une première avance de 250000 francs sans intérêts pour solder nos achats de grains à Bône et à Constantine, donne à notre Consul des passeports pour nos navires, permet à nos marins de se ravitailler dans tous ses ports, prescrit à ses corsaires « d'avoir le plus grand respect pour le pavillon tricolore ». Les représentants des Puissances belligérantes ne cessent de lui demander de dénoncer nos traités, ou du moins de conserver une neutralité rigoureuse ; il dédaigne leurs perfides manœuvres, et « supplie le Tout-Puissant de favoriser nos armes ». Il refuse les cadeaux que lui offre Vallière, et nous prête encore un million, pendant deux ans, sans intérêts, en s'excusant de ne pouvoir faire davantage. Aussi nos « citoyens représentants » adressent-ils à leur « ancien ami », tout en le tutoyant, les compliments les plus flatteurs, et le ministre renchérit-il encore sur leurs félicitations : « Il appartient, lui écrit-il, à des cœurs généreux comme le tien de s'intéresser en faveur de la cause qui a pour elle la raison, la justice et la gloire. Nous sommes flattés de ton amitié, jaloux de la conserver et de te donner des preuves de la nôtre ; nous désirons qu'elle soit éternelle. »

Par malheur, un émigré, un traître, viendra troubler cette heureuse harmonie en 1793. Meifrund, jadis chancelier du Consulat, a été condamné pour avoir rempli à Toulon pendant l'occupation anglaise, des fonctions municipales. Il est l'intime ami de Sidi Hassan, et celui-ci demande vainement à la France, pour prix de ses services, la grâce de son protégé émigré auprès de lui. Le hasard veut que ce Meifrund soit en même temps le beau-frère du Consul Vallière, et les pressantes instances de ce dernier font suspecter son civisme. Le ministre Buchot, ancien maître d'école, qui va bientôt solliciter le modeste emploi d'huissier dans les bureaux de son ministère des Relations extérieures, dont il

الشكل رقم : (135)

de franchir le détroit de Gibraltar ; en revanche reçut de grosses sommes du Danemark, de Venis de la Hollande et de la Suède, et se montra très bi disposé pour la France, représentée alors près lui par M. Vallière, fils de l'ancien consul. Quar la Révolution de 1789 eut éclaté, il refusa de joindre à nos ennemis ; il résista à toutes les int gues des Anglais en ce sens, facilita même l'ach de blés par nous dans la Régence et contrib ainsi à sauver la France de la famine (1). Deu juifs influents, Busnach et Bakri, furent les fou nisseurs de ces marchés, dont le règlement deva plus tard entraîner de si graves conséquences Cependant une question de personne, la confisca tion des biens d'un émigré, Maïfrun, ami du be et beau-frère de Vallière, faillit rompre les bo rapports des deux pays Les victoires de la Fran et aussi l'habileté du consul Jean-Bon-Saint-Andr empêchèrent la guerre. Quant au dey Hassan, il mourut après une courte maladie en 1798 ; so neveu, le khasnadji Mustapha, fut proclamé e dépit de sa résistance.

(1) Plus tard il prêtera 5 millions au Directoire, san intérêts.

E. Cat : Petite Histoire de l'Algérie,

الشكل رقم : (136)

علينا ، زيادة على ذلك ، اشتراء القمح فى بلاده ، **وساهم بذلك فى إنقاذ فرنسا من المجاعة .**

«ثم منح الداى حسن الدريكتوار فيما بعد قرضا **مبلغه خمسة ملايين من الفرنكات بدون فائدة** » (165) .

ونعود إلى دى غرامون ، الذى يؤكد **مبلغ الخمسة ملايين هذا (من الفرنكات الذهبية سنة 1796 م !)** ، معززا بذلك رواية مواطنه وزميله كاط ، فيقول :

« وفرنسا ، التى رأت إذ ذاك أوروبا كلها تقريبا تقف ضدها ، كان عليها أن تراعى الجزائر ، التى كان يتوقف عليها تزودنا بالحبوب ، ذلك التزود الذى أصبحت ضرورته تزداد كل يوم شدة وحدة .

« ... وقد تحمل فاليير (القنصل العام ، مستشار الملك سابقا ، المحافظ العام للشؤون الاقتصادية الفرنسية) بعض المعاملات القاسية فى سبيل مصلحة بلاده : للحصول على رخصة تصدير كميات هائلة من الحبوب ، واللحوم المملحة (القديد) ، والجلود ، ومواد أخرى مخصصة لتموين جنوب فرنسا والجيش ، محبطا بذلك مناورات الأنكليز ، الذين كانوا يودون أن يزيدوا من المتربة ، أو المحنة (détresse) ، التى كانت توجد فيها إذ ذاك عدوتهم (فرنسا) » .

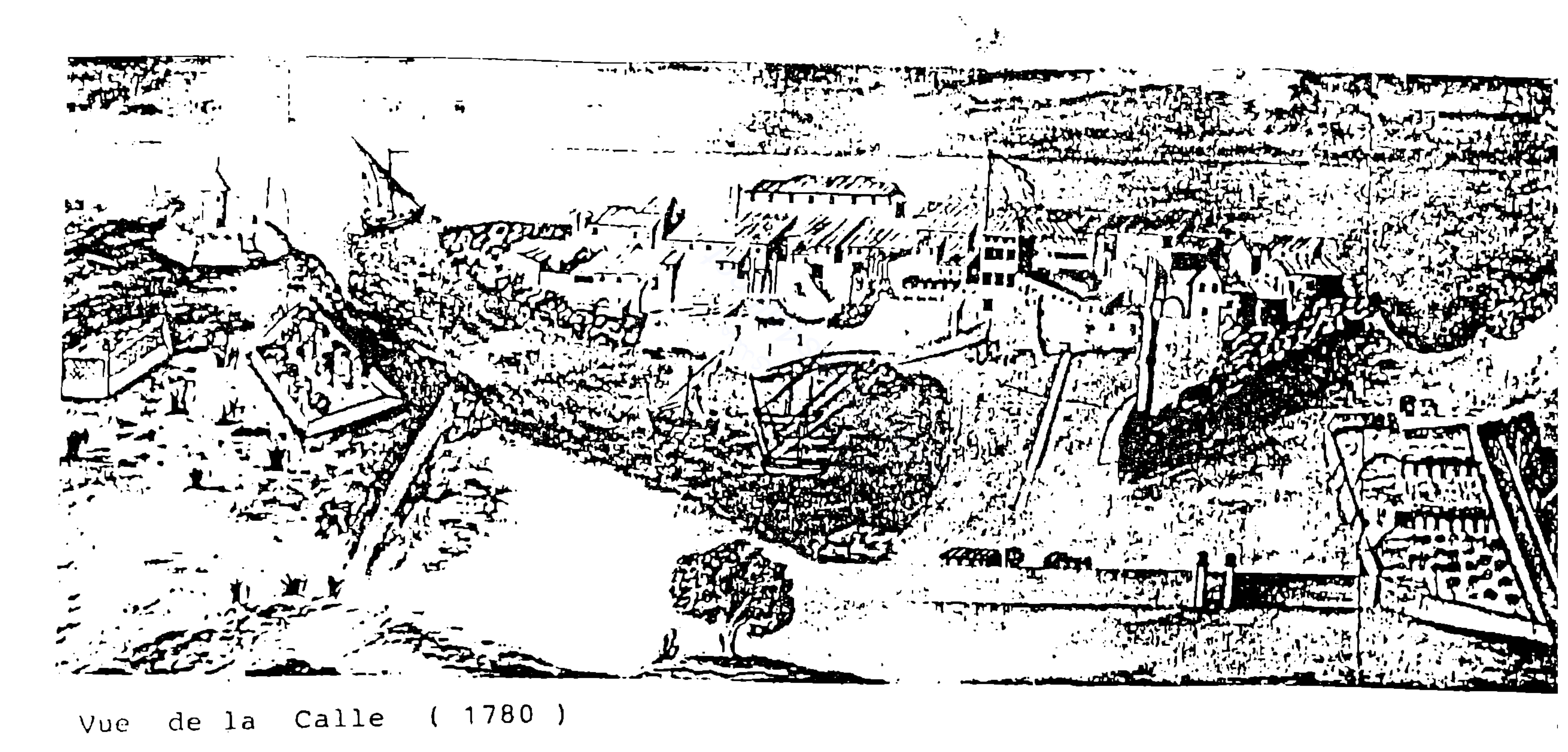
ويعلق المؤرخ دو غرامون على هذا قائلا :

« وفعلا ، فلم يكتف الداى (حسن) بإصدار أوامره بفتح أبواب أسواق الشرق والغرب (القالة (166) والغزوات) على مصاريعها أمام سفن مرسيليا ، بل منح مدينة جنوة (إيطاليا)

---

(165) Cat : ibid, t. 1, p. 328.

(166)انظر الشكل رقم : 137 .



Vue de la Calle (1780)

الشكل رقم : (137)

أيضا نعمة السلم ، بطلب من قنصلنا ، الذى كان يستخدم هذا الميناء الإيطالى لتصدير القمح الجزائرى إلى فرنسا ؛ ثم ذهب (الداى حسن) إلى أبعد من هذا فى تكرمه وحسناه : فقدم لنا التسبيق الضرورى لتسديد مشترياتنا من القمح لدى «الأهالى» (الجزائريين) .

« بل وفيما بعد منح أيضا حكومة الدريكتوار قرضا عينيا (نقديا) مبلغه **خمسة ملايين من الفرنكات ، بدون فائدة »** . (167) و (168) و (169) .

وهكذا ، إذن ، وجدنا عند هؤلاء المؤرخين والدبلوماسيين الفرنسيين ، المتعددى الاتجاهات والأفكار ، المتعاقبين فى الزمن ، اصطلاحات موحدة للحالة المادية والمعنوية فى فرنسا إذ ذاك ، مثل : إسعاف secours ؛ وقحط disette ؛ والفاقة ، والسكنة ، والمتربة détresse ؛ (ومسكين ذو متربة : « اللاصق بالتراب من شدة الفاقة » : لسان العرب)؛ والمجاعة famine ، « والمسغبة ، أى الموت جوعا périr par la famine ، (والمسغبة والمتربة لفظان قرآنيان) أو عام ، بل أعوام الشر ، كما سبق أن قلنا .

ونفس التشابه ، أو التدرج ، فى الصيغة ، لوصف الحالة المالية في فرنسا إذ ذاك، نجده عند هؤلاء المؤرخين والدبلوماسيين الفرنسيين : عجز مالى : pénurie de finances ; en court d'argent ، ونضوب الخزينة : épuisement de trésor ... والاصطلاح المستعمل اليوم لذلك هو العجز عن التسديد : insolvabilité.

بل ونجد أن أحدهم ، وهو قديم نسبيا ، يبدع ، وينحت اصطلاحا لم يوجد إلا فيما بعد ، وهو هانرى غارو ، الذى

---

(167) De Grammont : ibid, p. 348-349.

(168) انظر الشكل رقم : 138 أ ، 138 ب .

(169) انظر الشكل السابق رقم : 131 أ ، و ب ، و جـ .

l'amulette de diamants qui fut trouvée sur le corps du Bey valait à elle seule deux cent soixante-quinze mille dinars. Cette victoire n'apaisa pas complètement les craintes du Dey, qui changea deux fois encore le Bey de Titeri en moins de deux ans, et fit surveiller Mohammed-ben-Osman, de la puissance et de l'influence duquel il était jaloux, sans oser le manifester hautement.

Pendant ce temps, Venise, la Hollande et la Suède se voyaient successivement l'objet de menaces de guerre, qu'elles n'écartaient qu'à prix d'or. Le Danemark subissait les mêmes exigences quelque temps après, et le Portugal, qui n'avait pu obtenir la paix, luttait avec courage et empêchait les Reïs de sortir du détroit de Gibraltar. La France, qui voyait à ce moment presque toute l'Europe se dresser contre elle, était tenue de ménager la Régence, de laquelle dépendait l'approvisionnement des céréales, devenu de plus en plus nécessaire. M. Vallière s'y employait de son mieux. Élevé à Alger, où son père avait été consul de 1763 à 1773, il y connaissait tous les personnages influents, avait le grand avantage de pouvoir se passer de drogman, et rendit ainsi d'immenses services dans un temps très difficile. Après avoir essuyé quelques bourrasques dues à l'humeur inconstante du Dey, il était arrivé à acquérir sur lui une véritable influence, dont il se servit habilement dans l'intérêt de son pays, obtenant la permission d'exporter d'énormes fournitures de grains, de viande salée, de cuirs, et d'autres denrées destinées à l'alimentation du Midi et à la subsistance des armées, déjouant ainsi les intrigues des Anglais, qui eussent voulu augmenter la détresse dans laquelle se trouvait à cette époque leur ennemie..

Hassan résista à leurs instances : « J'apprends avec indignation par le Dey lui-même écrivait Vallière que les anglais ont osé lui demander de nous refuser tout secours, afin de nous laisser périr par la famine ; le Dey a répondu en homme maître de son pays et en ami des Français. Le consul Anglais a fait une seconde tentative tout aussi infructueuse que la première... Je te laisse le soin d'apprendre à la République et à ses enfants la conduite du Dey envers eux en

cette occasion : la circonstance en décuple le prix. » En effet, non content de donner des ordres pour que les marchés de l'est et de l'ouest fussent largement ouverts aux navires de Marseille, il accordait la paix à Gênes, à la sollicitation du consul, qui se servait de la marine de ce port pour les envois de grains, et poussait la bienveillance jusqu'à avancer l'argent nécessaire aux marchés conclus avec les Indigènes. Plus tard il prêta même cinq millions au Directoire, sans vouloir en recevoir d'intérêts : car ce prince n'était pas avare, ne recherchant l'argent que pour satisfaire ses goûts fastueux et pour obéir aux exigences de son entourage. Il était d'une nature chevaleresque, et lorsqu'on crut pouvoir l'exciter à s'unir aux ennemis de la France en lui représentant qu'elle allait être écrasée par la coalition, on obtint un résultat tout contraire, et il déclara très hautement qu'il n'abandonnerait jamais son ancienne alliée. Malheureusement pour lui, il était atteint au plus haut degré de la maladie mentale commune à tous les Deys, un manque complet d'équilibre cérébral, qui le faisait agir sous l'influence du moment, sans réflexion, et qui, le plus souvent, le livrait à des colères immotivées. C'est ainsi, qu'en 1792, deux jours après avoir ordonné à Vallière de partir et de faire sortir de France les sujets algériens, il fit étrangler ou bâtonner les Reïs dont la plainte avait causé ce commencement de rupture. Il s'agissait de deux chebeks qui avaient été coulés, l'un par les Napolitains, l'autre par les Génois dans les eaux de la Provence. Bien que les équipages, poursuivis sur le rivage par les vainqueurs, eussent été sauvés par les milices accourues à la hâte et rapatriés par la frégate la *Vestale*, les ennemis du consul avaient cru pouvoir profiter de cet incident pour le brouiller avec Hassan. Ils se servirent à cet effet de l'intermédiaire des Juifs, auxquels ce prince avait confié tous ses intérêts, et qui avaient acquis une énorme influence dans le conseil privé.

On a vu précédemment que, dès le commencement du pouvoir des Deys, les Juifs livournais qui étaient venus s'établir à Alger avaient habilement profité des embarras financiers des souverains pour monopoliser le commerce à leur profit ; ils avaient acquis par ce moyen de très grandes

De Grammont.

الشكل رقم : (138) ب

استعمل ما يشبه صيغة « الجسر البحرى » ـ إذ لم تكن الطائرات إذ ذاك موجودة ليستعمل الجسر الجوى ـ فيقول :

« وفى السنة التى بعدها (أى فى 1794 م) زاد الداى (حسن) فى تكرمه خطوة **فأهـــدى** فرنسا ـ التى سارعت إلى انتهاز الفرصـــة ـ **مواد غذائية ، وخيولا جيدة ، ومواد استهلاكيـــة من جميع الأصناف** ، ليساعدها فى حروبها ضد أوروبا المتكتلة فى وجهها ، قائلا فى رسالته الموجهة بتاريخ 16 أكتوبر 1794 م إلى وزير الخارجية (الذى يرأس مجلس الجمهورية **بالتناوب مع** زملائه) (170) : « إن فى الشدة يعرف الأصدقاء » (171) .

ويضيف المؤرخ غارو ، وهنا بيت القصيد ، ومحل الإبداع منه ، الذى يجسم بأروع صورة وبأبلغ رمز مساعدة الجمهورية الجزائرية للجمهورية الفرنسية ، **أكثر من ذكر أية أرقام كانت**، مما سبق أن ذكرناه ، اذ يقول :

« وأمام هذا الاستعداد الطيب من داى الجزائر ، **ولتسهيـــل مهمة نقل المواد الغذائية المشتراة مـــن الجزائر** ، والمراسلات والمواصلات ، اتخذ مجلس الثورة للجمهورية الفرنسية قرارا يــقضى **بإقامة خط بحرى** منتظم ـ أى جسر بحرى ـ بين **فرنسا والجزائـــر** ، وقد كلفت شركة افريقيا باقامة هذا الخط بتاريخ 28 أوت 1794 م » (172) و (173) .

وقد تلاحقت بعد ذلك رسائـــل المجلس التنفيذى الأعـــلى (الدريكتوار) للجمهورية الفرنسية إلى داى الجزائر . وأحيانا لا يتركون له حتى وقت الإجابة على رسالة حتى تترى منهم عليه

(170) انظر الشكل السابق رقم : 126 .

(171) Garrot : ibid, p. 599.

(172) انظر الشكل رقم : 139 .

(173) Garrot : ibid, p. 599.

qui s'empressa d'en profiter, des vivres, de bons chevaux, des comestibles de toute espèce, pour l'aider dans ses guerres contre l'Europe coalisée, disant dans sa lettre, adressée le 16 octobre 1793 au citoyen Bouchot, commissaire des relations extérieures: "C'est au besoin, qu'un véritable ami doit se faire connaître."

Le comité de salut public, en présence des bonnes dispositions du dey d'Alger, pour faciliter le transport des vivres achetés en Afrique et des correspondances, dut prendre un arrêté organisant un service régulier de paquebots entre la France et Alger, service dont fut chargée la compagnie d'Afrique le 28 août 1794.

Un décret de la convention nationale du 27 pluviose an II, avait changé le pavillon français, modifiant les dispositions du 31 octobre 1790, qui reléguaient dans un coin les couleurs nationales.

« Le pavillon national sera formé », dit ce décret, « des « trois couleurs nationales disposées en trois bandes égales, « posées verticalement, de manière que le bleu soit attaché « à la gaule, le blanc au milieu, le rouge flottant dans les « airs. » Deforgues, ministre des affaires étrangères de la République, notifiait ce changement de disposition du pavillon français dans sa dépêche au dey Hassan du 24 mars 1794 (18 germinal an II).

Le Portugal étant toujours en guerre avec Alger, le consul d'Angleterre avec reçu de son gouvernement l'ordre de négocier à quelque prix que ce fut la paix entre la régence et le Portugal, afin de voir rouvrir le détroit aux corsaires qui eussent contrarié la navigation des Américains, les empêchant ainsi de continuer à porter leurs grains dans les ports français. Le consul Vallière rendit cette manœuvre inutile en faisant conclure un traité entre la régence et les Etats-Unis.

En mars 1795, des frégates espagnoles ayant capturé un navire français dans les eaux d'Alger, Hassan fit sortir immédiatement douze canonnières, qui reprenant le navire de force, exigèrent la restitution de son équipage transbordé, retenu prisonnier.

Joseph Bacri et Nephtali Busnach, fournisseurs du gouvernement français. — Un nommé Joseph Bou-Kris, juif d'origine algérienne, établi à Livourne, où il avait italianisé

رسالة أخرى ، بمناسبة أو بدون مناسبة . والغرض من كل ذلك هو الإبقاء على تلك العلاقات الخصبة لفرنسا ، وهى محاصرة بالتكتلات الأوروبية السبعة، كما قلنا ، التى كانت الدولة العثمانية طرفا فى بعضها ... ولم يبق لفرنسا فى الدنيا إلا الجزائر ، حليفة ، وسندا ، ومزودة لها بالمال ، والقمح ، والمواد الغذائية الأخرى لشعبها ؛ وبالخيول الجيدة ، والجلود ، واللحوم المجففة ، وغيرها من المواد الاستراتيجية ، خاصة لجيشها ، وعلى رأس جميع هذه المواد : القمح ، الذى هو المادة الاستراتيجية الأولى ، كما يسمى اليوم ، فى كل من الحرب والسلم ! وفى كل من الشرق والغرب ، والشمال والجنوب ، من هذه الدنيا !

بل وقد تدخل الداى حسن حتى فى بعض المجالات العسكرية لصالحهم : « ففى مارس 1795 م ، مثلا ، أسرت سفن اسبانية سفينة فرنسية فى عرض البحر ، فأصدر الداى حسن أمرا ـ بمجرد أن سمع بالخبر ـ بإرسال اثنتى عشرة سفينة مدفعية جزائرية لملاحقة السفن الإسبانية ، وافتكاك السفينة الفرنسية منها بالقوة ، فافتكتها منها ، فعلا ، كما أجبرتها على إطلاق سراح ربانها وبحارتها ، وإرجاعهم إلى سفينتهم ، بعد أن كان الإسبان قد أخرجوهم منها ، وجعلوا منهم أسرى » . (174)

وهكذا بعث الدريكتوار فى ديسمبر (1795 م) إلى « سيدى حسن ، الصديق الحليف القديم للشعب الفرنسى » (هذه المرة « للشعب » ، لا للأمة) ، برسالة يعلمه فيها بإنهاء مهام سفيرهم فى الجزائر ، فالنيير ، وتعيين خلف له (175) ؛ تتلوها رسالة أخرى ، منهم أيضا ، « إلى سيدى حسن ، الصديق الحليف القديم

---

(174) Garrot : ibid, p. 599.

(175) انظر الشكل رقم : 140 .

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DU PEUPLE FRANÇAIS.

Paris, frimaire an IV (décembre 1795).

Illustre et magnifique Seigneur,

Le bien du service de la République française dans vos États exigeant le rappel du citoyen Vallière [1], nous nous sommes déterminés à faire passer à Alger pour le remplacer le citoyen Jeanbon Saint-André [2], dont la probité, le zèle et les talents nous sont parfaitement connus. Nous lui avons donné à cet effet des instructions, avec l'ordre de vous assurer de notre sincère amitié et de notre haute estime. Nous le chargeons en même temps de vous présenter cette lettre, pour l'accréditer auprès de votre personne en qualité de Consul général et Chargé des affaires de la République française. Vous pouvez, en conséquence, ajouter entière foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom, relativement au service et aux intérêts de la nation française dans votre pays. Nous vous le recommandons particulièrement. Sur ce nous faisons des vœux, illustre et magnifique Seigneur, pour votre parfaite prospérité et celle des États que vous gouvernez.

Fait au Palais du Directoire exécutif, dans le mois de frimaire an IV de la République une et indivisible.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,

DE LACROIX [3].

Simon Abucaya, en qualité « d'Agent général chargé des affaires du Dey d'Alger ». Sidi Hamdan, dans son *Aperçu historique et statistique sur la Régence d'Alger*, pourra donner une idée de la rapidité avec laquelle les Bacri faisaient leur fortune. (Paris, 1833. p. 152.)

1. Herculais, dont le patriotisme turbulent voyait partout des suspects, avait demandé et obtenu non seulement la révocation de Vallière, mais encore celle de Devoize, notre agent à Tunis, et celle de son secrétaire, nommé Gayet, qu'il avait emmené avec lui dans sa mission en Barbarie. Notre ancien Consul à Alger s'embarqua pour l'Espagne, en mai 1796, et se justifia pleinement aux yeux du Directoire, qui leva le séquestre mis sur sa fortune le 20 nivôse an V. Voy. *État des services du citoyen Vallière, — Rapport au Directoire exécutif sur l'ex-Consul Vallière*, le 4 ventôse an V, — *Réponse justificative du citoyen Vallière aux motifs qui ont déterminé son rappel*, le 3 floréal an IV.

2. Jeanbon Saint-André, et non pas Jean Bon Saint-André, comme on l'a toujours appelé, fut d'abord ministre protestant à Montauban, puis Député du Lot à la Convention nationale, membre du Comité de salut public, envoyé en mission aux armées du Nord, des Ardennes, de la Moselle et du Rhin, ensuite à Brest et à Toulon. Arrêté et incarcéré le 9 thermidor an II (27 juillet 1794), il fut rendu à la liberté par l'amnistie du 4 brumaire an IV (26 octobre 1795). Il arriva à Alger le 3 juin 1796, accompagné de son neveu Bellue, officier de marine, qui devint Chancelier à la place d'Astoin-Sielve, et du citoyen Joseph Labrouche, son secrétaire particulier. Il avait reçu l'ordre de présenter au Dey ce qui restait des cadeaux emportés de France par Herculais, et au sujet desquels ce dernier n'avait pas cru devoir envoyer des comptes en règle. Voy. *Mémoire pour servir d'Instruction au citoyen Jeanbon Saint-André, Consul général de la République française à Alger*, — *Lettre du citoyen Jeanbon-Saint-André au citoyen de Lacroix*, le 22 prairial an IV, rendant compte de son arrivée et de son installation dans son nouveau poste.

3. Un des premiers actes du Directoire, en succédant à la Convention, fut de supprimer les Commissions et de rétablir les Ministères. Celui des relations

للشعب الفرنسى » ، اثر أمر الداى حسن بإيقاف تصدير القمح إلى فرنسا ، لنزاع طارئ ، يقولون له فيها :

« لقد آلمنا أن نسمع أنكم أوقفتم تصدير القمح الذى كان يساعد على تموينا . وان صداقتنا القديمة التى تربطنا بكم لمن العزة علينا بحيث لا نسمح لأنفسنا بالتوانى فى البحث عن السبب الذى غيرها ... وقد وجدناه فى ممثلنا فالير ، الـذى خدعنا ، وخان ثقتنا وثقتكم . ولهذا قررنا استدعاءه وتعويضه بآخر » ... الخ ... ويطلب المجلس التنفيذى (الدريكتوار) فى رسالته من الداى بإلحاح استئناف ترخيص تصدير القمـح لصالح فرنسا ، « لأن التفاهم بين الأمتين ... » الخ ، ثم يعبر فيها للداى عن قلقه من أى تعكير لجو المودة السائدة بين البلدين، ويؤكد صدق عواطفه ، وضرورة زيادة توطيد علاقات أخصب ... وتعزيز انتظام الاتصالات والمراسلات بينهما . (176)

ثم تتبعها رسالة أخرى منه أيضا (أى الدريكتوار) إلى نفس « سيدى حسن ، داى الجزائر ، الصديق الحليف القديم للشعب الفرنسى » ، يشكره فيها على حسن استقباله للمبعوث الخـاص للجمهورية إليه ، المسمى هركولى Herculais ، ويقول له : « إننا تأثرنا أشد التأثر **بعروضكم المالية** التى حملتموه إياها ، والتى استوجبت عرفاننا بالجميل ، ونعتبرها دليلا جديدا على عطفكم على الجمهورية (الفرنسية) . وإننـــا كلفنا مبعوثنا الخاص **بالفصل** فى الموضوع معكم ... » (177) .

ثم رسالة أخرى منه أيضا إلى نفس **سيدى حسن** ، تتصـل بتبادل أسرى (178) . فيجيبه الداى حسن بضرورة مراعاة مبدإ

---

(176) انظر الشكل رقم : 141 أ و 141 ب .
(177) انظر الشكل رقم : 142 أ و 142 ب .
(178) انظر الشكل رقم : 143 .

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DU PEUPLE FRANÇAIS.

Paris, frimaire an IV (décembre 1795).

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons appris avec peine que vous aviez suspendu l'exportation qui favorisait nos approvisionnements [1]. L'ancienne amitié qui nous unit à vous nous est trop précieuse pour négliger de rechercher la cause qui l'avait altérée; nous l'avons trouvée dans la conduite du citoyen Vallière. Il a trahi notre confiance, il a abusé de la vôtre. Nous l'avons rappelé. Le citoyen Jeanbon Saint-André, qui résidera désormais auprès de vous, était ci-devant Représentant du peuple français à la Convention nationale [2]. C'est le même qui, dans sa mission à Toulon, protégea par le développement de nos forces maritimes le transport du numéraire qui servit au payement du blé que nous achetions en Barbarie. Son caractère personnel et les fonctions éminentes qu'il a remplies nous l'ont fait préférer entre tous. Il a reçu nos ordres relativement aux diverses réclamations que vous nous avez adressées. La justice le caractérise, et si le citoyen Vallière n'eût pas caché ceux que nous lui avions donnés et les motifs qui les déterminèrent, aucune discussion ne se serait élevée entre nous. Le citoyen Jeanbon Saint-André les terminera sans doute. Il réclamera de notre part et en notre faveur la libre exportation des grains [1]. Nous savons que la bonne intelligence entre les nations est le résultat du commerce continuel de bons offices, et vous recevrez de nous tous ceux qu'il ne nous sera pas impossible d'accorder. Désormais des rapports plus avantageux et des communications plus fréquentes doivent s'établir entre nous. La victoire qui fonde la République française et qui étend son domaine lui donne chaque jour de nouveaux droits à la consi-

الشكل رقم : (141) أ

dération de l'Europe. Le peuple français est juste; nul ne lui rendra vainement des services. Ceux qu'il a reçus de vous et qu'il en attend encore seront la mesure de sa reconnaissance.

Recevez de notre part l'assurance qu'il vous donne de ne laisser jamais troubler la bonne harmonie qu'il souhaite de voir se maintenir entre lui et vous.

Donné au Palais du Directoire, sous le sceau national, à Paris, en frimaire de l'an IV de la République française une et indivisible.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,

DE LACROIX.

extérieures fut confié, le 6 novembre 1795, à Charles-Constant de Lacroix, ancien Chef de bureau des Finances, puis Député de la Marne en 1792, membre du Comité de salut public et chargé de diverses missions administratives, notamment dans les Ardennes et dans la Meuse.

1. Un Juif, Samuel Moatty, avait acheté à Marseille des marchandises dont la sortie était prohibée par la loi du 12 pluviôse an III. Le Dey, qui s'était intéressé à cette affaire, avait exigé la restitution en nature et non pas le prix de la cargaison, vendue aux enchères publiques. Il s'était opposé, pour obtenir satisfaction, à la sortie des blés achetés par l'Agence d'Afrique. Voy. *Rapport au Ministre des relations extérieures sur la saisie faite par le bureau des douanes de la commune de Marseille de diverses marchandises embarquées pour Alger par Samuel Moatty, — Mémoire du citoyen Guys, Agent général des relations extérieures à Marseille, sur l'affaire du Juif Moatty.* (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

2. Voy. la note 1, p. 153.

الشكل رقم : (141) ب

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DE LA NATION FRANÇAISE.

Paris, prairial an IV (juin 1796).

Illustre et magnifique Seigneur,

Le négociant Jacob Cohen Bacri, chargé de vos commissions à Marseille, nous a fait parvenir votre lettre en date du 12 juillet 1795 [1]. Nous y avons vu avec plaisir l'expression sincère de votre amitié et de votre reconnaissance pour l'accueil que ce négociant a reçu depuis son arrivée en France. Soyez persuadé qu'il n'aura qu'à se louer également des bons procédés qu'on continuera d'avoir pour lui comme pour tous ceux que vous nous recommanderez, et que nous ne laisserons échapper aucune occasion de resserrer de plus en plus les liens de cette ancienne amitié, qui subsiste et subsistera toujours entre les deux nations.

Nous ne voulons point finir cette lettre sans vous dire combien nous avons été satisfaits nous-mêmes d'apprendre la réception favorable que vous avez faite au citoyen Herculais, Envoyé de la République auprès de vous [2]. Il nous a rendu un compte détaillé des marques d'intérêt et de bienveillance que vous lui avez témoignées, et nous ne doutons point qu'il ne continue à mériter votre confiance; nous vous invitons à la lui accorder. Il nous a en même temps fait connaître toute l'indignation que vous a causée l'outrage qu'ont commis les Anglais, en enlevant deux bâtiments de guerre français qui étaient mouillés dans la rade de La Goulette [3]; nous ne vous dissimulons pas que cette perfidie infâme rejaillit particulièrement sur le Bey de Tunis qui, malgré les avis qu'on lui a donnés, a laissé violer d'une manière aussi audacieuse l'asile assuré que nos bâtiments devaient trouver dans ses ports contre les entreprises de nos ennemis. Vous avez si bien senti cette vérité que vous vous êtes empressé de prendre toutes les mesures convenables pour contraindre le Bey à une réparation complète envers la République; nous vous en savons infiniment de gré, et nous sommes persuadés qu'au moyen de votre crédit et de votre influence vous parviendrez à obtenir cette réparation due à la nation française, et devenue

d'ailleurs indispensable pour l'honneur des Puissances musulmanes dont il vous importe de maintenir la considération. Nous nous en reposons donc entièrement sur vous du soin de terminer cette affaire à notre entière satisfaction. Nous avons été extrêmement sensibles aux offres pécuniaires que vous avez faites au citoyen Herculais; elles ont excité toute notre reconnaissance, et nous les avons regardées comme une nouvelle preuve de votre attachement et de votre intérêt pour la République. En conséquence, nous chargeons notre Envoyé d'en conférer avec vous conformément aux instructions que nous lui adressons [1]. Vous pourrez ajouter une entière confiance à tout ce qu'il vous dira sur ce point, et compter que les engagements qu'il pourra contracter en notre nom seront remplis avec toute l'exactitude et la loyauté qui caractérisent la nation française, que vous devez mettre au nombre de vos plus sincères et fidèles amis. Vous ajouterez par là de nouveaux droits à sa reconnaissance.

Sur ce nous faisons des vœux, illustre et magnifique Seigneur, pour votre parfait bonheur et la prospérité des États que vous gouvernez.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,

De Lacr...

1. Si la Régence se vantait de nous rendre des services avec ses fournitures de grains, il est bon de remarquer qu'elle vendait à l'Agence d'Afrique, au prix de 45 piastres, la charge de blé que les étrangers ne payaient que 38 piastres.

1. Voy. p. 451.
2. Voy. la note 2, p. 441.
3. Voy. *Lettres des citoyens Vallière et Herculais au citoyen de La..oix*, ..es 11 et 24 germinal an IV. Notre Consul informait le Ministre de cette violation de territoire neutre que s'étaient permis les Anglais, en enlevant nos corvettes *La Sardine*, *La Némésis* et le brick *Le Postillon* dans la rade de La Goulette. Il était allé se plaindre au palais de la Jenina de cet acte de perfidie, et le Dey lui avait déclaré « qu'il se chargeait de faire payer au Bey de Tunis la valeur de nos bâtiments, estimant le dommage à 242 000 piastres ».

1. Voy. *Lettre du citoyen de Lacroix au citoyen Herculais*, le 16 prairial an IV. Les Bacri, malgré les avances qu'ils avaient faites à la République, offraient encore au Directoire 40 000 quintaux de grains emmagasinés à Marseille. Le Gouvernement manquait d'argent pour payer même un acompte, et faisait tous ses efforts pour obtenir du Dey le prêt d'un million de piastres (5 000 000 de fr.).

الشكل رقم : (142) ب

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DU PEUPLE FRANÇAIS.

Paris, le 7 vendémiaire an VI (28 septembre 1797).

Illustre et magnifique Seigneur,

Le Directoire exécutif, d'après la demande que vous lui avez fait faire par son Consul, a écrit à Venise pour réclamer 96 Algériens détenus à Corfou [1]. Son intervention dans cette affaire a eu l'effet que vous désiriez, et il se fait un plaisir de vous annoncer la mise en liberté de ces individus avec le chebek qui les transportait, et dont le Gouvernement vénitien a donné les ordres nécessaires pour le prompt embarquement et la sûreté de la traversée.

Le Directoire exécutif, en se rappelant que l'ascendant de la République française a en outre garanti de l'esclavage ou arraché à la captivité 400 passagers musulmans à Zante [2], 32 Algériens à Gênes et 13 à Livourne, pense que vous ne trouverez rien que de très fondé dans la demande qu'il vous adresse de rendre à la liberté quelques Français ou Italiens, pris sous pavillon français, qui sont esclaves à Alger depuis plusieurs années [3]. Ces malheureux se trouvent aujourd'hui réduits à 80, au moyen de la remise de l'un d'eux que vous avez faite dernièrement au Consul de la République française. Le Directoire exécutif a été très sensible à cet obligeant procédé, et il vous presse d'y mettre le complément en brisant les fers des 80 autres; il espère que vous ne vous refuserez pas à cette compensation des nombreuses restitutions que son influence vous a procurées, et à donner ce gage de la sincérité des sentiments d'amitié que vous professez pour la République française. Le Directoire exécutif vous assure à l'avance de toute sa reconnaissance, ainsi que des vœux qu'il forme pour la prospérité de votre personne et de vos États.

Donné au Palais national du Directoire exécutif, à Paris, le 7 vendémiaire de l'an VI de la République française.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,

TALLEYRAND.

1. Ces Algériens se trouvaient sur un chebek appartenant au Bey d'Oran. Ils n'avaient pas connaissance de la guerre et, pressés par le besoin de provisions de bouche, ils avaient relâché à Corfou et y avaient été aussitôt arrêtés. Voy. *Lettre du citoyen Jeanbon Saint-André au citoyen de Lacroix*, le 24 messidor an V.

2. L'article 5 du traité de Campo-Formio donnait à la République française la souveraineté des îles autrefois vénitiennes de Corfou, Zante, Céphalonie, Sainte-Maure, Cérigo et dépendances.

3. « Le Dey ne peut faire à cet égard aucune difficulté, puisqu'il doit à l'influence de la République la mise en liberté d'une quantité considérable de ses sujets. » Voy. *Lettre du citoyen Talleyrand au citoyen Jeanbon Saint-André*, le 2 ventôse an VI. — Voy. aussi *Note de ce qui a été proposé au Directoire exécutif en faveur des Français esclaves à Alger*, le 1er frimaire an V. (*Archives des affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

الشكل رقم : (143)

المعاملة بالمثل ، الحسنى بالحسنى ... و « **إننا لنرغب في أن يعامل رعايانا المقيمون لديكم بنفس الطريقة التي نعامل بها رعاياكم عندنا ...** » (179) .

ثم رسالة أخرى من أعضاء الدريكتوار يجيبون فيها الداي « سيدي » حسن (دائما !) على رسالة منه بخصوص ضرورة نقل ممثلهم الدبلوماسي وتعويضه بآخر ، يعلمونه فيها بأنهم قرروا ترضيته « وتعيين قنصل عام جديد ، قائم بأعمال الجمهورية الفرنسية ، ليؤكد لكم صدق تعلقنا بكم ، وتقديرنا لكم ، ولرعاية حسن التفاهم السائد، لحسن الحظ، بين **الأمتين**».(180)

ورسالة جديدة منهم أيضا، دائما «إلى سيدي حسن، الصديق الحليف القديم للشعب الفرنسي » ، يعبرون له فيها عن سرورهم بوجوده إلى جنبهم سندا قويا ، « مما أثار الحسد الأعمى لدى خصومنا ، وأثار سخطهم العميق ، وانزعاجهم الشديد من رؤية سيد عظيم مثلكم واقفا إلى جنب الجمهورية الفرنسية ...» (181). والأهم في هذه الرسالة هو ما في هامش ص 475 ... عن تصورهم في ذلك الوقت ... للتعاون ... التقني ... فليقرأ بتمعن ! (الشكل رقم 146 ب) .

وعند وفاة الداي حسن (يوم 14 مايو 1798 م) ، وتولى مصطفى باشا مكانه ، الذي طالب الدريكتوار بتسديد بعض المستحقات القديمة ، (من الديون طبعا ، لا من المساعدات المقدمة مجانا) ، رأى الدريكتوار أن « يعاقب » الداي مصطفى على ذلك بـ « حرمانه » من صيغة «سيدي» التي كانوا «يتحفون»

---

(179) انظر الشكل رقم : 144 أ و 144 ب .
(180) انظر الشكل رقم : 145 أ و 145 ب .
(181) انظر الشكل رقم : 146 أ ، و 146 ب .

SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
AU DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE [1].

Alger, le 29 septembre 1797.

Citoyens Representants,

Nous avons reçu avec un grand plaisir votre lettre du 16 messidor dernier [2], dans laquelle vous nous faites part des ordres que vous avez donnés à votre Consul Jeanbon Saint-André de faire repartir pour un autre pays les prises neutres que vos corsaires ont conduites ici. Ces ordres arrivèrent à l'époque où nous approchions de la peste, et si nos sujets eussent fait acquisition des effets de ces prises, et qu'il fût mort quelqu'un de ceux qui auraient acheté de ces marchandises, nous aurions eu des casse-têtes pour les payements. On avait donc jugé qu'il était à propos que ces ordres fussent donnés à votre Consul, pour éviter tout inconvénient entre nous.

A peine eûmes-nous reçu votre lettre que nous nous empressâmes de vous donner des marques du plaisir que nous procure la continuation de notre longue et ancienne amitié et alliance. A cet effet, il a été signifié à votre Consul qu'il ordonnât aux corsaires français de conduire ici et dans tous nos ports leurs prises, tant sous pavillon neutre que les prises ennemies, et qu'elles seraient bien reçues dans tous nos États.

Quant aux insultes que nous a fait la nation britannique, ne croyez pas que nous nous taisions, car nous prétendons pour indemnité du dommage fait à l'un de nos corsaires la somme de 40 000 piastres fortes d'Espagne et tous les dommages qu'ont essuyés nos sujets. Et pour la corvette française qui fut prise par la susdite nation dans le port de Bône, quoiqu'au delà de la portée du canon, on a exigé d'elle qu'elle ramenât la corvette même dans l'état où elle se trouvait à l'époque de le capture, ou qu'elle payât la somme de 60 000 piastres fortes d'Espagne. Et si elle ne satisfait pas à nos prétentions, vous verrez et apprendrez ce qui s'ensuivra avec la susdite nation,

1. L'original est en langue italienne.
2. Voy. p. 464.

car vous serez informés à temps de ce qui sera résulté à ce sujet [1].

Il y a quatorze mois que votre Consul réside auprès de nous ; il nous a continuellement demandé des faveurs au nom de la République française et nous les lui avons toujours accordées par respect pour elle, et nous continuerons de lui accorder, comme aussi aux individus français, tout ce qui nous sera demandé en votre nom. Mais nous désirons que nos sujets résidant dans vos États soient traités de la même manière, et tout ce que vous ferez à l'avantage de nos sujets, et en particulier de ceux qui vous ont été recommandés dans nos lettres, nous le regarderons comme fait à nous-même, et en récompense nous favoriserons vos sujets dans tout ce qu'ils pourront demander. Nous vous souhaitons le bonheur dans vos conquêtes.

Fait à Alger, le 29 septembre 1797, c'est-à-dire le 7 de Rebi-el-aker, l'an 1212 de l'hégire.

(Sceau)

HASSAN,

Dey et Gouverneur d'Alger.

1. Une frégate française, *L'Unité*, avait été capturée par les Anglais au mouillage de Bône; Jeanbon Saint-André avait eu à ce sujet une entrevue avec le Dey, au cours de laquelle Hassan lui avait déclaré « qu'il romprait avec les Anglais s'ils ne restituaient pas cette prise avant le 1er janvier prochain ». Ceux-ci ayant refusé de nous donner satisfaction, leur Consul reçut l'ordre de s'embarquer. Voy. *Lettres du citoyen Jeanbon Saint-André aux citoyens de Lacroix et Talleyrand*, les 6 messidor an V, 9 et 11 vendémiaire an VI. — Voy. aussi *Lettre du citoyen Guibert, agent d'Afrique à Bône, au citoyen Herculais*, le 2 floréal an IV, publiée dans l'*Histoire de La Calle*, par Féraud, p. 535.

الشكل رقم : (144) ب

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DU PEUPLE FRANÇAIS.

Paris, le 26 frimaire an VI (16 décembre 1797).

Illustre et magnifique Seigneur,

Des circonstances relatives au service de la République française nous ayant mis dans le cas de rappeler d'Alger le Consul Jeanbon Saint-André pour lui conférer un autre emploi[1], nous lui avons donné pour successeur le citoyen Moltedo, dont la probité, le zèle et les talents nous sont connus[2]. Nous sommes persuadés que le choix que nous avons fait de lui vous sera agréable, et qu'il saura mériter par sa conduite votre amitié et votre confiance. Nous lui donnons l'ordre de vous assurer de notre attachement et de notre estime, et nous le chargeons en même temps de vous présenter cette lettre, pour l'accréditer auprès de votre personne en qualité de Consul général et Chargé des affaires de la République française. Vous pouvez, en conséquence, ajouter entière foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom, soit pour le bien du service dont il est chargé et les intérêts des Français dans votre pays, soit pour le maintien de la bonne intelligence si heureusement établie entre les deux nations. Recevez ici de nouveau, illustre et magnifique

1. Il fut nommé Consul général à Smyrne, fut arrêté par les Turcs en qualité d'otage, conduit à la prison des Sept Tours à Constantinople, puis relégué à Kérasonde, sur les bords de la mer Noire. Remis en liberté en 1801, après trois ans de captivité, il fut chargé par Bonaparte de l'organisation des quatre départements de la rive gauche du Rhin, et devint préfet de Mayence.

2. Dominique-Marie Moltedo, nommé Consul général de la République à Alger par arrêté du 8 frimaire an VI, était alors à Ajaccio. Il avait été nommé commandant d'un des bataillons d'infanterie créés, le 4 février 1793, pour combattre l'insurrection fomentée dans l'île par Paoli, mais il n'avait pu parvenir à réunir ses hommes; il avait été arrêté et emprisonné pendant l'occupation anglaise, sa maison de commerce et ses propriétés avaient été dévastées, et Jean-Fran-

الشكل رقم : (145) أ

Seigneur, l'assurance de notre haute considération, et l'expression sincère de nos vœux pour votre prospérité et celle des États que vous gouvernez.

Donné à Paris, au Palais du Directoire exécutif, le 26 frimaire an VI.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,

TALLEYRAND.

çois Moltedo, son frère, Député à la Convention, avait demandé pour lui un dédommagement pour les pertes qu'il avait subies en servant la République. Il fut conduit à son poste sur la frégate *L'Alterse*, commandée par le capitaine Bané, et y arriva le 18 floréal an VI. Il ne tarda pas à se voir aussi mal vu que son prédécesseur, en raison de son obstination à ne pas donner de présents, et fut même insulté publiquement dans les rues d'Alger. Le Dey lui refusa la liberté de plusieurs esclaves italiens réclamés par le Directoire, et l'obligea à changer la résidence du Consulat, sous prétexte qu'il était désireux d'y loger ses femmes. Nos représentants occupaient cette maison depuis 112 ans, et payaient un loyer annuel de 100 piastres et 5 pics de drap à la famille d'Ismaël-reïs qui en était propriétaire. « Si je ne craignais, écrivait Moltedo, de compromettre les vues de mon Gouvernement, je pourrais bien prendre tout ceci pour un honnête congé, mais je crois devoir sacrifier mes motifs personnels à la tranquillité, en disant cependant : Voilà leur crainte et la considération qu'ils ont pour nous. » — Il avait à se plaindre aussi de l'hypocrisie des Bacri, dont Jeanbon Saint-André avait déjà dénoncé les manœuvres antifrançaises, et il suppliait Talleyrand, bien disposé pour eux, de leur retirer la confiance que ces Juifs avaient usurpée. Voy. *Rapport au Directoire exécutif sur les mauvais procédés de la Régence d'Alger à notre égard*, le 9 fructidor an VI, — *Lettres du citoyen Moltedo au citoyen Talleyrand*, les 11, 15 et 20 messidor, 1er thermidor an VI. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*) — Voy. aussi *Procès-verbal de la chancellerie du Consulat d'Alger*, le 4 fructidor an VI. (*Les Archives du Consulat général de France à Alger*, par Devoulx, p. 130.)

الشكل رقم : (145) ب

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
A SIDI HASSAN, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DU PEUPLE FRANÇAIS.

Paris, frimaire an VI (décembre 1797).

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons reçu la lettre que vous avez pris la peine de nous écrire le 22 octobre 1797[1]. Vous rappelez d'abord celle que nous vous avons adressée le 16 messidor[2], et la réponse que vous y avez faite sous la date du 29 septembre[3].

Nous sommes bien aisés d'avoir cette occasion de vous en accuser la réception, et de vous dire combien nous avons été sensibles à l'empressement avec lequel vous avez ordonné que les prises, faites par nos corsaires sur les neutres, auraient désormais l'entrée dans ceux de vos ports où elles pourraient être conduites[4]. Nous avons vu dans cette détermination une nouvelle preuve de la sincérité des sentiments d'amitié que vous professez pour la République française, et nous aimons à vous en témoigner notre reconnaissance. Vous nous donnez aujourd'hui de nouvelles assurances de cette ancienne et constante amitié qui a éveillé la jalousie dans l'âme de nos ennemis. Dans leur aveugle et impuissante fureur, ils ont dû voir avec grand déplaisir un Souverain tel que vous rester inviolablement uni à notre République, qu'ils ont attaquée avec tant d'acharnement! Les plaintes amères qu'ils vous ont à cet égard fait parvenir, leurs insinuations perfides, tout démontre qu'ils sentent bien l'avantage de votre alliance. Nous savons comme eux combien elle est précieuse, et autant ils ont fait d'efforts pour nous la ravir, autant nous sommes disposés a en faire pour la conserver dans toute son intégralité. Nous ne saurions trop vous remercier de la fermeté que vous avez opposée à leurs sug-

1. Voy. p. 470.
2. Voy. p. 464.
3. Voy. p. 468.
4. Voy. la note 1, p. 466.

donner à la prédilection toute particulière avec laquelle vous êtes disposé à traiter la nation française nous est le garant le plus sûr, comme le plus flatteur, de la sincérité de vos sentiments. Les nôtres ne sont pas plus équivoques, et c'est notre vœu bien prononcé de continuer à être vos fidèles amis. Nous nous sommes, en conséquence, empressés de consentir à la demande que vous nous avez fait faire d'un constructeur de navires, et aussitôt que votre désir à cet égard nous a été connu, nous avons donné les ordres convenables pour qu'il fût fait choix d'un sujet capable de diriger, d'une manière satisfaisante, les travaux que vous vous proposez de confier à sa surveillance [1]. Nous espérons que celui que nous chargerons de cette mission remplira parfaitement vos vues, et comme on ne saurait trop se presser lorsqu'il s'agit d'obliger ses amis, nous hâterons son départ autant qu'il sera possible.

Avant de recevoir votre lettre, nous avions déjà retiré le citoyen Jeanbon Saint-André du poste qu'il occupait auprès de vous [2]. Nous avons nommé pour le remplacer le citoyen Moltedo [3]. Nous venons de terminer la guerre, et la paix a été signée le 26 [4]. L'Angleterre est donc aujourd'hui notre seul ennemie. Son perfide Gouvernement a envers vous des torts trop multiples et trop graves pour que vous hésitiez à lui déclarer la guerre si vous ne recevez pas, dans le délai que vous avez vous-même fixé, les satisfactions que vous avez le droit d'en exiger [1].

Agréez, illustre et magnifique Seigneur, les assurances de notre parfaite estime et sincère amitié.

Donné à Paris, au Palais national du Directoire exécutif, sous le sceau de la République française une et indivisible, dans le mois de frimaire de l'an VI.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,

TALLEYRAND.

1. Le Consul Jeanbon Saint-André avait offert au Dey « tout ce que l'amitié de la France pouvait faire pour lui ». Hassan lui avait alors parlé de son mécontentement des Anglais, de ses préparatifs de guerre contre eux, et de son désir d'avoir auprès de lui un homme entendu pour diriger les travaux de sa marine, construire plusieurs chebeks et surveiller son arsenal. Notre agent s'était empressé de lui promettre un fondeur, mais le Directoire avait hésité à accueillir cette demande, et « à donner à la Régence le moyen d'augmenter ses forces ». Voy. *Rapport au Directoire exécutif sur la demande d'un constructeur de navires, à l'occasion de la guerre que le Dey paraît vouloir déclarer à l'Angleterre*, brumaire an VI. « Il paraît convenable d'accorder au Dey le constructeur qu'il demande. En même temps on prescrira à celui-ci de mettre beaucoup de lenteur dans ses opérations, d'en entamer beaucoup et d'en achever très peu, en se bornant à mettre le port et la ville d'Alger dans un état de défense respectable, en un mot d'avoir l'air de faire beaucoup, mais de faire réellement très peu de chose. De cette manière, nous atteindrons le seul but qui peut nous intéresser, qui est de fermer aux Anglais les ports de la Régence, sans d'ailleurs ajouter à ses moyens actuels d'agression. » — L'ingénieur Geoffroy arriva à Alger en même temps que Moltedo, mais Hassan vint à mourir, comme on le verra plus loin, et Mustapha, son successeur, déclara à notre fondeur qu'il n'avait pas besoin de lui et qu'il pouvait rentrer dans sa patrie.

2. Voy. la note 1, p. 472.

3. Voy. la note 2, p. 472.

4. Le traité de Campo-Formio, signé le 26 vendémiaire an VI (17 octobre 1797).

بها الـداى حسـن ، فألفوها (182) ، واختفت تلـك الصيغة نهائيا (183) . ودرج نابليون ، عندما تـولى القنصلية الأولى (رئاسة الجمهورية بدون لقب) على ذلك الإلغاء ... بل وأضاف إليه إلغاء آخر : هى صيغة « الصديق الحليف القديم للشعـب الفرنسى » ، المألوفة . وبقى الأمر كذلك حتى الأخير ... حتى آخر رسالة بعث بها ملك فرنسى إلى داى جزائرى، كما سنرى... وذلك لسبب بسيط : هو أن الداى حسن ، بثقافته الواسعـة ـ كان يجيد العربية ، والعثمانية ، والاسبانية،والايطاليـة ـ، وبتفتحه على العالم ، وبتصوراته الفلسفية الثورية ـ وهـو الذى تحمس للثورة الأمريكية (184) على « العجوز البغيضة » : أنكلترا ، المحتلة لها إذ ذاك ـ كان قد تحمس للثورة الفرنسية أيضا ، وهو أول رئيس دولة فى الأرض اعترف بجمهوريتها ، وأغدق عليها ما أغدق ، قرضا وإهداء ؛ بينما الداى مصطفى بدأ بمطالبتها بتسديد بعض المستحقات عليها من الديون (وليس ما قدم لها مجانا ، طبعا !) .

---

(182) انظر الشكل رقم : 146 ج .

(183) إلى أن طفت على السطح من جديد ، فى العهد الاستدمارى ... ولكن لا بمعنى المجاملة ، والتملق ، والتقرب ، ودغدغة العواطف ، كما كان الأمر مع الداى حسن ... بل بمعنى آخر ... مختلف كلية ، ومرادف لـ « بيكو » ، و « بونيول » ، أى تدل على عكس المعنى الأصلى ، تماما ، مثلما صار لكلمتي : « trabajo mauro » ، بالإسبانية ، اللتين نشأتا فى اسبانيا تحت تأثير ازدهار الحضارة الإسلامية فى الأندلس خاصة ، والعـالم العـربى الإسلامى عموما ... « وأعطتنا » فى الفرنسية : « travail arabe » . ففى الأصـل كانتا رمزين للجودة ، والإتقان ، والدقة ، والمتانة ، والامتياز ، كما يصيح الأولاد فى شوارع القاهرة اليوم : « قلم ألمانى ! ألمانى ! » ، أو : « راديو يبانى يبانى ! » ... أما اليوم ، فـ « trabajo 'arabe » ، أو « travail arabe » ، له معنى آخـر ...

(184) قبل أن يدخل معها فى صراع ، ثم يعقد معها معاهدة سلم وصداقة .

LE DIRECTOIRE EXÉCUTIF DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
A MUSTAPHA, DEY D'ALGER,
ANCIEN AMI ET ALLIÉ DU PEUPLE FRANÇAIS.

Paris, le 24 messidor an VI (12 juillet 1798).

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous avons reçu votre lettre amicale par laquelle vous nous annoncez votre avènement au trône d'Alger [1]. Nous vous en félicitons d'autant plus sincèrement que nous sommes bien persuadés que vous avez pour la République française les mêmes sentiments d'affection et d'attachement que votre prédécesseur, le magnifique Pacha Hassan, lui avait voués. Les assurances que vous nous donnez à cet égard nous ont infiniment flattés, et vous ne devez pas douter que nous ne soyons très disposés à maintenir par tous les moyens possibles la bonne harmonie qui existe si heureusement entre la République française et la Régence d'Alger.

Votre lettre contient quelques objets de réclamations pécuniaires qui sont particulièrement relatives à des sujets musulmans ou juifs de votre pays. Nous n'entrerons pas ici dans les détails qu'ils pourraient comporter, parce que de pareilles questions ne nous semblent pas devoir être traitées dans une lettre amicale telle que celle que nous vous écrivons. Mais nous allons charger notre Consul, le citoyen Moltedo, de vous donner sur ces divers objets toutes les réponses que vous pouvez désirer. Nous espérons que vous ajouterez foi à tout ce qu'il vous dira de notre part et que vous ne trouverez rien, dans les paroles qu'il vous portera, qui puisse occasionner entre nous de la froideur ou de l'altération. Nous sommes au surplus bien aises de vous prévenir que, dès avant la réception de votre lettre, nous avions pourvu au remboursement des 200 000 piastres qui nous avaient été prêtées par votre prédécesseur, et nous avons à cet égard envoyé à notre Consul des ordres qu'il exécutera très fidèlement et dont nous ne doutons pas que vous ne soyez fort satisfait.

Nous vous réitérons, illustre et magnifique Seigneur, l'assurance de nos vœux pour la prospérité de votre personne et de vos États.

Donné au Palais national du Directoire exécutif, à Paris, le 24 messidor de l'an VI de la République française.

Par le Directoire exécutif :

Le Ministre des relations extérieures,
TALLEYRAND.

الشكل رقم : (146) جـ

وابتداء من ربيع هذه السنة : 1798 م ، تلاحقت أحداث كانت لها تأثيرات على العلاقات الجزائرية الفرنسية ، ستؤدى ، فى النهاية ، كعامل إضافي ، ولسبب خارجى ، إلى تحقيق حلم فرنسى قديم ، هو : غزو الجزائر ، كما سبق أن ذكرنا .

توفى الداى حسن فى 14 مايو 1798 م . وفى يونيو من نفس العام قام نابليون بونابارت بعدوانه على مصر . وفى طريقه إليها بعث بمذكرة دبلوماسية من مالطا إلى القنصل العام الفرنسى بالجزائر ، القائم بأعمال فرنسا فيها ، يطلب فيها منه القيام بمساع لدى الداى مصطفى لتبادل الأسرى ؛ وأنه بمجرد احتلاله مالطا أطلق سراح جميع الأسرى المسلمين ، ومنهم الجزائريون ، ويطلب منه فى رسالة مرفقة أن يحصل « من الداى مصطفى ، بالمقابل ، على إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين والمالطيين فى الجزائر بنفس العدد » ...

ويضيف :

« إن حكومة الدريكتوار التنفيذية للجمهورية الفرنسية لن تتوانى فى إقناع سكان مالطا والجزر التابعة لها بكل ما تكنه للجزائر من عواطف الود والصداقة » (185) .

ولكن هذا الكلام الجميل من نابليون بونابارت عن إطلاق سراح الأسرى المسلمين ، وعن الود والصداقة نحو الجزائر الخ، كان متناقضا مع غزوه لمصر ... ولذا أعلنت الجزائر الحرب - تضامنا مع الدولة العثمانية التى كانت مصر مجرد ولاية لها ، ولم تكن دولة ذات سيادة مثل الجزائر - ومع الشعب المصرى نفسه ، طبعا ، « ووضعت جميع الفرنسيين فى الجزائر فى الأغلال ، بما فيهم القنصل العام الفرنسى (مولطيدو

(185) A. Devoulx ; ibid, document 130, p. 131.

(Moltedo » (186) ، القائم بأعمال فرنسا ، « كما قام الأسطول الجزائرى بنصيب نشيط ، مع الأسطول العثمانى ، لطرد نابليون من مصر » . (187)

وبعد هذا بعث نابليون ، الذى أصبح فى الأثناء القنصل الأول للجمهورية الفرنسية ، أى رئيسها الفعلى بدون اللقب الرسمى ، مبعوثا خاصا ، اسمه دوبوة تانفيل Dubois Thainville (188) ، ومعه رسالة (189) و (190) بتاريخ 5 أبريل 1800 م ، إلى الداى مصطفى لعقد السلم يقول له فيها ، مما يقول :

« من بونابارت ، القنصل الأول للجمهورية الفرنسية (أى رئيسها بدون انتخاب) ، إلى مصطفى باشا ، داى الجزائر :

« أيها السيد الأمجد الأعظم ،

« ... إن حالة الحرب بين البلدين ليست من مصلحتهما ...

« وإنى أبعث إليكم بالمواطن تانفيل مع تفويض مطلق لإعادة العلاقات السياسية والتجارية **بين الدولتين** ، على أساس الوضع الذى كانت عليه قبل قطعها ... » ، « وإنى لواثق بأنكم ستخصصون لهذا المفاوض نفس الاستقبال الذى كنت سأخصصه

(186) A. Devoulx : ibid, document 132, p. 133.
(187) Spencer : ibid, p. 165.

(188) الذى سيخلف بعد قليل فى الجزائر مولطيدو (Moltedo) ، قنصلا عاما وقائما بأعمال الجمهورية الفرنسية .
(189) انظر الشكل رقم : 147 .
(190) انظر الشكل رقم : 148 .

N° 132.

Bonaparte,
Premier Consul de la République Française,
A Moustafa-Pacha, Dey d'Alger.

« Illustre et magnifique Seigneur,

« L'état de guerre survenu entre la République Française et la Régence d'Alger, ne prit point sa source dans les rapports directs des deux Etats ; il est aujourd'hui sans motif.

« Contraire aux intérêts des deux peuples, il le fut toujours aux inclinations du gouvernement Français. Persuadé qu'il l'est pareillement aux vôtres, je n'hésite point à donner au citoyen *Dubois-Thainville* l'ordre de se rendre près de vous avec des pleins pouvoirs pour rétablir les relations politiques et commerciales des deux Etats, sur le même pied où elles étaient avant la rupture.

« J'ai la confiance que vous ferez à ce négociateur le même accueil que j'aurais fait à celui de vos sujets que vous auriez chargé d'une semblable mission près de moi.

« Recevez, illustre et magnifique Seigneur, l'expression de mes sentiments et de mes vœux pour votre prospérité.

« Donné à Paris, au palais National des Consuls, sous le sceau de la République Française, le 15 floréal an VIII de la République (5 avril 1800).

« *Signatures de* : Le premier Consul, BONAPARTE. — Par le premier Consul le Secrétaire d'Etat, HUGUES, B. MAZET. — Le Ministre des relations extérieures, CH. MAN. TALLEYRAND.

A son arrivée à Alger, M. Dubois Thainville conclut un armistice sur lequel les archives du consulat me fournissent les documents ci-après.

N° 133. — Enregistrement de l'armistice illimité, conclu le premier thermidor an huitième (1), entre la Régence d'Alger et la République Française.

« D'ordre du citoyen Dubois-Thainville, commissaire général des relations commerciales de la République Française à Alger, chargé de traiter la paix avec cette Régence, Nous, chancelier de ce commissariat, soussigné, avons enregistré l'armistice illimité conclu aujourd'hui entre cette Régence et la République Française, par le

(1) 20 juillet 1800.

الشكل رقم : (147)



98. — NAPOLÉON 1er, PAR DAVID

نـــابليـــون الأول

الشكل رقم : (148)

لأى من رعاياكم تكونون قد كلفتموه بمهمة مماثلة عنـدى »
... الخ (191) و (192) .

وزيادة على هذه الرسالة إلى الداى مصطفى . التى فيها التفويض المطلق ، جهز نابليون مبعوثه الخاص برسائل اعتماد لدى الداى ليقبل به ممثلا جديدا دائما له فى الجزائر ، وها هى ترجمة خلاصتها :

« حيث إن القنصل الأول (أى : نابليون) أبقى على المواطن شارل فرانسوة دوبوة تانفيل فى منصبه بصفته مندوبا ساميا عاما مكلفا بالشؤون التجاريـة وقائما بأعمال الجمهوريـة الفرنسية فى الجزائر وجدد له الثقة فى هذه المهمة ، فهو يرجو

---

(191) A. Devoulx : ibid. doc. n° 132, p. 137.

(192) يلاحظ على شكل هذه الرسالة أن نابليون لم يحتفظ فيها إلا بالصيغة : « السيد الأمجد الأعظم » ، التى بدأ باستعمالها لويس الرابع عشر ، ودرج ملوك فرنسا ، ثم قادة الثورة ، والجمهورية ، ونابليون نفسه ، عليها ، ثم لويس الثامن عشر ، ثم شارل العاشر ، إلى آخر رسالة وجهها هذا الأخير إلى الداى حسين يوم 20 سبتمبر 1824 ليخبره بوفاة أخيه لويس الثامن عشر وتوليه العرش مكانه ...

أما صيغة « الصديق الحليف القديم للأمة الفرنسية » ، التى درج عليها قادة الثورة والجمهورية الفرنسية فى مراسلاتهم مع الداى حسن فلقد ألغاها نابليون قبل إلغائه الجمهورية نفسها ... كما ألغى قادة الدريكتوار قبله (المجلس التنفيذى للجمهورية الفرنسية ، أو مجلس الثورة) كلمة « سيدى » ، كما سبق أن ذكرنا ، بمجرد تولى الداى مصطفى ، بعد وفاة الداى « سيدى حسن » ، وكانوا قد درجوا على استعمال « سيدى » هذه منذ أواخر عهد لويس السادس عشر ! (الذى كان أول من استعملها) !

وذلك أن الشكليات لها علاقة بالجوهر : فزيادة على غضب الدريكتوار على مطالبة الداى مصطفى بتسديد الديون ، وغضب نابليون على إعلان الداى مصطفى الحرب على فرنسا ... فهناك أيضا بدء تغير فى ميزان القوى : ففرنسا بدأت فى صعود من جديد ... والجزائر بقيت حيث كانت ، أو بدأت تتقهقر ، وعدم التقدم نفسه تقهقر ... والدهر قلب ! ولكل شىء إذا ما تم ...

السيد الأمجد الأعظم ، داى الجزائر، أن يأمـر حكامه وضباطه « بالاعتراف للمواطن دوبوة تانفيل » بالصفة المذكورة كمندوب سام عام للعلاقات التجارية وقائـم بأعمال الجمهورية الفرنسية فى الجزائر ، على أساس المعاملة التامة بالمثل لكل من يرسل لديه ويوصى عليهم عنده .

« حرر فى باريس بختم الجمهورية ، فى هذا اليوم الخامس عشر من شهر الزهور (floréal) من العام الثامـن للجمهوريـة الفرنسية (5 أبريل 1800 م) » (193) .

ويرى القارىء أن نابليون استعمل فى رسالته المباشرة الأولى إلى الداى مصطفى، مثل سابقيه، كلمات ومفاهيم مثل «**الشعبين**» و « **الدولتين** » ، و « العلاقات السياسية والتجارية بين **الدولتين كما كانت قبل القطع** » ... كما سيعقد معه ، ومع من سيخلفونه، معاهدات ... كما سنرى ، تنهى بها « **حالة الحرب بين الأمتين** » .

ونحن لا نظن أن دوغول المؤرخ ، والمولع بالتاريخ وبنابليون لم يقرأ هذه الرسائل ،.ولا أنه لم يطلع على تلك المعاهدات، حينما ظل يطبل ويزمر ــ وآخرون معه ، وقبلـه وبعـده ، بل وإلى اليوم ! ــ أن « الجزائر لم تكن أبدا دولة ، ولا أمة » ، بل ولا حتى شعبا ، قبل 1962 م ؛ وأن دوغول ، بالذات ، هو الذى جمع « شتات تلك العشائر المتناحرة ، والقبائل المتداحرة ، التى لا أصل لها ولا فصل فى سجل التاريخ » ، « وأنعم عليها برفعها إلى درجة شعب ، ومنحها الاستقلال » ، تكرما منه ومنة ، سنة 1962 م ، وكان ذاك « ميلاد شعب وأمة » !

وبعد مجيء المبعوث الخاص إلى الداى مصطفى من نابليـون بالتفويض المطلق المضى منه بصفته القنصل الأول للجمهورية

(193) A. Devoulx : ibid, doc. n° 136, p. 139.

الفرنسية (أى رئيسها بدون انتخـــاب) ؛ وإمضاء وزيــــر خارجيته ، الشهـير الشنيع تاليران (194) ؛ وكاتبه للدولـة ، مازى ، وبرسائل الاعتماد للمبعوث الخاص ممثلا دائما ، زيادة عن التفويض المطلق ، عقدت ، فعلا ، بين الجزائر وفرنسا :

53) هدنة غير محدودة (armistice illimité) بين الداى مصطفى ، « داى الجزائر ، حاكم عاصمتها المحروسة (Dey, Gouverneur d'Alger la bien-gardée) ونابليون بونابارت ، القنصل الأول للجمهورية الفرنسية » (أى رئيسها) ، بواسطة مبعوثه الخاص دوبـوة تانفيل ، وبتفويض مطلق منه :

(revêtu des pleins pouvoirs du Gouvernement français)

(كذا فى النص) ، وذلك فى الجزائر بتاريخ 28 صفر 1215 هـ ، الموافق 30 ميسيدور من العام الثامن للجمهورية الفرنسيـــة 30 Messidor, an VIII de la République Française. (19 يوليو 1800 م) .

وكانت مادتها الأولى هكذا :

« المادة الأولى : ابتداء من اليوم ، تنتهى حالة الحـرب بـين الأمتـــين » .

(Art. 1er - A partir d'aujourd'hui toutes hostilités cesseront entre les deux *nations*) (195).

ثـم عقدت :

54) معاهدة سلم وتجارة بـين الـداى مصطفى ونابليون بونابارت يوم 30 سبتمبر 1800 م .

وهنا أعلن الداى مصطفى مرة أخرى حربا على نابليــون ، حسب المؤرخ الفرنسى دوفو ، يوم 25 ينايــر 1801 م ، وحسب غارو : يوم 13 أبريل 1801 م (196) .

---

(194) انظر الشكل رقم : 149 .

(195) a) Devoulx : ibid, doc. n° 133, pp. 137-138.
b) De Clercq : ibid, t. 1, p. 394.

(196) a) Devoulx : ibid, p. 141.
b) Garrot : ibid, p. 609.



122. – TALLEYRAND, PAR PRUD'HON

تالــيران

الشكل رقم : (149)

وبعد ثمانية أشهر مفاوضات ، بطلب من فرنسا ، انعقدت من جديد :

55) معاهدة سلم وتجارة بين الداى مصطفى ونابليون يوم 22 شعبان 1216 هـ ، الموافق للفاتح من الشهر « الثلجى » من العام العاشر للجمهورية الفرنسية le 1er nivôse de l'an X de la République (29 ديسمبر 1801 م) .

وقد كانت بعض موادها هكذا :

المادة الأولى : تعاد العلاقات السياسية (أى الدبلوماسية ، باصطلاح اليوم،) والتجارية بين **الدولتين** على الحال التى كانت عليها قبل قطعها .

المادة الثانية : يجدد الإمضاء على المعاهدات . والاتفاقيات ، والتنصيصات السابقة فى اليوم نفسه من كل من الداى وممثل الجمهورية . أمضاها الداى مصطفى ودوبوة تانفيل ، القائم بأعمال الجمهورية الفرنسية ومندوبها السامى العام للشؤون الاقتصادية ، بموجب التفويض المطلق من القنصل الأول للجمهورية الفرنسية » . (197)

56) **تجديد معاهدة السلم والتجارة يوم 26 ديسمبر 1805 م ، بين الداى أحمد خوجة والأمبراطور نابليون الأول ، (إذ هذا هو لقبه الجديد :** فبعد أن ألغى الدريكتوار (المجلس التنفيذى الأعلى للجمهورية الفرنسية المتكون من خمسة أعضاء) ، يوم 9 نوفمبر 1799 م ، ولم يكن عضوا فيه ، أنشأ النظام القنصلى المتكون من ثلاثة أعضاء يرأسون الجمهورية جماعيا ، وهو الأول فيهم رسميا وعمليا ، بل الوحيد ــ والآخران صوريان ــ ، ثم

(197) وقد نشر نص هذه المعاهدة حتى فى ألمانيا ، فى العدد 45 من جريدة فرانكفورت من سنة 1802 .

أعلـن نفسه بقرار منه يوم 02 أوت 1802 م قنصلا أول مـدى الحياة ، صادق عليه استفتاء شعبى فيما بعد ؛ ثم ألغى النظام القنصلى هذا وأعلن نفسه،يـوم 18 مايـو 1804 م ، أمبراطور الفرنسيين ، بمصادقة أغلبيـة مجلس الشيوخ الذى أعلـن الأمبراطورية وراثية ، متخذا اسم نابليون الأول رسميـا ، المشتق من اسم أسطورى فى ملحمة جرمانية ، ومستغنيا عـن اسمه العائلى الكورسيكى Buonaparte ؛ ولم يذهب إلى الفاتيكان فى روما ليتوجه البابا بيوس السابع ، بل هو الـذى استدعى البابا المذكور إلى باريس ليتوجه فى كنيسة نوتـردام يـوم 02 ديسمبر 1804 م) .

وهنا نذكّر بمعاهدة تيلسيت سنة 1807 م ، ومؤامرة نابليون ضد الجزائر ، وقد مررنا بهما فى فصل المؤامرات .

وفى 17 من أكتوبر 1807 م ، كتب وزير خارجية نابليـون الأول إلى قنصله العام القائم بأعمال الجمهورية الفرنسية فى الجزائر ، دوبوة تانفيل ، « إن نابليون ساخط على الجزائر التى لا تزال تأسر سفن جنوة وسردينيا (اللتين أصبحتا من رعايـا فرنسا) ، وأنه إذا لم تكف عن ذلك فيأمركم بمغادرتها وسيعلن عليها الحرب » .

وغادر القنصل الفرنسى العام الجزائر فعلا ، ولكن نابليون لم يعلن عليها الحرب .

وبعد أن انتخب الداى الحاج علي يوم 4 مارس 1808 م ، واثر خلاف حدث مع الممثل الفرنسى الذى بقى وراء القنصل العام ، أمره الداى الحاج علي بمغادرة البـلاد . « ولكـن عندما أراد القنصل الفرنسى أن يأخذ معه جميع الفرنسيين المقيمـين فى الجزائر ، معتبرا أمر الداى إشارة قطع للعلاقات الدبلوماسية

وبداية حرب ، منعه الداى من ذلك ، ثم أمر بوضعه ، فجأة وبدون سابق إنذار ، فى سفينة أمريكية على وشك الإقلاع إلى فرنسا . فاغتاظ القناصلة الأوروبيون ، وقاموا بمسعى جماعى للاحتجاج لدى الداى الحاج علي .

« ولكن الحكومة الفرنسية كتبت إلى مفوضيتها فى الجزائر أنها لا تعتبر ذلك مبررا لإعلان حرب على الجزائر » (198) .

فكما سبق لنابليون أن أرسل إلى الداى مصطفى بمبعوثين خاصين ، منهم نائب الأميرال ليسيغ (199) ، والكونت الجنرال هولان (200) ، بل شقيقه أيضا ، جيروم بونابارت (201) ، لإعادة التفاهم مع الجزائر، نجده هذه المرة أيضا يرسل بوفود ومبعوثين خاصين إلى الداى الحاج علي، منهم ترود(202)، Troude ، كما سعى حثيثا من أجل عقد أو تجديد معاهدة أو اتفاقية مع الجزائر . وفعلا فقد تم :

57) تجديد الاتفاقية الاقتصادية يوم 7 نوفمبر 1808 م ، بين الداى أحمد خوجة ونابليون الأول .

« وفي 27 أبريل 1811 م ، رجع دوبوة تانفيل ، القنصل العام القائم بأعمال فرنسا وإيطاليا (الملحقة بها) ، إلى الجزائر ، مكلفا من نابليون الأول بمهمة إعادة حسن التفاهم بين **الأمتين**
« le rétablissement de la bonne entente entre les deux *nations* ».

---

(198) Devoulx : ibid, doc. n° 140, p. 145.

(199) انظر الشكل رقم : 150 .

(200) انظر الشكل رقم : 151 .

(201) انظر قائمة المبعوثين الخاصين من ملوك فرنسا ، ومن قادة ثورتها وجمهوريتها الأولى ، ومن نابليون (قنصلها الأول ثم أمبراطورها)، ثم من ملوكها العائدين ، إلى قادة الجزائر ، من خير الدين إلى الداى الأخير ، حسين ، فى آخر هذا الفصل .

(202) انظر الشكل رقم : 152 .



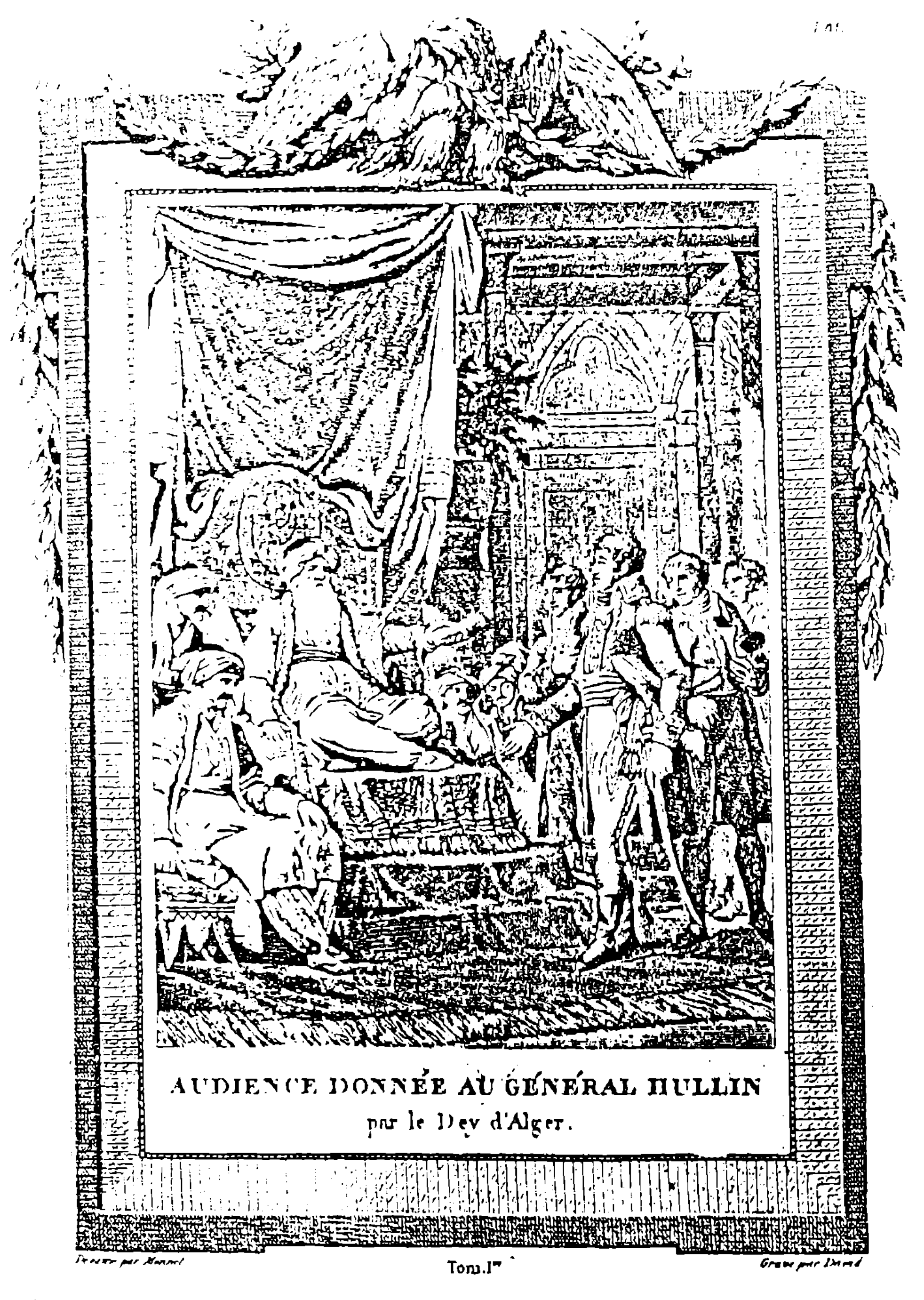
LEISSEGUES.

120.- Le Vice - amiral Leisségues

المبعوث الخاص من نابليون إلى الداى مصطفى باشا

ليسيـغ

الشكل رقم : (150)



119. - Audience donnée au général Hullin par le dey d'Alger (Mustapha Pacha, en 1802)

الداى مصطفى باشا يستقبل الجنرال هولان ، المبعوث الخاص من نابليون (180٪)

الشكل رقم : (151)

LISTE DES COMMISSAIRES ET ENVOYÉS DE LA COUR DE FRANCE PRÈS LA RÉGENCE D'ALGER

Nom	Année
De la Forest	1531
De Montluc	1537
D'Aramon	1551
D'Albisse	1552-1553
San Pietro d'Ornano	1561
De Ménillon	1573
Savary de Brèves	1604
Du Mas de Castellane	1616
De Mortier	1619
Napollon	1625-1628
D'Estampes, seigneur de l'Isle-Antry	1632
Lepage	1634-1637
De Mantin	1637
De Cocquiel	1639
De Montigny	1640
De Montmeillan	1641
De Rominhac	1661
De Clerville	1661
Trubert	1666
De Martel	1668-1672
D'Almeras	1673
De Gabaret	1675
De Tourville	1679
Duquesne	1680
Hayet	1681
De Virelle	1681
Dusault	1683
De Tourville	1684-1685
De Blainville	1686
Dortières	1687
Marcel	1689-1690
Dusault	1697
Duquesne-Monnier	1714
Dusault	1719
D'Andrezel	1724
De Grandpré	1724
De Beaucaire	1724
De Monts	1727
De Gencien	1730
Duguay-Trouin	1731
De Caylus	1731
De Watan	1732
De Court de la Bruyère	1734
De Massiac	1742
Du Revest	1748
De Rochemore	1762
De Cabanous	1762
De Fabry	1763-1764
De Sade	1764
De Forbin	1776
De Bonneval	1777
De Tott	1777
De Vialis	1777
De Martelly	1778
De Cypières	1781
De Vialis	1781
De Martinenq	1781
De Bessay	1783
De Ligondez	1785
De Blachon	1788
Venture	1788
De Sainneville	1789
De Brueys	1791
De Missiessy	1791
Gavotty	1792
Rondeau	1792
Raccord	1793
Herculais	1796
Bané	1797
Demay	1801
Leyssègues	1802
Hulin	1802
Berge	1802
Bonaparte (Jérôme)	1805
Troude	1808
Boutin	1809
De Meynard	1811-1814
De Saint-Belin	1814
Touffet	1815
De Parseval	1815
Raynouard	1816
Jurien de la Gravière	1819
Duval d'Ailly	1819
De Méry	1822
Drouault	1824
Fleury	1826
Faure	1827
Collet	1827
Bézard	1829
De la Bretonnière	1829
De Nerciat	1829
De Clairval	1830
Bézard	1830
De Bourmont	1830
Duperré	1830

E. Plantet.

الشكل رقم : (152)

« ولكن الداى الحاج علي رفض السماح له بالنزول من السفينة ، لأن القنصل العام القائم بالأعمال لم يأت بالهدايا التقليدية (203) ، التى أراد نابليون الأول ، بمجرد توليه الحكم ، وضع حد لها .

« وأخيرا اضطر ، هو أيضا ، إلى الامتثال لشروط الداى ورضخ ... » (204) .

وقد استمر الأمر كذلك ... ولم تطل الحال بنابليون ... إذ حدث له ما حدث لكثير من ... أقرانه وأمثاله ـ وصدق أبو حيان التوحيدى إذ يقول : « السلطان هو البعيد عن السلطان ! » (205) ـ فعزله مجلس الشيوخ يوم أول أبريل 1814 م ، ثم تنازل هو نفسه عن العرش في اليوم 04 منه ، وتولى مكانه لويس الثامن عشر عرش أخيه المعزول ، ثم المعدم ، لويس السادس عشر .

وبمجرد عودة لويس الثامن عشر من المنفى فى آخر أبريل (1814 م) ، وقبل أن يباشر مهام عرشه كملك جديد ، على كل : قبل أن يصدر الميثاق الدستورى الذى كان أول أعماله الرسمية، سارع إلى إرسال مبعوث خاص ، فى سفينة خاصة ، إلى الجزائر لإبلاغ الداى الحاج علي خبر جلوسه على عرش أخيه ، لويس السادس عشر ، وأجداده ...

واستقبل الداى الحاج علي المبعوث الخاص، دى مينار De Meynard، الذى وصل يوم 02 مايو (1814 م) ، ثم أردفه الملك بمبعوث ثان إلى الجزائر ، يحمل وثيقتين : إحداهما رسالة منه إلى الداى

---

(203) وهذه الهدايا للدولة ، وليست للأفراد ، ويشترط فيها ـ مثلما يشترط فى الإتاوة ـ أن تكون عتادا وأجهزة ، لا مالا ، ولا غيره .
(204) Devoulx : ibid, doc. n° 143, p. 146.
(205) أبو حيان التوحيدى : الإمتاع والمؤانسة .

الحاج علي ، بتاريخ 20 مايو ، يؤكد له فيها خبر صعوده على العرش ، ويطلب « تجديد المصادقة على جميع المعاهدات السابقة بين البلدين ، وكل ما يدعم أكثر فأكثر السلم والصداقة بين المملكتين » ... ويخبره أيضا « بالرغبة فى الإبقاء على دبوة تانفيل ، بصفته القنصل العام القائم بأعمالنا لديكم ، وبتجديد اعتماده ... » . (206)

والوثيقة الثانية منه هى تجديد أوراق الاعتماد المذكورة ، يقول فيها الملك الجديد ، مما يقول ، ما يلى :

« ليس لدينا شيء أكثر استعجالا ، منذ جلوسنا على العرش، من المحافظة على سلم صادقة ، ومودة خالصة ، وتفاهم كامل ، بيننا ومملكة الجزائر ، ورعايا الدولتين .

« ولهذا الغرض خولنا بهذه الأوراق الممضاة منا السلطات الخاصة والتفويض المطلق لعزيزنا ، المحبوب منا ، السيد دوبوة تانفيل ، القنصل العام لفرنسا ، القائم بأعمالنا لدى داى الجزائر ، ليمضى مع السيد العظيم ، الداى المذكور ، أو أى شخص مكلف منه بذلك ومخولة له سلطات كافية ، تجديد المعاهدات السابقة بين الدولتين » ... الخ (207) و (208) .

وبعد أيام من هذه الرسالة وقع :

58) تجديد المعاهدات السابقة فى 11 يوليو 1814 م ، بين الداى الحاج علي ولويس الثامن عشر .

وفى هذه الأثناء ... رجع نابليون الأول إلى العرش ، يوم 20 مارس 1815 م ، وفر الملك ، لويس الثامن عشر ،..

(206) انظر الشكل رقم : 153 أ ، 153 ب .
(207) انظر الشكل رقم : 154 .
(208) Devoulx : ibid, doc. n° 146, p. 150.

LOUIS XVIII
A ALI, DEY D'ALGER [2].

Paris, le 20 mai 1814.

Illustre et magnifique Seigneur,

Dieu a daigné mettre un terme aux discordes et aux maux qui affligeaient depuis trop longtemps l'Empire de France. Les droits de notre naissance et les lois fondamentales de l'État nous ont appelé au trône de nos ancêtres, et nous avons pris les rênes de l'Empire français au milieu des acclamations de nos peuples, qui nous ont donné les marques les plus vraies de leur

1. Voy. *État des Français esclaves à Alger réclamés par Dubois-Thainville, Consul général et Chargé d'affaires de France, en vertu des ordres de M. de Champagny, Ministre des Affaires étrangères*, le 17 octobre 1807. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

2. Dubois-Thainville finit par obtenir satisfaction, mais, malgré tous ses efforts et toute sa diplomatie, il ne put résister longtemps aux demandes de présents qu'il s'était promis d'éluder. Sa situation devint de jour en jour plus difficile, et dans l'année 1811, poussé à bout par tous les officiers de la Régence, il décida le Gouvernement de l'Empereur à envoyer à Alger les cadeaux si désirés. Voy. *État des présents faits par Dubois-Thainville au Dey et à la Régence d'Alger*, le 13 mai 1811. — Cet état s'élève à 202 307 fr. 55 c. Il comprenait des vases, des candélabres, des tasses à sorbet, des pendules, des pipes à l'orientale, des coupes à fruits, un brûle-parfums, des aiguières, un nécessaire de toilette, 188 aunes de drap, 13 pièces de soie brochée or et argent, 36 aunes de velours, etc. Le Dey renvoya à Napoléon deux chevaux magnifiques avec leur harnachement. Famin, chargé de l'Agence des relations extérieures à Marseille, fut spécialement désigné pour surveiller ces envois.

3. Akhmed avait été assassiné le 7 novembre 1808 et remplacé par Ali Khodja.

الشكل رقم : (153) أ

respect et de leur amour pour notre personne sacrée [1]. Dieu, qui est dans tous les cœurs, est témoin que nous n'avons d'autre désir que de marcher sur les traces de nos augustes aïeux. La droiture et la justice seront toujours le fondement et le lien de l'attachement de nos sujets comme de l'amitié des nations étrangères.

Nous confirmons d'autant plus volontiers les traités qui existent entre la France et la Régence d'Alger que nous sommes convaincu que vous en remplirez fidèlement les conditions, et que vous rendrez à notre Couronne impériale et à nos sujets tout ce qui peut affermir de plus en plus la paix, l'amitié et la correspondance la mieux établie. C'est dans cette confiance que nous avons voulu vous assurer nous-même de notre affection et de notre haute bienveillance.

Nous envoyons nos pleins pouvoirs au sieur Dubois-Thainville, que nous confirmons dans la place de Consul général et de Chargé de nos affaires auprès de vous [2]. Nous lui donnons ordre de vous présenter cette lettre, et nous vous requérons d'ajouter entière foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom.

Sur ce nous prions Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa sainte et digne garde.

Écrit en notre château impérial des Tuileries de Paris, le 20 mai de l'an de grâce 1814, de notre règne le 19e.

LOUIS.

étranglé le 4 mars 1809, puis par Hadji Ali, Écrivain des chevaux, du despotisme duquel notre Consul général ne tarda pas à se plaindre. (ع)

1. La nouvelle du rétablissement des Bourbons fut apportée à Alger le 2 mai 1814 par la frégate *La Junon*, commandée par M. de Meynard. Cet officier « remplit avec beaucoup d'adresse et de dignité sa mission », au dire du Consul général, reçut du Dey l'accueil le plus flatteur, et fit saluer sans aucune difficulté le nouveau pavillon blanc par les canons des forts. — Le 6 juillet arriva dans la rade la frégate *Le Faune*, commandée par le comte de Saint-Belin, qui remit à Hadji Ali les lettres de la Cour des 20 et 23 mai.

2. Voy. *Pleins pouvoirs du Roi à Dubois-Thainville pour le renouvellement des traités*, le 20 mai 1814. — Voy. aussi *Enregistrement de la commission de Louis XVIII en faveur de M. Dubois-Thainville, qui l'autorise à faire confirmer en son nom nos traités avec la Régence*. (*Les Archives du Consulat général de France à Alger*, par Devoulx, p. 150.)

الشكل رقم : (153) ب

N° 146. — Enregistrement de la Commission de Louis 18e en faveur de M. Dubois de Thainville, qui l'authorise à faire confirmer en son nom nos traités avec la Régence.

« Louis, par la grâce de Dieu, Empereur et Roi très-chrétien de France et de Navarre, à tous ceux qui ces présentes verront, salut. Nous n'avons rien de plus pressé à notre avènement au trône, que de conserver une sincère paix, amitié et bonne intelligence entre nous et la Régence d'Alger et les sujets respectifs des deux Etats. A ces causes, nous avons donné et donnons par ces présentes signées de notre nom, pouvoir, commission et mandement spécial à notre cher et bien aimé le sieur Dubois-Thainville, consul général de France et chargé de nos affaires auprès du Dey d'Alger, de signer avec le dit Seigneur Dey d'Alger, ou une personne chargée de sa part et munie de pleins pouvoirs suffisants, la confirmation des anciens traités qui existent entre l'Empire de France et la Régence d'Alger. Promettons en foi et parole d'Empereur et de Roi d'avoir agréable et tenir ferme et stable la dite confirmation qui aura été signée par le sieur Dubois-Thainville, sans aller ni souffrir qu'il soit allé directement ou indirectement, au contraire, pour quelque cause et occasion que ce puisse être, et d'en fournir la ratification en bonne et due forme dans les termes dont on sera convenu, car tel est notre plaisir. En foi de quoi, nous avons fait mettre à ces présentes, notre sceau secret Impérial et Royal.

« Donné à notre château Impérial des Tuileries à Paris, le vingtième jour de mai de l'an de grâce dix-huit cent quatorze et de notre règne le dix-neuvième.

« Signé : Louis, timbré des armes royales. Et plus bas contresigné : le prince de Benevent, Ministre et Secrétaire d'Etat au département des affaires étrangères. Enregistré à Alger, le 6 juillet 1814. »

N° 147. — Assemblée des Français résidants ou de passage à Alger, à l'occasion d'une commission émanée de S. M. T. C. en faveur de M. Dubois de Thainville, son consul général et chargé d'affaires de ce royaume.

« L'an mil huit cent quatorze, et le dix du mois de juillet, après-midi, par mandement de M. Dubois de Thainville, consul général de France, chargé d'affaires de S. M. T. C. près le Dey et la Régence d'Alger, ont été convoqués M. M. les Français résidants ou de passage en cette ville, dans la salle de la maison Consulaire, où étant (et

A. Devoulx : Archives du Consulat Général de France à Alger

الشكل رقم : (154)

وبعد عشرة أيام من عودة نابليون ، وقع :

59) تجديد معاهدة السلم والتجارة فى 30 مارس 1815 م ، بين الداى محمد خسرو ونابليون الأول (فى عودته للمائة يوم : « les Cent Jours »).

وتلتها تقريبا مباشرة معاهدة أخرى هى :

60) إعادة تجديد معاهدة السلم والتجارة فى 16 من أبريل 1815 م ، بين الداى عمر ونابليون الأول .

وكأن نابليون الأول أراد أن يزيد من مفعول هاتين المعاهدتين الجديدتين بينه والدايين محمد خسرو وعمر ليؤكد للجميع – وليس فقط للمختصين – رجوعه إلى الحكم ، فرأى أن يبعث برسالة إلى الداى عمر يقول له فيها : « إنكم لا شك سمعتم برجوعي إلى باريس ، وذهاب عائلة البربون » ... ويؤكد فيها«المبدأ الصارم للسياسة الفرنسية بخصوص الاحترام المطلق لاستقلال الأمم الأخرى ...

« ولهذا أسارع إلى كتابة هذه الرسالة إليكم لأعبر لكم عن مودتنا الخالصة ... الخ » (209) .

ولكن نابليون لم يدم ملكه هذه المرة إلا ثلاثة أشهر ، أو قرابة مائة يوم ، كما تسمى ، : « les Cent Jours » ، ثم تنازل للمرة الثانية ، وهذه المرة نهائيا ، يوم 22 يونيو 1815 م ، وعاد لويس الثامن عشر :

وقد عقدت معه خمس اتفاقيات ومعاهدات :

61) اتفاقية اقتصادية يوم 15 مارس 1817 م ، بين الداى علي خوجة (210) ولويس الثامن عشر (211) .

(209) انظر الشكل رقم : 155 .
(210) انظر الشكل رقم : 156 .
(211) انظر الشكل رقم : 157 .

NAPOLÉON Ier
A OMAR, DEY D'ALGER

Paris, le 29 avril 1815.

Illustre et magnifique Seigneur,

Vous aurez sans doute appris mon retour sur les côtes de France, mon entrée à Paris et le départ de la famille des Bourbons[1]. Ce grand événement, inscrit en caractères ineffaçables sur la table de lumière, a été l'effet d'une irrésistible puissance, secondée par la volonté unanime d'une grande nation qui connaît ses devoirs et ses droits. La dynastie que la force avait rendue au peuple français n'était plus faite pour lui. Les Bourbons n'ont voulu s'associer ni à ses sentiments ni à ses mœurs; la France a dû se séparer d'eux, et ils ont quitté son territoire sans qu'il ait été tiré un seul coup de fusil, ni versé une seule goutte de sang pour leur défense.

La voix de mes peuples m'appelait pour libérateur, et du point où j'ai touché le rivage, leur amour m'a porté jusqu'au sein de ma capitale. Le premier besoin de mon cœur est de payer tant d'affection par le maintien d'une honorable tranquillité, et ma plus douce pensée est de concourir par tous les moyens qui sont en mon pouvoir à l'affermissement du repos de l'Europe.

La France se plaît à proclamer avec franchise ce noble but de tous ses vœux. Jalouse de son indépendance, le principe invariable de sa politique sera le respect le plus absolu pour l'indépendance des autres nations. C'est pour vous donner l'assurance de ces sentiments que je m'empresse de vous adresser cette lettre, témoignage sincère de notre affection et de notre haute bienveillance pour votre personne.

Sur ce nous prions Dieu, illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous [illegible]t en sa sainte et digne garde.

NAPOLÉON.

1. Voy. la note 3, p. 521.
2. Deval.
3. Le despotisme d'Ali avait provoqué une révolte de 70 Janissaires, qui l'avaient fait égorger, le 21 mars 1815, pendant qu'il était au bain. Hadji Mohammed, Khaznadji de la Régence, avait été proclamé à sa place, puis étranglé le 7 avril suivant et remplacé par Omar, alors Agha des spahis. C'était, au dire du Chancelier Ferrier, un homme de caractère. « J'ai lieu de croire, écrivait cet agent, que nous serons plus contents de son administration que de celle d'Hadji Ali, qui n'a laissé ici que des souvenirs de cruauté et de tyrannie. » Voy. *Lettres de Ferrier au comte de Jaucourt*, les 23 mars et 16 avril 1815. — Nos traités avaient été ratifiés par Hadji Mohammed et par Omar les 30 mars et 16 avril 1815.

1. Napoléon avait débarqué au golfe Jouan le 1er mars, et avait fait son entrée triomphale à Paris le 20 du même mois. Louis XVIII avait quitté les Tuileries la veille et s'était réfugié à Gand.

الشكل رقم : (155)



الـداى عـلي خوجـة

الشكل رقم : (156)



لــويــس الثــامــن عــشر
ملــك فــرنسا

الشكل رقم : (157)

62) تجديدها يوم 26 أكتوبر 1817 م ، بينهما .

63) تجديد معاهدة السلم والتجارة في 29 مارس 1818 م ، بين الداى حسين (212) ولويس الثامن عشر (213) .

64) وثيقة اعتراف فرنسا بدين عليها للجزائر يوم 23 ديسمبر 1819 م ، بين الداى حسين ولويس الثامن عشر (214) .

65) اتفاقية اقتصادية يوم 24 يوليو 1820 م ، بين الداى حسين ولويس الثامن عشر .

وفي سنة 1824 م ، تلقى الداى حسين رسالة (215) من شارل العاشر ، الملك الجديد في فرنسا ، يخبره فيها بوفاة شقيقه لويس الثامن عشر ، وبجلوسه على العرش خلفا له .

وقد كان ذلك النعى بعد أربعة أيام فقط من الوفاة ويؤكد له فيها تمسك فرنسا بالمعاهدات السابقة التي عقدتها مع الجزائر ، وعلى السلم والصداقة ... ومعها طلب الموافقة على تجديد الاعتماد للقنصل العام القائم بأعمال فرنسا لديه ، المشئوم ، نذير الشر ، السيء السمعة ، بيير دوفال Pierre Deval ... ... (216) صاحب حكاية المروحة ... (217) .

وقد كانت هذه آخر رسالة تلقاها رئيس دولة جزائرى من رئيس دولة فرنسي ، من ذلك السيل العرم من الرسائل ، الممتدة من 1579 حتى 1824 م ... والمحفوظة ، ويجمعها مجلدان في أكثر من ألف صفحة ...

---

(212) انظر الشكل رقم : 157 مكرر 1 .
(213) انظر الشكل السابق رقم : 157 .
(214) De Grammont : ibid, p. 387.
(215) انظر الشكل رقم : 157 مكرر 2 .
(216) Devoulx : ibid, doc. n° 148, p. 151-152.
(217) انظر الشكل رقم : 158 .



HUSSEIN,
DERNIER DEY D'ALGER.

« لن تزهر الدفلىّ الفرنسية فى الجزائر ! »

الشكل رقم : (157) مكرر 1

CHARLES X
A HUSSEIN, DEY D'ALGER.

Saint-Cloud, le 20 septembre 1824.

Illustre et magnifique Seigneur,

Dieu vient d'appeler à lui notre très aimé frère Louis XVIII[1], Empereur de France, de glorieuse mémoire. Il nous serait impossible de vous exprimer la douleur et l'affliction où nous a jeté un coup aussi affreux qu'inattendu. Ce Prince a succombé à une maladie qui était la suite de ses anciennes infirmités. La Providence nous a enlevé le plus tendre des frères et a privé la France du meilleur des Empereurs. Les étrangers perdent un ami de l'humanité, un allié fidèle et sincère. Nous connaissons trop les sentiments qu'il vous avait inspirés pour n'être pas assuré que vous donnerez des regrets à la mémoire de cet auguste Monarque. Le droit de notre naissance et les lois fondamentales de l'Empire de France nous ont appelé au trône de nos ancêtres, et nous avons pris les rênes de l'Empire français au milieu des acclamations de nos peuples, qui nous ont donné les marques les plus vraies de leur respect et de leur amour pour notre personne sacrée. Dieu, qui est dans tous les cœurs, est témoin que nous n'avons d'autre désir que de marcher sur les traces de notre auguste frère. La droiture et la justice seront toujours le fondement et le lien de l'attachement de nos sujets comme de l'amitié des nations étrangères.

Nous confirmons d'autant plus volontiers les traités entre la France et la Régence d'Alger que nous sommes convaincu que vous en remplirez fidèlement les conditions, et que vous rendrez à notre Couronne impériale et à nos sujets tout ce qui peut affermir de plus en plus la paix, l'amitié et la correspondance la mieux établie. C'est dans cette confiance que nous avons voulu vous assurer nous-même de notre affection et de notre bienveillance.

Nous envoyons nos pleins pouvoirs au sieur Deval, que nous confirmons dans sa place de Consul général et de Chargé de nos affaires auprès de vous. Nous lui donnons ordre de vous présenter cette lettre, et nous vous requérons d'ajouter entière foi et créance à tout ce qu'il vous dira en notre nom. Sur ce nous prions Dieu qu'il vous ait, illustre et magnifique Seigneur, en sa sainte et digne garde.

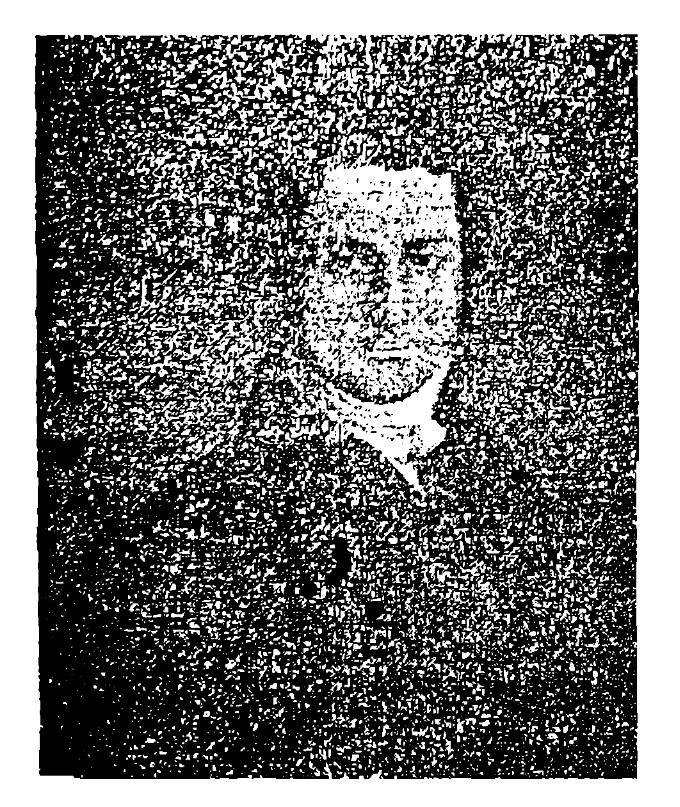
Écrit en notre château impérial de Saint-Cloud, le 20e jour de septembre 1824.

CHARLES.

1. Le 16 septembre 1824.

الشكل رقم : (157) مكرر 2

وبوصول القنصل إلى باريز ؛ جهزت دولة فرنسا أساطيلا . وبعثتها إلى الجزائر لنظر الأميرال « كوليت » فنازلها . يغاديها القتال ويراوحها . واستمر محاصراً لها ، نحو ثلاث سنين ، حتى لانت قوته . ونفدت ذخائره ، وانقرض معظم جيشه . وتكسرت أكثر مراكبه . وكانت خاتمة أمره بقتله . ذكر بعض المؤرخين : أن النفقة على هذه الحملة ؛ كانت أكثر من عشرين مليون فرنك وأما حكومة الجزائر ؛ فلم يلحقها كبير ضرر . ولما علم « حسين باشا » أن دولة فرنسا لاترفع يدها عن الجزائر



الشكل رقم : (158)

سبب النكبة : المسيو دوفال قنصل فرنسا في الجزائر

وأنها تراجع منازلتها لا محالة ؛ أخذ في تثقيف البلد . وتحصين حوزتها . ثم انتقل بأهله وحاشيته إلى القصبة .

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين وألف هجرية (١٢٤٥) . وتسع وعشرين وثمانمائة وألف ميلادية (١٨٢٩) ؛ بعثت دولة فرنسا معتمدها « دي لابر » إلى الجزائر ، يطلب

وقد حرصنا على إيراد عينات منها ... ولم نورد كثيرا من رسائلنا إليهم ، لأننا لم ننكر وجودهم أبدا ، ولكنهم هم الذين ظلوا،منذ 1830 م ، ينكرون وجودنا فى الماضى كدولة ، وأمة ، بل حتى كشعب ... وحتى اليوم نسمع من حين إلى آخر نغمة من ذلك اللحن القديم !

ولهذا جعلناهم هنا يكذبون بعضهم بعضا ... ولهذا أيضا أوردنا صورا لبعض تلك الوثائق بلغتهم ... ليتأكد بعض المشككين هناك ، وبعض المتشككين هنا، وما أكثرنهم هنا وهناك، على لغة جار الله الزمخشرى ، صاحب الكشاف ، والزمان كشاف، وصدق الشاعر الأندلسى مؤمن بن سعيد إذ يقول :

ما كل ما قيل كما قيلا

فقد باشر الناس الأباطيلا !

تبقى لنا معاهدة أخيرة ، تكون السادسة والستين (حتى 1830 م) ، ... ورسالة أخيرة ... وهما اتفاقية تسليم الجزائر يوم 05 يوليو 1830 م ، ورسالة من الداى حسين من منفاه بإيطاليا ... إلى لويس فيليب ... سنأتى عليهما فى الفصل الأخير من علاقاتنا مع فرنسا قبل 1830 م ... إذ بهما ختمت فصول ، وبدئت أخرى ... طويلة ...

كنا وقفنا عند استعراضنا للنوايا والغارات العدوانية الفرنسية عند إعلان فرنسا الحرب على الجزائر يوم 16 يونيو 1827 م . فلنذكر الآن أسبابه وظروفه :

العدوان وأسبابه : النوايا القديمة ، والديون ، «والمروحة» !

وقبل أن نعرض طريقة الغزو ، نرى من المناسب أن نعود إلى أسطورة المروحة التى كانت المفجر لمشروع قديم عمره ستة قرون !

سبق أن ذكرنا تحفظ غالبير بخصوص « الرواية الرسمية للحادث » ، وهو تحفظ ينم عن نزاهة علمية تشرف المؤرخ الفرنسي وكتابه الضخم ، لولا أنه سارع إلى تعليق آخر ... يبرر فيه الغزو الفرنسي « عقابا » للداى حسين ، فيقول :

« فحتى لو كان هناك داع لدى الداى للشكوى من القنصل دوفال – **وهي شكوى لا يمكننا قبولها بحال** – فما كان له أن يضربه » (218) و (219) .

(« s'il avait à se plaindre du Consul, ce que nous ne saurions admettre, il ne devait pas le frapper »).

أى أنه للقنصل دوفال ، الشاب الأرعن ، أن يشتم الشيخ المسن ، رئيس الدولة ، الداى حسين ، في عاصمته ، بل وفى قصره ، ويوم عيد ، وأمام حاشيته والسلك الدبلوماسى ، فضلا عن الموضوع نفسه ، وهو رفض فرنسا تسديد الديون ، ولكن ... ليس للداى أن يرد الفعل ... ولا أن ينفعل ، بل كان عليه أن يبلع الإهانة ... ويسكت !

مع أن المؤرخ المذكور نفسه يضيف ، فى ذات النفس ، فى الفقرة التى بعدها ، هذا الوصف الذى ذكره المؤرخ الجزائرى، صديق الداى حسين ، حمدان خوجة ، الذى عاين الحادث ، إذ يقول فى كتابه « المرآة » :

« كان جواب دوفال للداى حسين مقذعا ، إذ قال له :

« إن حكومتي لن تتنازل للإجابة عن رجل مثلكم » ، علانية ، وأمام الملإ، مما أفقد الداى حسين رباطة جأشه، فلطمه بمروحة من سعف النخل كانت فى يده » . (220)

---

(218) Galibert : ibid, p. 251.

(219) انظر الشكل السابق رقم : 87 .

(220) Galibert : ibid, p. 251.

ويقدم غالبير لتعليقه المذكور بقوله :

« وهكذا يتضح أن الداي هو الظالم في جميع الحالات ، المسئول عن هذا القطع للعلاقات بين فرنسا والجزائر . فحتى لو كان هناك داع لدى الداي ... الخ » ، مما أوردناه في بدء عرض هذا الحادث .

ولكن بعد أن أعلنت فرنسا الحرب على الجزائر يوم 16 يونيو 1827م ، اختلف المسئولون الفرنسيون ، من الملك شارل العاشر، ورئيس حكومته ، ووزيري حربيته وخارجيته ، إلى كبار القادة العسكريين ، وكبار الموظفين ، على الطريقة ، وليس على الهدف المشترك .

فبينما كان يرى قادة البحرية الفرنسية عدم جدوى الغزو البحري ، متعظين في ذلك بالتجارب السابقة الفاشلة لجميع الغارات الفرنسية والأوروبية الأخرى المجابهة للجزائر من الواجهة البحرية ، « ولهذا : فعلينا المواجهة من الخلف » ، أي من سيدي فرج ، واستشهدوا على ذلك بالكوارث التي تعرض لها أساطين الأساطيل الأوروبية الكبرى أمثال رويتر Ruyter، الأميرال الهولاندي الشهير ، وغيره (221) ، كان آخرون متحمسين له ، ومنهم القنصل العام دوفال ، ووزير الحرب ، المركيز كليرمون طونير Clermont-Tonnerre.

ويقول جوليان عن هذا الوزير ــ « الصاعقة » :

« فقد أخذ هذا المدافع التقي عن العرش والكنيسة يدعو « حفيد » القَديس لويس (لويس التاسع) إلى الانتقام لكل من الدين ، والإنسانية ، والشتائم التي تلقاها من الداي في الوقت نفسه .

(221) Les Productions de Paris, (œuvre collective) : ibid, p. 203.

« وبعد أن برر هكذا مشروعه أخذ يبين الوسائل العمليـة لتحقيقه : بالإرساء في سيدى فرج ... معبرا عن أملـه ، في تقريره هذا ، في تنصير الجزائريين ، إذ كتب فيه إلى الملـك : « وربما سعدنا ، بمرور الزمن ، بتنصيرهم ، بعد أن نكون قد حضرناهم » . (222)

ويضيف جوليان :

« كان هناك شيئان اثنان يعدوان بوزير الحرب في مشروعه هذا ، المعتمد في الدرجة الأولى على تقرير الرائد بوتان (223) ، وهما الحرب الصليبية ومجد الملك ، اللذان يبـرران وحدهما غزو الجزائر .

« وقد عمد في ذلك ، لتعزيز وجهة نظره ، إلى حجتين مـن السياسة الخارجية والداخلية طالما استعملتا فيما بعد :

« فالحجة الخارجية هي أنه يستبعد الدولة العثمانية مـــن الميدان ، مؤكدا « أن الداى ليس إطلاقا من رعايا السلطان ، فنستطيع أن نعلن عليه الحرب ، بدون أن يعتبر الباب العـالى نفسه معنيا بهذا الغزو ، ولا مستفـزا ، أو ملزمـا بإسعـاف الـداى .

« أما الحجة التي هي من باب السياسة الداخلية ، فهي الفائدة السياسية للملك عندما يجرى الانتخابات البرلمانية ومفاتيـح الجزائر في يده » (224) و (225) .

---

(222) Ch.-A. Julien : Histoire de l'Algérie contemporaine, p. 31.

(223) الذى يخاطبه مفدى زكرياء في إلياذته الخالدة :

أبوتـان : هـل سيـدى فـــرج — وان طال ليل — أقـر النظاما ؟

(224) Ch.-A. Julien : ibid, p .31.

(225) انظر الشكل رقم : 159 .

l'arrêter à aucune pensée ». Deux hommes se montrèrent particulièrement favorables au débarquement parce qu'ils se rendaient compte de la vanité du blocus, le consul Deval et le commandant Collet. Le capitaine de frégate Dupetit Thouars vint plaider, en août 1827, la cause de l'attaque par terre devant le conseil de l'amirauté. Bien qu'il eût convaincu le ministre de la Marine, le comte Chabrol de Crouzol, le jeune officier ne put fléchir le mépris hautain des amiraux, partisans du bombardement, qui lui montrèrent sèchement son béjaune.

Rejeté par les techniciens, au nom des traditions sacrées de la marine, le projet d'expédition fut repris à son compte par Clermont-Tonnerre, finalement converti. Le pieux défenseur du trône et de l'autel invitait « le fils de Saint-Louis à venger à la fois la religion, l'humanité et ses propres injures ». Après avoir légitimé l'entreprise, il indiquait les moyens pratiques de la réaliser par un débarquement à Sidi Ferruch. En six semaines, une armée de 33 000 hommes, munie de 150 pièces de canons, viendrait à bout d'Alger. Les habitants, s'ils étaient assurés de la tolérance des occupants, de leur volonté de ne pas remplacer une tyrannie par une autre et de leur honnêteté dans les transactions les serviraient sans doute mieux « qu'ils ne servent aujourd'hui leurs maîtres mahométans... Peut-être même, avec le tems, aurons-nous le bonheur, en les civilisant de les rendre chrétiens ! » pour atteindre ainsi « à une gloire que la Providence semble avoir préparée ».

Le rapport de Clermont-Tonnerre vaut moins par sa documentation tirée de travaux antérieurs, surtout de Boutin, que par l'esprit qui l'anime. A aucun moment, il n'est question de mettre fin à la course et de protéger le commerce français. Croisade et gloire du roi suffisent à justifier la conquête. Le ministre insiste sur deux arguments de politique extérieure et intérieure qui furent souvent utilisés après lui. D'une part contrairement à la position prise par Richelieu à Aix-la-Chapelle, il écarte la Turquie du débat en affirmant que « le dey n'est point un sujet du sultan » et qu'on peut lui faire la guerre, sans que la Porte puisse, en aucune manière, se regarder comme provoquée et comme obligée de le secourir » ; d'autre part, il croit au profit politique d'une victoire : « Si un résultat glorieux vient couronner cette entreprise, ce ne sera pas pour le Roi un léger avantage que de clore la session et de demander ensuite des députés à la France, les clefs d'Alger à la main. »

La proximité des élections n'incita pourtant pas Villèle à s'emparer de ces clefs. Le président du Conseil et la majorité des ministres rejetèrent le projet et Charles X laissa faire. Clermont-Tonnerre écrivit au bas de son rapport : « Lu au Conseil le 14 octobre 1827. Le Roi a ordonné d'attendre. 16 octobre 1827. » Ce croisé attardé ne semblait pas avoir tenu compte que le traité du 6 juillet précédent engageait la France à intervenir avec ses alliés dans l'affaire grecque, qu'elle devait réserver sa flotte pour forcer éventuellement le passage des Dardanelles, qu'une escadre était immobilisée au Brésil depuis que des bâtiments français avaient été saisis au cours des opérations contre les Argentins et qu'un corps d'occupation était immobilisé en Espagne. Le 20 octobre, la destruction de la flotte turque à Navarin tendit encore

وإلى هذا الاعتبار بخصوص الداى ، أورد مؤلفون آخرون، من نفس تقرير وزير الحرب المذكور ، كليرمون طونير ، اعتبارا آخر يخص البلد نفسه ، الجزائر ، إذ يقول فيه :

« سيعترض البعض على مشروع الغزو بأن الجزائر جزء من الأمبراطورية العثمانية .

« ولكن الجزائر ليست جزءا من هذه الأمبراطورية ، ولا الداى من رعايا السلطان » . (226)

هذا الخلاف بين القادة الفرنسيين على طرق تحقيق الهدف المشترك المتفق عليه نشب بعد إعلان فرنسا الحرب على الجزائر يوم 16 يونيو 1827 م ، كما سبق أن ذكرنا ، وإن كان الاتجاه الأقوى يميل إلى الغزو العسكرى المباشر ثم الاحتلال ، وهو رأي الملك خاصة ، ووزير حربيته المذكور ، كليرمون طونير .

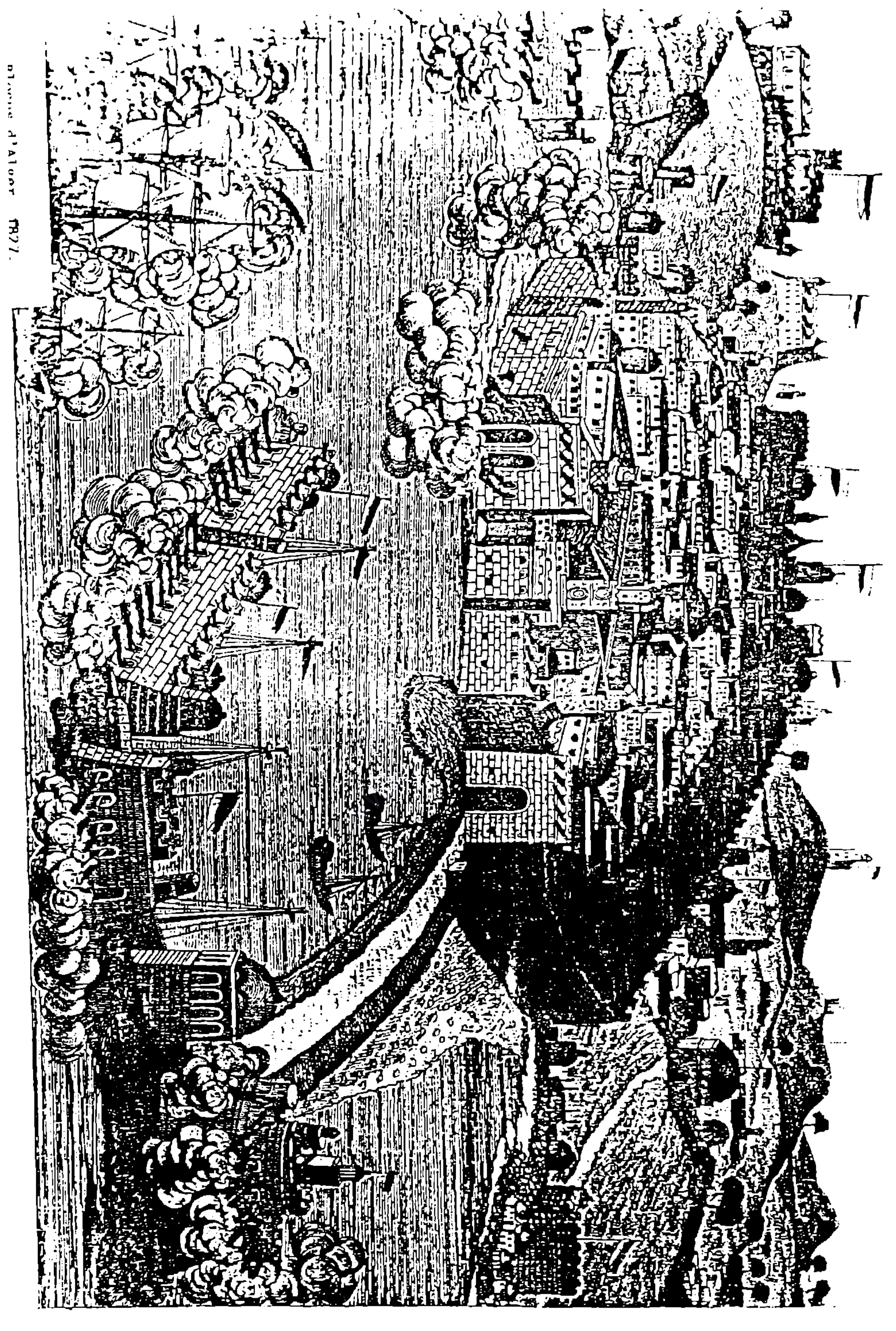
« ولكن قرب الانتخابات جعل رئيس مجلس الوزراء، فيليل Villèle ، عازفا ، مؤقتا ، عن الاستيلاء على مفاتيح الجزائر ، فرفض – ومعه أغلبية الوزراء – مشروع الملك شارل العاشر ، الذى سكت ، مما جعل وزير حربيته ، طونير (Tonnerre)، يضع الملف فى الدرج ، بعد أن كتب عليه :

« تلى فى مجلس الوزراء يوم 14 أكتوبر 1827 م . وقد أمر الملك بالانتظار .

« فى 16 أكتوبر 1827 م » (227) . واستقر الرأى على الاكتفاء مؤقتا بالحصار ، حصار ميناء عاصمة الجزائر . (228)

---

(226) Les Productions de Paris : ibid, p. 203-204.
(227) Ch.-A. Julien : ibid, p. 31.
(228) انظر الشكل رقم : 160 .



الشكل رقم : (160)

ولكن هذا « الصليبي المتأخر عن زمانه » (« ce croisé attardé »)، كما يسميه جوليان ، ظل متعلقا بمشروعه ، وينتظر الوقت المناسب .

والآن ، قبل أن نأتي على الفصل الأخير للغارة العدوانية واحتلال العاصمة ، نود أن نعود ، بإيجاز ، إلى الأسباب : الديون ، و « الحساسية » الفرنسية لـ « إهانة » الضربة بالمروحة التي كانت المفجر لما حدث .

ولقد فصلنا طبيعة هذه الديون ونشأتها ، وقلنا إنها نشأت عن نوعين من القروض التي قدمتها الجزائر لحكومة الثورة الفرنسية :

الأول هو القرض الحكومي (crédit fournisseur) لاستيراد القمح الجزائري ، « الذي اتفق كل من الفرنسيين واليهوديين ، يوسف بوخريص ، الذي غير اسمه إلى بكري ، ونفطالي بوشناق ، وكيلي الداي، على أن مبلغه هو سبعة ملايين وتسعمائة واثنان وأربعون ألف وتسعمائة واثنان وتسعون فرنك وأربعة وخمسون سنتيم (7.942.992،54) ، للقمح وحده » (229) ، وهو ما اعترفت به فرنسا بعد أخذ ورد وفي مفاوضات طويلة عسيرة .

والقرض الذي هو من النوع الثاني ، الذي منحه الداي حسن أيضا حكومة الثورة الفرنسية (الدريكتوار)،كان من طبيعة أخرى ، لأنه عيني ، أي نقدا ، بالمال سباشرة ، قدر مؤرخان فرنسيان : دو غرامون De Grammont ، وكاط Cat ، مبلغه بخمسة ملايين من الفرنكات الذهبية (230) ، كما مر .

---

(229) Garrot : ibid, p. 607.

(230) انظر الشكلين السابقين رقم : 134 ورقم 136 .

ولا يمكن أن يتهم المؤرخان المذكوران بالمبالغة ، أو الميل إلى الجزائر : فدوغرامون معروف بنزعته الصليبية التى يستشفها القارئ من كل سطر من سطوره، منبئة عن نفسها، بل صارخة، رافعة « عقيرتها » . أما كاط ، فيكفينا أن نورد عنه هذا التعليق من مواطن له ، هو جوليان ، إذ يقول عنه :

« هذا المؤرخ للجزائر المتحمس لاستدمارها » :
(« Ce fervent colonial, historien de l'Algérie ») (231)

وسواء كانت هذه الديون التى على فرنسا لصالح الجزائر ثلاثة ملايين ونصف ، حسب بلانطى (232) و (233) ؛ أو مائتى وخمسين ألف فرنك ذهبية بلغت فيما بعد سبعة ملايين ، كما يقول غارو (234) و (235) ؛ ويقوله معه سيميونوف أيضا ، أى سبعة ملايين (236) و (237) ؛ زيادة عن الخمسة ملايين نقدا ، أى القرض المالى البحت ، الذى ذكره كل من دوغرامون (238) و (239) ؛ وكاط (240) و (241) ؛ فيكون المبلغ الإجمالى اثنى عشر مليونا من الفرنكات الذهبية(242).

وإذا ما أخذنا بتقدير دوفور سنة 1975 م لمبلغ السبعة ملايين الذى اعترفت به فرنسا ، إذ قدره فى ذلك العام بسبعة عشر مليار ونصف مليار فرنك قديم بعملة اليوم (243) ،

---

(231) Ch.-A. Julien : ibid, p. 138.
(232) Plantet : ibid, p. 29.
(233) انظر الشكل السابق رقم : 135 .
(234) Garrot : ibid, pp. 598 et 607.
(235) انظر الشكل السابق رقم : 134 .
(236) J. Semjonow : ibid, p. 171.
(237) انظر الشكل رقم : 161 .
(238) De Grammont : ibid, pp. 348-349.
(239) انظر الشكل السابق رقم : 138 أ ، و 138 ب .
(240) Cat : ibid, p. 328.
(241) انظر الشكل السابق رقم : 136 .
(242) Dufour : France - Pays-Arabes, avril 1975.
(243) سيميونوف ذكر : 16 مليونا (ص 171) .

Napoleon im Zorn

[illegible] Dei Frankreich in barem Gelde geliehen [illegible] zurückerstattet. Mit den übrigen Schulden indes [illegible] Als Bonaparte Erster Konsul wurde, waren die [illegible] ns bis zu 7 Millionen Francs angewachsen.

A[illegible] die Begleichung dieser großen Staatsschuld wollte der neue Dei Mustafa gern warten, aber daß die Franzosen die Sendung der persönlichen „Gratifikationen" an ihn einstellten, konnte er ihnen nicht verzeihen. Die Beziehungen spitzten sich zu. Im Januar 1802 wurde ein französisches Schiff, das an der algerischen Küste strandete, ausgeplündert, die Bemannung teils ermordet, teils in die Sklaverei fortgeschleppt. Im Juni des gleichen Jahres „blockierte" ein algerisches Piratenschiff den kleinen französischen Hafen Saint-Tropez unweit von Toulon, wo sich die ganze französische Flotte befand.

Napoleon geriet in Wut. Seine Briefe flogen wie Blitze in alle Himmelsrichtungen. An die Admiräle nach Toulon: „Une situation déshonorante pour la République!" Dem Konsul nach Algier: „Ich habe beschlossen, den algerischen Banditen une bonne leçon zu geben." An den Dei: „Ich habe das Reich der Mameluken zerstört, weil sie, nachdem sie die französische Fahne beleidigt hatten, auch noch wagten, von mir Geld zu fordern. Fürchten Sie das gleiche Schicksal!"

Dem türkischen Gesandten in Paris wurde der Beschluß des Ersten Konsuls mitgeteilt, die algerische Küste zu erobern und „keinen Stein dort auf dem anderen zu lassen". Als Bonapartes Botschaft in Algier eintraf, hatte der Dei vom Sultan bereits Ratschläge erhalten. Alle empfahlen ihm „Vernunft". Der Dei verstand wohl Bonapartes Anspielung auf das Geld, das die Mameluken in Ägypten forderten, und verzichtete auf seine „Gratifikation".

Aber die alten Schulden beglich Frankreich noch immer nicht. Vor alledem hatte Bakri zwei Rechnungen im Gesamtbetrage von ungefähr 16 Millionen Francs präsentiert. Auf Talleyrands Veranlassung wurde ihm eine Zahlung von 3 725 000 Francs zugesagt. Jedoch auch das bekam er jetzt nicht, da die französische Regierung eine Gegenrechnung für Verluste durch Piraten vorlegte. Sehr bald begannen die Piraten ihre Tätigkeit von neuem.

Napoleon beschränkte sich nicht auf Drohungen, sondern hatte tatsächlich die Absicht, mit den Barbaresken Schluß zu machen. Er

Semjonow : ibid.

الشكل رقم : (161)

وقدرنا بهذه النسبة المبلغ الذى طالبت به الجزائر ، وذكره غارو ، وهو أربعة عشر مليون (أو بالضبط : 13.893.844) فرنك ذهبى ، فيكون مجموع مبلغ الديون التى على فرنسا اليوم لصالح الجزائر خمسة وثلاثين مليار فرنك قديم ، بعملة اليوم ، فضلا عن الخمسين مليون فرنك التى صادروها من الخزينة الجزائرية يوم احتلوا العاصمة فى 05 يوليو 1830 م ، وهى بالتفصيل هكذا بالضبط ، حسبما ذكر غالبير : 48.684.527 فرنك ، أى نحو الخمسين مليون فرنك .

هذا إذا ما أخذنا بالمبلغ الأدنى الذى ذكره غالبير . على أنه هو نفسه قد ذكر فى كتابه هذا «أن هذا المبلغ هو آخر ما وجدته لجنة التحقيق فى خزينة الجزائر » ، بعد النهب ــ الذى اتهم به كبار ضباط الجيش الفرنسى ــ ، وذكر هو نفسه مبالغ أخرى « تتراوح بين الثمانين مليونا ، وأكثر من المائة والخمسين مليونا ــ وهو المبلغ الذى ذكره القنصلان العامان لبريطانيا وأمريكا ، أودونيل وشيلر ؛ والقنصل العام الفرنسى نفسه ، دوفال ؛ والوزير الأول لباى تونس ؛ ومائتى وخمسين مليون فرنك ، حسب آخرين ، بل وقد قيل إنه بلغ **ثلاثمائة مليون فرنك من ذهب وفضة** (244) .

ويضيف غالبير :

« ولكن التقرير الرسمى أورد الذى ذكرناه : ثمانية وأربعين مليون وستمائة وثلاثة وثمانين ألف فرنك (48.683.000) ... بعد النهب الذى اتهم بـه كبار الضباط الفرنسيين . « أرسل منها ثلاثة وأربعون مليونا إلى فرنسا حملت منها العملة الفضية على ظهر السفن : le Scipion, le Nestor, le Venus ؛ والعملة الذهبية

(244) Galibert : ibid, p. 329.

على ظهر السفينتين دوكين Duquesne ومارنغو Marengo ؛ واحتفظ بالباقى فى الجزائر للمصاريف العامة » (245) و (246) .

فإذا كان دوفور قد قدر مبلغ السبعة ملايين من فرنكات ذلك الوقت بسبعة عشرة مليارا ونصف مليار من الفرنكات القديمة، وهو المقياس الذى قدرنا به المبلغ الحقيقى الذى ذكره آخرون للديون الجزائرية المستحقة على فرنسا : وهو 14 مليونا من عملة ذلك الوقت ، وقلنا إنه إذن يبلغ خمسة وثلاثين مليار فرنك قديم بعملة وقيمة 1975 م ، فإن مبلغ الخمسين مليونا هذا ، المصادر من الخزينة ، تكون قيمته اليوم مائة وخمسة مليارات فرنك قديم . هذا إذا ما أخذنا بالحد الأدنى ، وبأضعف رواية، وهى رواية لجنة التحقيق الفرنسية بعد السلب والنهب من كبار الضباط الفرنسيين . أما إذا أخذنا بالحد الأعلى الذى ذكره غالبير نفسه ، رواية عن آخرين ، وهى ثلاثمائة مليون ، فتكون قيمة المبلغ الذى صادرته فرنسا من خزينة الجزائر يوم 5 يوليو 1830 م ، بعملة اليوم ، حسب تقويم دوفور سنة 1975 م ، هى ، بحساب بسيط ، مع العلم أنى لست فارس أرقام : ثلاثمائة مليار فرنك قديم. وإذا ما أضفنا إليه مبلغ الديون (35 مليارا)، يكون المجموع المستحق على فرنسا للجزائر اليوم حوالى **ثلاثمائة وخمسين مليارا** من الفرنكات القديمة، بدون الفائدة ... وفتوى المجلس الإسلامى الأعلى تجيز أخذ الفائدة ! وبدون حساب استغلال البلاد والعباد من 1830 م إلى 1962 !

وقد اعترف الفرنسيون ، على الأقل ثلاث مرات ، رسميا ، وبمعاهدات ، بديون عليهم للجزائر ، وآخر مرة كان بمبلغ السبعة ملايين ، والوثائق هى كما يلى :

---

(245) Galibert : ibid, p. 329.

(246) انظر الشكل رقم : 162 أ ، 162 ب .

En effet, toutes ces supputations ne reposaient sur aucune appréciation positive, sur aucun document digne de foi. Les caissiers de l'odjack ne tenaient aucun livre d'entrée ni de sortie; le dey et ses ministres ignoraient complétement l'importance de leur trésor; comment les consuls étrangers auraient-ils pu avoir des indications plus positives? Tous ces prétendus chiffres officiels n'étaient que des fables auxquelles la crédulité donna cours et que l'évidence eut peine à détruire. N'a-t-on pas cru pendant trois siècles à l'existence de l'Eldorado, et pendant tout ce laps de temps n'y a-t-il pas eu constamment des expéditions très-sérieusement formées pour aller à la découverte du pays où la terre et les montagnes étaient d'or? C'est à cet amour aveugle du merveilleux que l'on doit attribuer les exagérations dont le trésor d'Alger a été l'objet.

M. le lieutenant-général Desprez, dans son excellent *Journal sur la campagne d'Alger*, dit que les lingots d'or et d'argent enlevés par effraction dans la fonderie, et les quatre mille sequins d'or soustraits d'une cassette qui appartenait à l'aga, furent les seules valeurs dérobées *soit par le vainqueur, soit par le vaincu*. En définitive, si des soustractions considérables avaient eu lieu à la Kasbah, des plaintes sérieuses se seraient propagées et maintenues dans l'armée; bien au contraire, après les premières irritations du moment, on oublia les largesses qui avaient été promises, et M. de Bourmont ayant ordonné la distribution de quelques armes de prix entre les principaux officiers, tout le monde parut satisfait. Ces armes se trouvaient dans le salon d'audience du dey et n'étaient pas sa propriété particulière; M. de Bourmont crut devoir les faire distribuer aux officiers généraux et supérieurs de l'armée, comme un souvenir glorieux de leur coopération à la conquête algérienne. La répartition

s'imposer à elle-même. Les matières d'or et d'argent entassées depuis longues années dans le même lieu avaient laissé sur la muraille des traces très-visibles de leur présence : on mit à profit ces fugitives indications; on pensa qu'en prenant toutes les hauteurs et en les cubant, on parviendrait à déterminer l'importance des valeurs concentrées à la Kasbah. M. Guy, capitaine du génie, procéda à cette opération, et constata que l'or avait pû occuper un espace de quatre mètres quatre cent soixante sept millimètres cubes, et l'argent, trente-quatre mètres quatre cent soixante-quatre millimètres cubes. D'après ce volume et le poids spécifique des métaux, le trésor de la Kasbah aurait contenu plus de trois cents millions de francs. Pour arriver à la vérité, il fallait défalquer les interstices vides qui existent toujours dans une réunion de pièces détachées de corps multiples; c'est ce que l'on fit, et, après de longs calculs géométriques, on établit qu'en déduisant quarante pour cent pour la différence du plein au vide, et dix pour cent pour l'alliage des monnaies, on ferait une large part à l'inconnu. Le véritable résultat fut donc que le nombre de mètres cubes qui étaient remplis d'espèces monnayées d'or et d'argent représentait, toute compensation faite, au-delà de cent cinquante millions; « chiffre, ajoute le Mémoire, qui est en parfait accord avec les déclarations du consul d'Angleterre, sur l'importance du trésor d'Alger, reçues par M. de Bourmont, le jour de la capitulation; avec le document historique publié par M. Schaler, consul général d'Amérique près la régence d'Alger; avec le rapport que M. Deval, consul de France près de ladite régence, avait envoyé au gouvernement le 20 février 1828; et enfin avec la déclaration du premier ministre du bey de Tunis, reçue par M. le chef de bataillon du génie Guy, le même qui a procédé à l'opération matérielle du cubage. »

الشكل رقم : (162) أ

e ces armes fut réglée de la manière suivante : on remit aux lieutenants-énéraux un fusil, un sabre, un yataghan et une paire de pistolets; aux maré-haux-de-camp, un fusil, un yataghan et deux pistolets; aux officiers supé-eurs, un yataghan. Tel fut, pour les officiers d'une armée qui avait fait une riche conquête, le seul fruit matériel de la victoire.

Certes, lorsque l'on rapproche ces minces trophées de ceux que tous les énéraux de Rome rapportèrent de l'Afrique, de ces richesses prodigieuses ue Salluste, Marius, Sylla, Bélisaire lui-même recueillirent dans leurs expédi-ons de Numidie et de Mauritanie; lorsqu'on les compare au butin que de nos urs les armées russe et anglaise se sont approprié dans leurs expéditions ontre les Asiatiques[1], on ne pourra s'empêcher de reconnaître que si, dans conquête d'Alger, il y a eu quelques malversations partielles, la masse de otre armée n'obéissait du moins qu'à ces sentiments de gloire et d'honneur ui sont si puissants sur l'esprit français et qui ont toujours été le principal obile de nos conquêtes.

Maintenant que nous avons fait la part de l'exagération, occupons-nous de reconnaissance exacte du trésor algérien. La commission fit d'abord le tri s pièces et des lingots qui se trouvaient dans les différentes salles; puis elle océda à leur pesage. Cette opération délicate et qui dura plusieurs jours t lieu par les soins des officiers d'état-major et de la trésorerie, sous la sur-illance de la commission des finances. Ses résultats donnèrent :

7,212	kilogrammes d'or, à 3,434 fr. le kilogamme. . fr.	24,768,000
108,704	kilogrammes d'argent, à 220 fr. le kilogramme.	23,915,000
115,916	**kilogrammes représentant ensemble. . . . . . . fr.**	**48,683,000**

Huit sous-officiers d'artillerie furent chargés d'emballer ces matières. A sure que les caisses étaient clouées, ficelées et cachetées, elles recevaient numéro d'ordre et on les plaçait méthodiquement dans l'un des caveaux, ù elles ne sortaient que pour être transportées à bord des vaisseaux de at par des militaires de corvée, commandés par des officiers, et sous la con-le du payeur-général et des agents de la trésorerie. Quarante-trois millions lement furent envoyés en France. *Le Marengo* et *le Duquesne* reçurent à r bord les matières d'or; celles d'argent furent réparties entre *le Scipion*, *Nestor* et *la Vénus*. Les cinq millions restant, qui se composaient d'espèces nnayées, ayant cours dans la régence, furent employés au service des enses publiques.

près que cette reconnaissance minutieuse fut achevée, les membres de la

[1] La conquête seule du Mysore fit la fortune de tous les officiers généraux qui composaient née anglaise. Chaque soldat reçut pour sa part 100 livres sterling (2,500 fr.).

1) اتفاقية 9 مسيدور (28 يونيو) 1796 م ، بين الداى حسن والدريكتـــوار (المجـلس التنفيذى الأعـــلى للجمهوريـــة الفرنسية » (247) .

2) وفى معاهدة 29 ديسمبر 1801 م ، بـــين الداى مصطفى ونابليون بونابارت (248) ، التى يقول عنها دوغرامون :

« رغم أن معاهدة 1801 م قد أكدت هذا الحق لداى الجزائر ، إلا أنه لم يسدد له شيء من ذلك » (249) .

3) ثم أخيرا بين الداى حسين ولويس الثامن عشر فى معاهدة 28 أكتوبر 1819 م ! (250) .

وعنوان هذه المعاهدة فى جميع فهارس المعاهدات الدوليـــة الفرنسية هو : «الديون الجزائرية» («Créances algériennes») (251)، أى الديون المستحقة على فرنسا نحو الجزائر .

ويقول دوغرامون أيضا عن هذه المعاهدة الثالثة بخصوص ديون الجزائر على فرنسا :

« وقد اعترفت حكومة لويس الثامن عشر بهذا الدين . وفى يـــوم 28 أكتوبر 1819 م عقدت اتفاقية بين البلدين (الـــداى حسين ولويس الثامن عشر) ، اتفق الجانبان بموجبها على أن مبلغ هذا الدين هو سبعة ملايين من الفرنكات (الذهبية) .

---

(247) a) Garrot : ibid, p. 598, 701.
b) Plantet : ibid, p. 592.

(248) a) Bardon : ibid, p. 139.
b) Plantet : ibid, p. 592.
c) Garrot : ibid, p. 701.

(249) De Grammont : ibid, p. 387.

(250) a) Garrot : ibid, p. 646.
b) Garrot : ibid, 701.
c) Plantet : ibid, p. 592.

(251) مثلا : المرجعان المذكوران أعلاه : بلانطى (Plantet) ص 592 ؛ وغارو (Garrot) ص 701 ؛ ودغرامون ص 387 .

« ثـم صادق مجلس النواب يوم 24 يوليو 1820 م عـلى هذه الاتفاقية وعلى قرار الحكومة تسديد هذا الدين للجزائر» (252).

فواضح من كل هذا أن الداى كان له الحق كل الحق فى المطالبة بحقوق الدولة التى يرأسها والتى هو مسئول عنها:الديون التى اعترفت بها فرنسا فى عديد من المعاهدات ، على الأقل فى ثلاث!

فلم إذن كل هذا الشر الذى يدبر ثم يشرع في تنفيذه ضد الجزائر ؟ جزاء سنمار ؟ اتق شر من أحسنت إليه ؟ نعم ! هـذا كله وأكثر !

فلأن الجزائر طالبت بحقها ، بتسديد الديون التى كانت قد قدمتها قروضا لفرنسا ، وهى في ظروف الشدة ، تتلقى منهـا الجزائر الضربة ، وهى فى حالة ضعف (قلنا : بعـد كارثـة نافاران البحرية) !

ونورد هنا نصين اثنين عن هذا الجزاء السنمارى ، أحدهما لمؤرخ ألمانى ، والثانى لمؤرخ فرنسى :

يقول سيميونوف ، فى كتابه الذى ألفه سنة 1937 م ، ونشر فى برلين من دار نشر نازية ، وفى صميم الحرب، سنة 1942م... ومع ذلك نجده متعاطفا مع فرنسا ، بحكم التضامن الأوروبى ، والتعاطف الآرى ، حسب الرأى القائل : « أخوك أخوك ، فـلا يغرنك صاحبك » !

يقول المؤرخ الألمانى ، إذن :

« لقد كانت فرنسا حريصة على علاقاتها بالجزائر . وحاجتها إلى القمح كانت من أهم الدواعى . وهى التى تفسر العلاقات الودية بين المستبد الداى حسن وحكومة الثورة الفرنسية

(252) De Grammont ibid. p. 387.

« فلقد كانت هذه قابلة لدفع أى ثمن ، من أجل هذا القمح ، بل وأكثر من هذا : فقد منح الداى فرنسا قرضاً » . (253)

هذا عن حكاية القمح فى بدايتها . ثم يعود إليها فى نهايتها فيقول :

« وهكذا كانت هذه المادة السلمية ، الأكثر سلمية من بين جميع المواد : القمح ، الذى صدره دايات الجزائر إلى فرنسا ، هو السبب الأخير لهلاكهم » (« die letzte Ursache ») (254) .

أما قرينه الفرنسي ، إيغروطو، الذى صدر كتابه سنة 1961م، عن دار نشر شيوعية ، فيقول :

« وبالضبط فلأن فرنسا لم تف بالتزاماتها بهذا الخصوص (تسديد القرضين : الاستيرادى crédit fournisseur لشراء القمح، والقرض المالى البحت prêt financier ، اللذين منحهما الداى حكومة الثورة بدون فائدة) ، فقد حيكت فيما بعد حول هذا الموضوع المناورات التى كانت من باب المفارقات التى أدت فى النهاية إلى حملة العدوان ضد الجزائر سنة 1830 » (255) .

(من باب المفارقات لأن الخير قوبل بالشر) .

ولم تكن أسطورة المروحة « والإهانة » هى السبب ، لأن الإهانة جاءت من القنصل العام دوفال للداى ، ومن حكومة القنصل التى كانت أمرته باستفزاز الداى ، واستدراجه إلى القيام بتصرف تتذرع به كحجة لغزو الجزائر ، كما ذكر ذلك غارو وذكرناه فى محله برقم الصفحة .

(253) Juri Semjonow : ibid (Glanz und Elend des franzoesischen Kolonialreiches), p. 175.
Deutscher Verlag, Berlin, 1942.
(ازدهار الأمبراطورية الاستدمارية الفرنسية وانهيارها) ص 175 .
(254) Semjonow : ibid, p. 205.
(255) Marcel Egretaud : ibid (La réalité de la nation algérienne) (Editions Sociales, Paris 1961), p. 42.

فلو كانت رغبة فرنسا فى الانتقام « لشرفها » هى السبب لكانت قامت بهذه الحملة قبل ذلك بقرون ... بإحدى المناسبات العديدة التى رأت فيها فرنسا نفسها « مهانة » . فإلى الأمثلة العديدة التى ذكرنا بعضها ، نضيف أن حادثا آخر وقع لقنصل عام فرنسى آخر هو « ليون دولان Léon Delane ، فارس سان لازار ، وضابط من حاشية الملك الفرنسى لويس الخامس عشر ، طرده الداى محمد كور عبدى من الجزائر لنفس التصرفات التى قام بها القنصل الانكليزى العام فريزر » ، ولم يعلن الملك الفرنسى الحرب على الجزائر ! (256) .

وحادثة أخرى أيضا لقنصل فرنسى عام آخر ، قائم بأعمال نابليون الأول فى الجزائر ... بعد أن كان ممثل لويس السادس عشر ، ثم ممثل الجمهورية الفرنسية ، دوبوة تانفيل ، عندما أمر الداى الحاج علي بإلقائه فى سفينة أمريكية على وشك الإقلاع إلى فرنسا ، وكتبت وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 19 أكتوبر 1811 م (أى فى عهد نابليون الأول ، أمبراطور الفرنسيين) ، إلى خلف قنصلها العام ، القائم بأعمالها فى الجزائر ، تقول : « إن باريس لا ترى أن مثل هذه المعاملة من الداى تعتبر بمثابة إهانة للقنصل العام القائم بالأعمال . فلا تستحق أن تتخذ كحجة لإعلان حرب » (257) .

وقد ذكرنا لذلك أمثلة أخرى «من عهد هنرى الرابع (258)»سنة 1604 م ، حيث « أهين » فى الجزائر مبعوثه الخاص ، أحد نبلاء قصره ، سافارى دو بريف Savary de Brèves ، الذى كاد أن يقتل

(256) Spencer ; ibid, p. 178.
(257) Devoulx : ibid, p. 146.
(258) انظر الشكل رقم : 163 .



56. — HENRI IV, par François Pourbus

هـــنرى الرابـــع

الشكل رقم : (163)

في الجزائر » ، وابتلع « هنرى الرابع الإهانة لأنه كان حريصا على التحالف مع الجزائريين ضد اسبانيا » (259) .

ويضيف المؤرخ دوغرامون فيقول :

« ولم تكن أسباب الحرب ـ أو المظالم ـ من طرف الجزائر ـ هى التى كانت تعوزنا » . ثم يلقى « اللوم على الدول المسيحية التى كانت مختلفة فيما بينها ، مما لم يسمح بتخريب أمة (nation) (الجزائر) لم يكن لديها فى الواقع من قوة حقيقية » ... (260) ؛ إلى لويس الخامس عشر ، حيث « كان الداى بابا إبراهيم يعامل بسوء قناصلنا العامين ، بل أرسل جميع الفرنسيين المقيمين بالجزائر مقيدين للعمل فى المحاجر (carrières) (261) ؛ ! إلى نابليون بونابارت ، الذى ألقى الداى الحاج على سنة 1810م بقنصله العام بالقوة فى سفينة ، وطرده من الجزائر ، ولم يطالب نابليون بالاعتذار عن هذه الإهانة ، لأنه كان مشغولا فى جهة أخرى » (262) .

ولنضف إلى ما ذكرنا ، وما لم نذكر ، من تلك « الإهانات » الجزائرية لفرنسا ، واحدة كان ينبغى أن تكون أبلغها إيذاء لفرنسا ، وأعمقها تأثيرا فى نفسها ، وأجرحها لـ «كرامتها» ، من حكاية المروحة !

فلقد أورد المؤرخ الألمانى ، المذكور منذ لحظة ، سيميونوف ، حادثة ، إن وقعت حقا ، كان يمكن أن تكون أبلغ جميع « الإهانات » ، والضربة بالمروحة تكون راحة ، وملاطفة ، ومداعبة ، وتدليلا ، بالمقارنة معها :

(259) De Grammont : ibid, p. VIII : Introduction.
(260) De Grammont : ibid, p. VIII : Introduction.
(261) Cat : ibid, p. 318.
(262) Cat : ibid, p. 333.

يقول سيميونوف :

« وفي يناير 1802م داهم جزائريون سفينة فرنسية كانت راسية على شاطىء جزائرى ، وأخذوا ما فيها من متاع ، ثم قتلوا بعض من فيها ، وأخذوا الآخرين أسرى وعبيدا .

« وفي يونيو من نفس العام (1802م) **حاصرت سفينة جزائرية الميناء الفرنسي الصغير سان طروبى** (St Tropez) **، قريبا من ميناء طولون (أكبر ميناء حربى فرنسي)،حيث كان مجموع الأسطول الفرنسي راسيا .**

« وقد اشتط نابليون غضبا ، وبعث برسائل في سائر اتجاهات السماء مثل البرق . فإلى أمراء بحريته (الأميرالات) في طولون كتب (263) :

« إنها لفضيحة للجمهورية » (Une situation déshonorante pour la République) (بالفرنسية في الأصل الألماني) .

« وإلى قنصله العام في الجزائر كتب :

« لقد قررت أن ألقن هؤلاء قطاع البحر الجزائريين درسا » !

(« Ces bandits algériens ») (264) - (265)

كان هذا سنة 1802 م ... وحادث القنصل الفرنسى العام الملقى به في السفينة قسرا كان سنة 1810 م ... ومع ذلك لم يفعل نابليون شيئا ضد الجزائر ... ـ وإن كان قد بعث بالرائد بوتان ليعد خططه ... ـ بل واصل في إرسال أقرب مساعديه مبعوثين خاصين ـ ومنهم أخوه جيروم ـ إلى الدايين مصطفى والحاج علي ، طالبا تجديد المعاهدات ، ومؤكدا « ضرورة

(263) Semjonow : ibid, p. 171.
(264) Semjonow : ibid, p. 171.

(265) انظر الشكل رقم : 164 .

T[illegible] [illegible] Dei [illegible] Frankreich [illegible] Geld geliehen [illegible] zur [illegible] Mit [illegible] Schweden indes [illegible] Als Bonaparte Erster Konsul wurde, waren die [illegible] zu 7 M[illegible] [illegible]

A[illegible] Begleichung dieser großen Staatsschuld [illegible] der neue Dei Mustafa gern warten, aber daß die Franzosen die Sendung der persönlichen „Gratifikationen" an ihn einstellten, konnte er ihnen nicht verzeihen. Die Beziehungen spitzten sich zu. Im Januar 1802 wurde ein französisches Schiff, das an der algerischen Küste strandete, ausgeplündert, die Bemannung teils ermordet, teils in die Sklaverei fortgeschleppt. Im Juni des gleichen Jahres „blockierte" ein algerisches Piratenschiff den kleinen französischen Hafen Saint-Tropez unweit von Toulon, wo sich die ganze französische Flotte befand.

Napoleon geriet in Wut. Seine Briefe flogen wie Blitze in alle Himmelsrichtungen. An die Admiräle nach Toulon: „Une situation deshonorante pour la République!" Dem Konsul nach Algier: „Ich habe beschlossen, den algerischen Banditen une bonne leçon zu geben." An den Dei: „Ich habe das Reich der Mameluken zerstört, weil sie, nachdem sie die französische Fahne beleidigt hatten, auch noch wagten, von mir Geld zu [illegible] Fürchten Sie das gleiche Schicksal!"

Dem türkischen Gesandten in Paris wurde der Beschluß des Ersten Konsuls mitgeteilt, die algerische Küste zu erobern und „keinen Stein dort auf dem anderen zu lassen". Als Bonapartes Botschaft in Algier eintraf, hatte der Dei vom Sultan bereits Ratschläge erhalten. Alle empfahlen ihm „Vernunft". Der Dei verstand wohl Bonapartes Anspielung auf das Geld, das die Mameluken in Ägypten forderten, und verzichtete auf seine „Gratifikation".

Aber die alten Schulden beglich Frankreich noch immer nicht. Vor alledem hatte Bakri zwei Rechnungen im Gesamtbetrage von ungefähr 16 Millionen Francs präsentiert. Auf Talleyrands Veranlassung wurde ihm eine Zahlung von 3 725 000 Francs zugesagt. Jedoch auch das bekam er jetzt nicht, da die französische Regierung eine Gegenrechnung für Verluste durch Piraten vorlegte. Sehr bald begannen die Piraten ihre Tätigkeit von neuem.

Napoleon beschränkte sich nicht auf Drohungen, sondern hatte tatsächlich die Absicht, mit den Barbaresken Schluß zu machen. Er

استمرار علاقات السلم والصداقة ، « بين الشعبين » (« entre les deux peuples ») « وبين « الدولتين القويتين » («entre les deux puissances »)«وبين الأمتين »(« entre les deux nations ») !
أين يكمن السبب ، أو : **السبب الحقيقي** ، للعدوان إذن ، سنة 1830 م ؟

السبب الحقيقي هو ما شرحناه مطولا في هذه الدراسة من تخطيط قديم لغزو الجزائر ، خاصة ، منذ لويس التاسع ، أو لويس « القديس » (St Louis) ، الذي رام احتلال بلدان المغرب سنة 1270 م ... ونضم فقط إلى تلك القائمة الطويلة من المناورات ، والمؤامرات ، والنوايا ، والطوايا العدوانية ، هذين المشروعين ، أو هاتين الخطتين الآتيتين :

إحداهما في عهد لويس الخامس عشر ، وضعها النقيب لوفور (le Capitaine Lefort) سنة 1763 م ، وعنوانها : « مذكرة لتخريب الجزائر (266) (Mémoire pour détruire Alger).

والثانية في عهد نابليون بونابارت ، وضعها القنصل الفرنسي العام جان بون سانت آندري (Jean Bon Saint-André) سنة 1802 م ، وعنوانها :«مشروع حملة ضد الجزائر » (« Projet d'expédition contre la Régence d'Alger ») (267) ، زيادة عن المشروع الآخر في عهده ، المدروس أكثر ، والمعد بتعمق ، وجدية ، وتفصيل أكبر ، وهي خطة بوتان سنة 1808 م ، التي فصلناها في محلها .

(ويلاحظ هنا شيء : وهو أن الجزائر ، بينما كانت تسمى في المعاهدات الجزائرية الفرنسية في العهود الأولى ، منذ عهد

---

(266) Plantet : Les Consuls de France à Alger avant la conquête (1579-1830), p. 31.
(267) Plantet : Les Consuls de France à Alger avant la conquête (1579-1830), p. 31.

لويس الرابع عشر حتى آخر عهد حكومة الثورة للجمهورية الفرنسية ، بـ « جمهورية الجزائر » في الرسائل ، وبـ « مملكة الجزائر » في المعاهدات ، أصبحت منذ نابليون تسمى « la Régence d'Alger » ، التي لا اجد لها ترجمة دقيقة، ثم إني لا أريد أن اجدها لها ، لأنها لا معنى لها إطلاقا) .

فلقد ظل الفرنسيون ، إذن ، يحلمون باحتلال الجزائر وتخريبها منذ لويس التاسع ، أو « القديس »،في الربع الأخير من القرن الثالث عشر م. وآخر محاولة جربوها ، قبل 1827 م ، هي سعيهم لتجنيد أوروبا بكاملها في مؤتمر آخن (إيكس لاشابيل) في نوفمبر 1818 م ، (انظر نص بروتوكول هذا المؤتمر بتاريخ 20 نوفمبر 1818 م ، المرفق بهذه الدراسة (268)، « ضد الغارات البربروسية » (أي من الجزائر ، وتونس وليبيا)، « **وخاصة ضد الجزائريين** » ، إذ اقترح الدوق دو ريشوليو ، رئيس وزراء فرنسا ، على المؤتمر ، **باسم فرنسا** ، « **حلفا دفاعيا** » **من جميع الدول** ، وعرض عليه مشروعا جديدا لغزو **بحري موحد** يتكون من أساطيل الأمم الآتية : أنكلترا، وفرنسا، وبروسيا (ألمانيا) ، وروسيا ، والنمسا ، واسبانيا ، والبرتغال، ونابولي ، وطوسكانيا ، وسردينيا ، والدول الرومانية (أي الدول الإيطالية قبل الوحدة) ، والمدن البحرية الألمانية (الشمالية ، قبل الوحدة أيضا) ، وهانوفر (ألمانيا) ، والدانمارك ، والسويد ، والأراضي المنخفضة (هولاندا وبلجيكا) (269)و(270) ؛ أي ست عشرة دولة كبرى وصغرى ... وهكذا ، فعندما يستطيعون التخريب ، يحاولون !

---

(268) انظر الشكل رقم : 165 أ ، و 165 ب .

(269) Plantet ; ibid, t. 1, p. LXXIII (= 73) Introduction et pp. 542-545, t. 2.

(270) انظر الشكل رقم : 166 .

NOTIFICATION DES GRANDES PUISSANCES EUROPÉENNES
A HUSSEIN, DEY D'ALGER [1].

En rade d'Alger, le 5 septembre 1819.

Prince,

Les Puissances de l'Europe qui se sont réunies l'année dernière à Aix-la-Chapelle ont déféré à la France et à la Grande-Bretagne le soin de faire, au nom de toutes, des représentations sérieuses aux Régences barbaresques sur la nécessité de mettre un terme aux déprédations et aux violences exercées par les bâtiments armés de ces Régences [1].

Nous venons au nom de Sa Majesté le Roi de France et de Navarre, de Sa Majesté le Roi du Royaume-Uni de la Grande-Bretagne et d'Irlande, comme leurs Commissaires, vous notifier les dispositions des Puissances de l'Europe.

Ces Puissances sont irrévocablement déterminées à faire cesser un système de piraterie qui n'est pas seulement contraire aux intérêts généraux de tous les États, mais qui encore est destructif de toute espérance de prospérité pour ceux qui le mettent en pratique. Si les Régences persistaient dans un système ennemi de tout commerce paisible, elles provoqueraient inévitablement contre elles une ligue générale des Puissances de l'Europe, et elles doivent considérer, avant qu'il en soit trop tard, que l'effet d'une telle ligue peut mettre en danger leur existence même.

الشكل رقم : (165) أ

1. Le Dey Omar, qui avait déjà échappé à une conspiration des Janissaires, fut étranglé le 8 septembre 1817 et eut pour successeur Ali Khodja qui, pour se mettre plus en sûreté, quitta la Jenina pour transporter sa résidence à la Casbah. Il mourut de la peste le 28 février 1818, et la Milice proclama son Khaznadji, Hussein, qui avait autrefois fait partie du corps des Topjis (canonniers du Sultan) à Constantinople. Quelques jours après son arrivée au pouvoir, le nouveau Dey ratifia nos traités, le 29 mars 1818, et donna à notre Consul un cheval et un éventail, en lui témoignant les meilleures dispositions à notre égard.

1. Le Congrès d'Aix-la-Chapelle, qui s'était réuni le 30 septembre 1818 pour fixer les conditions de l'évacuation de notre territoire, encore occupé par les troupes des alliés de 1815, avait résolu d'exiger des trois Régences barbaresques l'abolition absolue de la course. Les représentants de l'Angleterre, de l'Autriche, de la Prusse et de la Russie avaient signé avec le duc de Richelieu, notre Plénipotentiaire, le protocole du 20 novembre, qui invitait notre Gouvernement et celui de la Grande-Bretagne, « dont l'autorité avait le plus de poids auprès de ces Régences », à notifier à ces Puissances la décision relative « à leur système hostile au commerce pacifique ». Les amiraux Freemantle et Jurien furent donc chargés de signifier à Hussein les volontés du Congrès, et reçurent l'ordre d'insister pour faire cesser l'usage qu'avaient les corsaires algériens d'envoyer des détachements de leurs équipages, pour vérifier leurs passeports, à bord des bâtiments européens. Les vaisseaux anglais et français *Le Colosse*, *Le Rochefort* et *La Galathée*, accompagnés d'un brick, de deux frégates et de deux goélettes, se réunirent à Mahon le 28 juillet 1819 et arrivèrent à Alger le 4 septembre suivant. Le Dey donna deux audiences aux Envoyés de France et d'Angleterre; il écouta avec indifférence la lecture du protocole du 20 novembre, et déclara qu'il ne pouvait renoncer à son prétendu droit de visite sur les navires, afin de reconnaître ses amis et ses ennemis; il expliqua que ses sujets n'avaient point de commerce qui pût les indemniser des bénéfices de la course, et fit entendre qu'il continuerait à faire la guerre aux pavillons des nations qui refuseraient de traiter avec lui. Il refusa de donner aux deux négociateurs la réponse écrite qu'ils avaient l'ordre d'exiger, et ceux-ci furent contraints de remettre à la voile sans avoir pu obtenir la plus légère satisfaction. Voy. *Protocole de la séance du Congrès d'Aix-la-Chapelle*, le 20 novembre 1818, — *Instructions pour M. le Contre-Amiral Jurien*, le 8 juillet 1819, — *Rapports de MM. les Commissaires de France et d'Angleterre auprès du Dey d'Alger sur les audiences des 5 et 8 septembre 1819*, — *Lettres de Deval et du Contre-Amiral Jurien au marquis Dessolle* les 10 et 11 septembre 1819.

تابع للشكل رقم : (165) أ

Mais en même temps que nous vous faisons entrevoir les conséquences funestes qu'entraînerait la continuation des pirateries qui excitent les plaintes de l'Europe, nous nous empressons, Prince, de vous assurer que, si les Régences renoncent à un système aussi désastreux, les Puissances sont non seulement disposées à maintenir avec elles des relations de bonne intelligence et d'amitié, mais encore à encourager toute espèce de rapports commerciaux qui pourraient être avantageux aux sujets respectifs. Les Puissances au nom desquelles nous avons l'honneur de nous exprimer sont parfaitement unies sur l'important objet de la mission que nous avons été chargés de remplir près de Votre Altesse, et nous sommes les fidèles interprètes de leurs intentions.

Nous espérons, Prince, qu'éclairé sur vos véritables intérêts, vous n'hésiterez pas à répondre d'une manière satisfaisante aux demandes que nous venons vous présenter. Les Puissances alliées se bornent à vouloir que les Régences barbaresques respectent des droits et des usages consacrés par toutes les nations civilisées, et si les Régences prétendaient pouvoir inquiéter à leur gré le commerce des autres nations, elles attireraient inévitablement sur elles les armes de toute l'Europe.

Veuillez donc bien, Prince, nous donner les assurances que Leurs Majestés les Rois de France et de la Grande-Bretagne attendent de vous et sont impatientes de transmettre à leurs alliées, sur un objet qu'elles ont si profondément à cœur. Mais, dans une circonstance aussi grave, des promesses verbales ne suffiraient pas. Il s'agit d'un pacte solennel de la plus haute importance pour la sécurité des navigateurs et du commerce

الشكل رقم : (165) ب

de tous les Etats, et puisque nous vous déclarons par écrit les intentions des Puissances alliées, nous sommes fondés à croire que vous répondrez de la même manière à une telle démarche.

Nous nous empresserons de faire parvenir à nos Gouvernements l'engagement positif que vous nous remettrez, car nous vous le répétons, Prince, nous n'admettons pas que vous puissiez repousser des propositions qui tendent à vous faire recueillir promptement tous les avantages des rapports commerciaux garantis par le respect pour le droit des gens.

Nous sommes avec respect,

Prince,

De Votre Altesse,

Les très humbles et très obéissants serviteurs.

FREEMANTLE,

Vice-Amiral de l'escadre bleue de la flotte, Chevalier grand-croix du Bain, des Guelfes, de Saint-Ferdinand et du Mérite, de Saint-Michel et de Saint-Georges, Chevalier commandeur de Marie-Thérèse, Commandant en chef les forces navales de Sa Majesté le Roi du Royaume-Uni de la Grande-Bretagne et de l'Irlande et Commissaire de Sa Majesté près les États barbaresques.

JURIEN,

Contre-Amiral Commandant en chef les forces navales de la Méditerranée, Chevalier de l'ordre royal et militaire de Saint-Louis, officier de l'ordre royal de la Légion d'honneur et Commissaire de Sa Majesté le Roi de France près les Régences barbaresques.

A bord du vaisseau *Le Colosse*, le 5 septembre 1819.

تابع للشكل رقم : (165) ب

qu'il blessât la dignité de la France, à qui sa situation ne permettait pas alors de prétendre au premier rang dans l'association. Il éluda, en conséquence, les propositions de Lord Castlereagh, et demanda qu'on intervînt directement auprès de la Porte, pour faire rentrer ses vassales dans les limites du droit des gens.

Les Conférences, suspendues pendant plus d'une année, furent reprises au mois de janvier 1818. L'Angleterre déclara son intention de séparer les deux questions pour s'attacher exclusivement à celle des Barbaresques; la Russie demanda également cette séparation, et fit remettre un mémoire où l'on insistait sur la nécessité d'une expédition navale des Puissances coalisées. Elle demanda qu'on s'assurât au préalable de l'impuissance où se trouvait la Porte de faire prévaloir ses droits de suzeraineté. L'Autriche et la Prusse se rangèrent à cet avis, mais le Cabinet de Londres fit entendre qu'il verrait avec plaisir adopter son projet de ligue.

Quelques mois après, la discussion fut reprise au Congrès d'Aix-la-Chapelle. On reparla du plan élaboré aux Conférences de Londres [1], et l'on invoqua l'opinion du baron de Humboldt, qui, dans la Diète de Francfort, en décembre 1817, avait réclamé un engagement général de l'Europe contre les agressions des Barbaresques et en particulier des Algériens. Le duc de Richelieu proposa, au nom de la France, une *alliance défensive* de toutes les Puissances, et soumit à l'assemblée une nouvelle combinaison d'armée navale formée des contingents des nations intéressées. Les États qui devaient y prendre part étaient l'Angleterre, la France, la Prusse, la Russie, l'Autriche, l'Espagne, le Portugal, Naples, la Toscane, la Sardaigne, les États romains, les villes hanséatiques, le Hanovre, le Danemark, la Suède et les Pays-Bas. Metternich, Ministre d'Autriche, vit des inconvénients à toute expédition ayant un caractère militaire: Le comte Capo d'Istria, au nom de l'Empereur Alexandre, déclara que faire perpétuellement la police dans la Méditerranée n'était pas un résultat proportionné aux désirs du Congrès, et qu'il fallait arriver à mettre les Régences hors d'état de nuire, au premier acte attentatoire aux droits des nations chrétiennes.

1. Voy. *Projet de ligue contre les Barbaresques* (*Archives des Affaires étrangères, Alger*). — Voy. aussi *Recherches pour servir à l'histoire et à l'extirpation des pirates barbaresques*, par Azuni (Gênes, 1816).

ولكنهم عند العجز عن « التخريب » ، و « إبادة الجزائريين »
« devant l'impossibilité d'anéantir les Algériens »(271) - (272) يتفاوضون
مع الجزائر ، ويسعون لديها لعقد معاهدات معها ، ويبعثون إليها
بمبعوثيهم الخاصين على المستوى الأعـــلى ، ويتحببون إليها ،
ويطلبون منها المعونات ، والقروض ، ويوجهون إليها نداءات
« للإسعاف»(، و « للإنقاذ من التفتت والخراب » على أيـــدى
الإسبان، والأنكليز، والهولانديين . ولكن فرنسا كانت إذ ذاك،
فى حاجتها إلى المعونة ، : إلى التأييـــد الدبلوماسى ، والإسعاف
المادى والمالى ، والإنجاد العسكرى ، تتوسل ، وتتمسكن ، أو ،
كما عبر عن موقفها ذاك قنصلها العام القائم بأعمالها في الجزائر،
جان بون سانت أندرى Jean-Bon Saint-André ، عندما سلم خلفه
مولتيدو Moltedo المهام يوم 06 مايو 1798 :

« عند وصولى إلى هنا لاستلام مهامى يـــوم 03 يوليو 1796 م
وجدت فرنسا جاثمة هنا على ركبتيها » (273) .
(« J'avais trouvé la France ici à genoux »).

كما نجد نابليون بونابارت نفسه يقول فى رسالة منـــه إلى
الداى مصطفى باشا سنة 1803 :

« إذا كنتم تريدون أن تعيشوا معى فى وئام فلا تعاملونى
هكذا كما لو كنت دولة ضعيفة » :
(« Il ne faut pas que vous me traitiez comme une puissance faible »). (274)

كل هذا عند العجز عن تحقيق النوايا القديمة ، بدون أن
ينسوها . وعندما سنحت لهم أول فرصة جدية ، تأكدوا فيهـــا
من ضعف الأسطول الجزائرى (بعد نافاران يـــوم 20 أكتوبـــر

(271) Plantet : Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France (1579-1830). Introduction, p. 46 (XLVI), t. 1.

(272) انظر الشكل رقم : 167 .

(273) De Grammont : ibid, p. 354.

(274) Galibert : ibid, p. 242.

sailles, et de quarante employés ou marins français[1]. Ce n'est pas chose facile que d'obtenir de ces brigands la signature d'un nouveau traité. Il faut régler d'avance le voyage de l'ambassadeur Mehemet Elemin à Versailles[2], et les excuses « humbles et soumises » qu'il doit offrir à Louis XIV[3], débattre des clauses contestées avec la plus insigne mauvaise foi, échanger et rapatrier sept à huit cents esclaves français, discuter la valeur de chacun des captifs, distribuer à propos des cadeaux sans lesquels aucune convention ne peut aboutir. Notre négociateur Dusault et Marcel, Commissaire de la marine, seront constamment « traversés par les Anglais », et ne rempliront leur tâche qu'en dépensant 100 000 livres. C'est encore Dusault qui rétablira « la bonne correspondance » en 1696, lorsque nos affaires paraîtront se gâter par suite de la parcimonie forcée de nos Consuls; enfin c'est lui qui, en 1720, ira de nouveau à Alger, escorté par un détachement de vingt-huit soldats et deux sergents, « pou remplir sa mission avec décoration », restituera les esclav. turcs employés sur nos galères, ramènera nos nationaux, rach· tera les bonnes grâces des fonctionnaires de la Jenina et apai sera la Milice.

En succédant à Seignelay au Département de la marine, Pont chartrain avait compris ce que Dusault s'était vainement efforc· de démontrer, à savoir l'inutilité de nos mesures coercitiv· et de nos démonstrations belliqueuses à l'égard de la Régenc· Il avait reconnu que les ruptures avec la Barbarie étaient pl· dangereuses pour le commerce que la piraterie telle que la pr· tiquaient les reïs, et que nos bombardements n'avaient pa· abouti à extirper le mal dans sa racine. Devant l'impossibilit· d'anéantir les Algériens, il devenait de toute nécessité de vi· le moins mal possible avec eux; ce fut à quoi la Cour décida, de guerre lasse, jusqu'en 1792. On dut, il faut le di· cette trêve de cent années à l'habileté et surtout à la patienc· de nos Consuls. La politique de la résignation n'était-elle pa· plus difficile à suivre que celle de la résistance? Céder presqu chaque jour à de tyranniques exigences, maintenir, en dép des profusions de l'Angleterre, le prestige du pavillon roya

1. Voy. t. I, p. [illegible]
2. Voy. t. I, p. [illegible].
3. Voy. t. I, p. [illegible].

1827 م ، كما ذكرنا) ، قلبوا للجزائر ظهر المجن ، وانقضوا عليها بقضهم وقضيضهم ، كما يقول القدماء ، مستخرجين من خزائن الوثائق والأرشيفات الخطط التى لم تنس ، ومحققين المشاريع القديمة المتوارثة عبر القرون والأجيال ... ويستشهدون بتحريضات من الفيلسوف الألماني ليبنتز Leibnitz ، وفولتير ، وبتنبؤات القسيس ــ الأسقف ــ الكاتب بوسوى Bossuet ، التى تفيض حقدا وتهديدا ، إذ خاطب الجزائر العاصمة بقوله :

« ستسقطين تحت أقدام غالبك ! تقولين ، يا جزائر ، الغنية بغنائمك من النصرانية ، : « إنى اسود البحار ، والأمم هى فريستى » ! وخفة سفنك كانت تملؤك ثقة بنفسك . ولكنك ستهاجمين في عقر دارك ، مثل نسر يصطاد فى عشه ، من بين الصخور المستعصية ...

« إنك مثل صيدا (عاصمة الفينيقيين فى لبنان) . ومع ذلك فقد سكتت هى فى أعماق البحار ! » (275) و (276) و (277) .

وفى دول تقدر قيمة الوثائق ، وتحتفظ بها ، وتستثمرها فى الوقت المناسب ، لا تضيع وريقة !

يقول سيميونوف (278) :

« فلقد كان نابليون يعرف أن لويس السادس عشر نفسه كان يفكر ، مثل لويس الرابع عشر قبله ، ومثل سابقيهما فى فرنسا منذ القرن الرابع عشر الميلادى (بل منذ لويس التاسع ،

---

(275) Plantet : les Consuls, p. LXXV : Introduction.

(276) انظر الشكل رقم : 168 .

(277) انظر الشكل رقم : 169 .

(278) Semjonow : ibid, p. 172.

fois, sans être admis à s'en plaindre, et l'opinion publique de toute l'Europe réclama enfin un vengeur contre tant d'attentats supportés au mépris des droits les plus sacrés. Notre représentant auprès d'Hussein avait écrit en 1819 : « Si l'heure des « Turcs algériens a sonné, si la divine Providence daigne per- « mettre la délivrance des peuples de la Méditerranée, livrés « depuis trois siècles à la merci de ces brigands dévastateurs qui « ne rêvent que pillages et massacres, il serait honorable pour « notre pays qu'on lui dût cet immense et éternel bienfait. » Or, en 1830, l'indignation de la France était à son comble. Les outrages infligés à Deval et au comte de la Bretonnière ne furent que la goutte d'eau qui fit déborder le vase. Notre Gouvernement avait essayé, en effet, plus que tous les autres, de civiliser cette race malfaisante; dans l'impossibilité démontrée de la châtier utilement, il la supprima. Quelques jours nous suffirent pour assurer ce triomphe, et pour justifier ces paroles prophétiques de Bossuet : « Tu céderas ou tu tomberas sous ton « vainqueur, Alger, riche des dépouilles de la chrétienté. Tu « disais en ton cœur avare : Je tiens la mer sous mes lois et « les nations sont ma proie. La légèreté de tes vaisseaux te « donnait de la confiance; mais tu te verras attaquée dans tes « murailles comme un oiseau ravissant qu'on irait chercher « parmi ses rochers, et dans son nid où il partage son butin à « ses petits. Nous verrons la fin de tes brigandages. Tu es sem- « blable à Tyr, et pourtant elle s'est tue dans le milieu de la « mer! »

NOTA. — Voy. à la fin du tome II :

1° La liste des Pachas, Aghas et Deys d'Alger ;

2° La liste des Consuls, Vice-Consuls, Commissaires et Envoyés extraordinaires de France dans la Régence ;

3° La liste des Traités et Conventions passés entre la France et la République algérienne ;

4° Le firman d'investiture d'Ibrahim, nommé Dey d'Alger, par le Sultan Mahmoud Ier, en 1746.

E. Plantet : Les Consuls de France à Alger avant la conquête française

الشكل رقم : (158)



12. BOSSUET, PAR RIGAUD

بوسوى

الشكل رقم : (169)

فى الربع الأخير من القـــرن الثالث عشر ، كما رأينا) ، فى احتلال الجزائر .

« فقبل إرسال بونابارت مهندسه العسكرى البحرى بوتـان سنـة 1808 م إلى الجزائر لـوضع خطـة لغزوها ، كـان لويس السادس عشر قد كلف منذ ست وعشرين سنة مضت ، عام 1782م، قنصله العام فى الجزائر ، دوكيرسى De Kercy ، بوضع خطة . ولكن المشروع لم يتحقق إلا بعد اثنتين وعشرين سنة أخـرى بعد نابليون ، أى سنة 1830 م .

« وهكذا بلّغت الثورة الفرنسية هذه الوصية من فرنسـا القديمة (الملكية القديمة) إلى الملكية العائدة (la Restauration).

« وذلك أن أنظمة الحكم تذهب ، ولكن الأهداف الوطنيـة تبقى » (279) .

وذلك ... أن ميزان القوى قد تغير ، أثناء هذه المدة ! وكما كتب إروين الأمريكى :

« الآن حان وقت تصفية الحساب بين أمريكا والجزائر لصالح أمريكا » سنة 1815 م ، والجزائر فى حالة حرب مع سبع دول ، كما مر ، وهى اسبانيا ، وإيطاليا ، والدانمارك ، وهولاندا ، وبروسيا (ألمانيا) ، وروسيا ، وأمريكا ؛ وكما كتب مواطنـه سبنسر عن خدعة أنكلترا سنة 1816 م للجزائر ، وقال إنه بعد أن كانت أنكلترا « تبتلع الإهانات من الجزائر ، مثلا عندما طرد الداى محمد عثمان قنصلها العام فريزر Fraser سنة 1767 م مـن قاعـة الاستقبال أمـام جميع الدبلوماسيين ، وقال له إنه سيكسر له سيفه على رأسه بيديه إذا ما عاد لتقلده على جنبه ،

---

(279) انظر الشكل رقم : 170 .

(und Preussen auch !)

erweiterte diese Frage sogar zu internationalen Ausmaßen, indem er sich vornahm, auch England, Österreich und Rußland hinzuzuziehen. Natürlich lehnten sich die Engländer gegen dieses Vorhaben auf: es entsprach nicht ihren Gewohnheiten, Frankreich bei der Lösung seiner imperialen Probleme zu helfen. Zar Alexander aber antwortete zustimmend, und wenn er auch nicht beabsichtigte, seine Soldaten nach Algerien zu schicken, so hatte er doch nichts dagegen, wenn Napoleon dies tat. Im Jahre 1807 war der türkische Sultan auf die bevorstehende französische Expedition nach Algerien gefaßt — nur die neuerlichen europäischen Wirren retteten den Dei.

Aber es blieb eine Spur der französischen Vorbereitungen zurück. Der Genie-Offizier Boutin wurde 1808 mit geheimer Weisung nach Algerien abkommandiert. Wie bezeichnend für Napoleon klingt ein Satz aus seiner Instruktion: „Bei der ersten Gelegenheit sofort Notizen machen, um mir nachher nicht aus dem Gedächtnis etwas vorzufabeln." Boutin streifte einen ganzen Monat lang verkleidet um Algier herum und machte nicht nur Notizen, sondern zeichnete auch Kartenskizzen. Auf der Rückreise fiel sein Schiff in die Hände der Engländer. Er hatte gerade noch Zeit, die Skizzen zu vernichten; die Notizen jedoch bewahrte er auf — selbst in der Gefangenschaft auf der Insel Malta. Er entfloh von dort, als Matrose verkleidet, nach Konstantinopel, von wo aus er sich nach Paris durchhalf; seine Notizen brachte er mit. In seinem Bericht erläuterte er klar und deutlich, wie der Dei in kürzester Frist mit dem Mindestmaß an Verlusten aus seiner Hauptstadt vertrieben werden könne. Vor allem — schrieb er — darf man nicht versuchen, sie vom Meere aus anzugreifen. Man muß auf Kap Sidi-Ferruch, westlich von Algier, landen und von da aus von hinten auf die Forts marschieren, die währenddessen, so viel sie wollen, ihre Geschosse ins Meer verpuffen können.

Den gleichen Gedanken hatte schon unter Ludwig XVI., sechsundzwanzig Jahre vor Boutin, der französische Konsul in Algier, Kercy, geäußert. Aber Boutin hatte den Gedanken zu Ende gedacht und in militärisch-technischer Beziehung ausgearbeitet. Nach weiteren zweiundzwanzig Jahren wurde sein Plan aufs genaueste verwirklicht. Die Revolution übergab das Vermächtnis des alten Frankreich der Regierung der Restauration. Staatsformen sterben ab, nationale Aufgaben aber dauern.

الشكل رقم : (170)

(كما هي العادة إذ ذاك في البلدان الأوروبية) وتخلى القنصل العام عن كبريائه ، وامتثل كسائر الدبلوماسيين الآخرين » (« et fit comme tout le monde »)، ومع ذلك فقد طرده الداى محمد عثمان من الجزائر نهائيا في يناير 1783 م ، ورفض طلب أنكلترا تعويضه بآخر ، رغم توسط السلطان العثماني (280) ؛ فضلا عن أحداث أخرى كثيرة كانت أنكلترا تعتبرها إهانات لها من الجزائر » (281) ، أنكلترا هذه التي كانت تخطب ود الجزائر ، إلى حد أن ملكها جورج الثالث عرض على الداى الحاج علي التحالف ضد أمريكا وغيرها ... انتهزت أول فرصة ، بانتهاء وضع الحرب بينها (أنكلترا) وأمريكا، وعودة السلم إلى أوروبا، وانسحاب نابليون من الساحة الأوروبية ، لتنقلب على الجزائر ، وتتلب لها ظهر المجن، وتخدعها، وتغرس الخنجر في ظهرها سنة 1815 م ، ثم خاصة 1816 م ، برفع العلم الأبيض ثم الضرب المفاجىء عند الوصول إلى جدران العاصمة ... (282) فكذلك فرنسا تماما ، قلبت ظهر المجن ، وكشرت عن أنيابها !

يقول نفس المؤرخ الأمريكي ، سبنسر :

« إن تغير السلوك الفرنسي (نحو الجزائر) ، من الترجي المتواضع إلى التهديد الاستفزازى ، قد أدى إلى إنهاء فترة اتصالات بين دولة « القرصان » وقلب بلاد الحضارة الأوروبية، وهي الاتصالات الطولى (283) ، أى لا مثيل لها في تاريخ مدينة الجزائر .

---

(280) Rapport de Vallière in : Devoulx : ibid, p. 122.
(281) De Grammont : ibid, p. 323-333
(282) Spencer : ibid, p. 158-159.
(283) ولا يقال الاتصالات الأطول ، كما أن صيغة « الدولتين الأعظم » ، التي نحتها محمد حسنين هيكل ، وتبعه ، ولا يزال يتبعه ، في ذلك آخرون ، هنا وهناك ، خطأ . فالصحيح : الدولتين العظميين .

« فقد احتفظت فرنسا بقناصل ونواب ممثلين دبلوماسيين في عاصمة «القرصان» باستمرار مـن سنة 1579 م إلى 1827 ، ووقعت أول معاهدة بين الدولتين الكبيرتين سنة 1619 م» (284) .

ولكن ميزان القوى قد جنح، ومال ، كما قال المؤرخ الأمريكى سبنسر ، بمرور الزمن ، ونظرا لتغير الظروف في أوروبا ، وبين أنكلترا وأمريكا . مال هذا الميزان لغير صالح الجزائر . ولذا رأت كل من أمريكا وأنكلترا ، اللتين تفاهمتا إذ ذاك ، أن « تصفيا حسابهما مع الجزائر » ؛ كما رأت فرنسا أن الفرصة مواتية ، وأن الوقت قد حان لتحقيق الحلم القديم ، خاصة وكان أسطولنا ـ كما قلنا ـ قد تحطم في نافاران ، بعد أن قام بدور مشرف ، يوم 20 أكتوبر 1827 م ، إلى جانب الأسطول العثمانى الذى أبيد ، فبقي وحده أمام أساطيل أنكلترا ، وروسيا ، وفرنسا مجتمعة !

حملة العدوان وسيدى فرج

كنا توقفنا ، في استعراضنا لنيات فرنسا ضد الجزائر وغاراتها عليها ، عند حصارها ميناء الجزائر فى يونيو 1827 م، وإعلانها الحرب عليها يوم 30 مارس 1830 م . فلنختم السلسلة إذن بالغارة الأخيرة ، وهى :

---

(284) كان سبنسر نفسه ذكر أن أول معاهدة بين الجزائر وفرنسا كانت فى آخر القرن الثانى عشر ، بين ملك بجاية وحكومة مرسيليا ؛ كما ذكر دوفور (Dufour) أن معاهدة ثلاثية عقدت بين الجزائر والدولة العثمانية وفرنسا سنة 1534 ، وهى معاهدة شاتيلرو، التى ذكرناها . ونعيد ذكرها فى الأخير .
وبهذا فتكون معاهدة 1619 هذه هى الثالثة بين الجزائر وفرنسا ، وليست الأولى .

15) غارة الجنرال دوبرمون (285) والأميرال دوبرى (286) فى عهد شارل العاشر سنة 1830 م :

تجمع الأسطول الفرنسى فى الميناء البحرى الرئيسى : طولون ، فى غضون مايو 1830 م (287) . أقلع نحو الجزائر فى الخامس والعشرين منه (288) ، تحت القيادة العامة للجنرال دوبرمون ، والقيادة البحرية للأميرال دوبرى ؛ وأرسى بسيدى فرج ، طبقا لخطة الرائد بوتان ، بالضبط (289) ، بدون تغيير فاصلة ولا نقطة ، يوم 14 يونيو 1827 م (290)، وقابلته المقاومة الجزائرية ، تحت قيادة الآغا إبراهيم ، صهر الداى حسين ، ووقعت معارك رهيبة ، خاصة عند سيدى فرج (291)، ثم الأسطى والى (سطاولى) (292) ، ثم لدى برج الكدية (293) . وكان دخول الجيش المعتدى العاصمة يوم 04 يوليو مساء (294) ، والاستيلاء عليها ، بعد مجازر، وفداء، واستشهاد (295) ، وكان ما أسموه باستسلام الداى حسين وتوقيع :

66) اتفاقية تسليم الجزائر العاصمة يوم 05 يوليو 1830 م ، على الرابعة صباحا ، بين الداى حسين وشارل العاشر ، أمضاها

---

(285) انظر الشكل رقم : 171 .
(286) انظر الشكل رقم : 172 .
(287) انظر الشكل رقم : 173 .
(288) انظر الشكل رقم : 174 .

(289) Semjonow : ibid, p. 209.

(290) انظر الشكل رقم : 175 .
(291) انظر الشكل رقم : 176 .
(292) انظر الشكل رقم : 177 .
(293) انظر الشكل رقم : 178 .
(294) انظر الشكل رقم : 179 .
(295) انظر الشكل رقم : 180 أ ، و 180 ب .



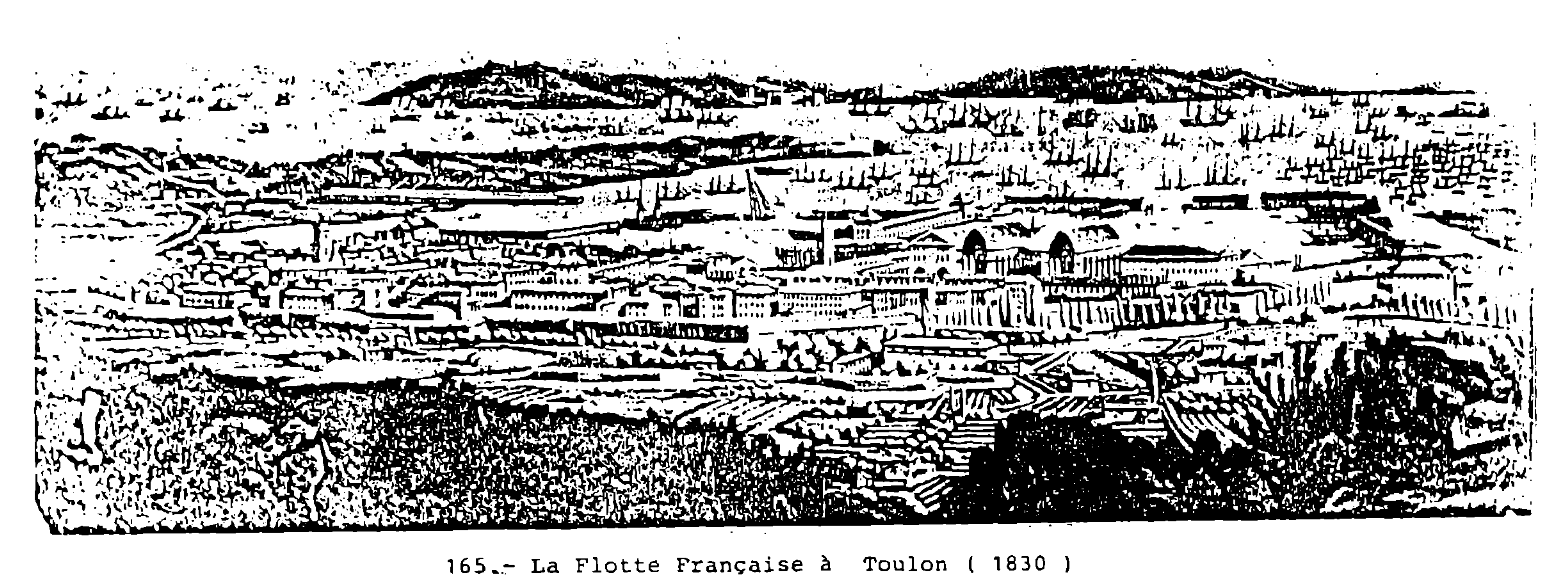
Le général de Bourmont. الجنرال دى بورمــون

الشكل رقم : (171)



L'amiral Duperré. الأميرال دوبـــرى

الشكل رقم : (172)



165.- La Flotte Française à Toulon (1830)

الشكل رقم : (173)



166.- Toulon . Départ **de la** Flotte Française
(25 Mai 1830)

الشكل رقم : (174)



الشكل رقم : (175)

- Combat des Français contre les Algériens

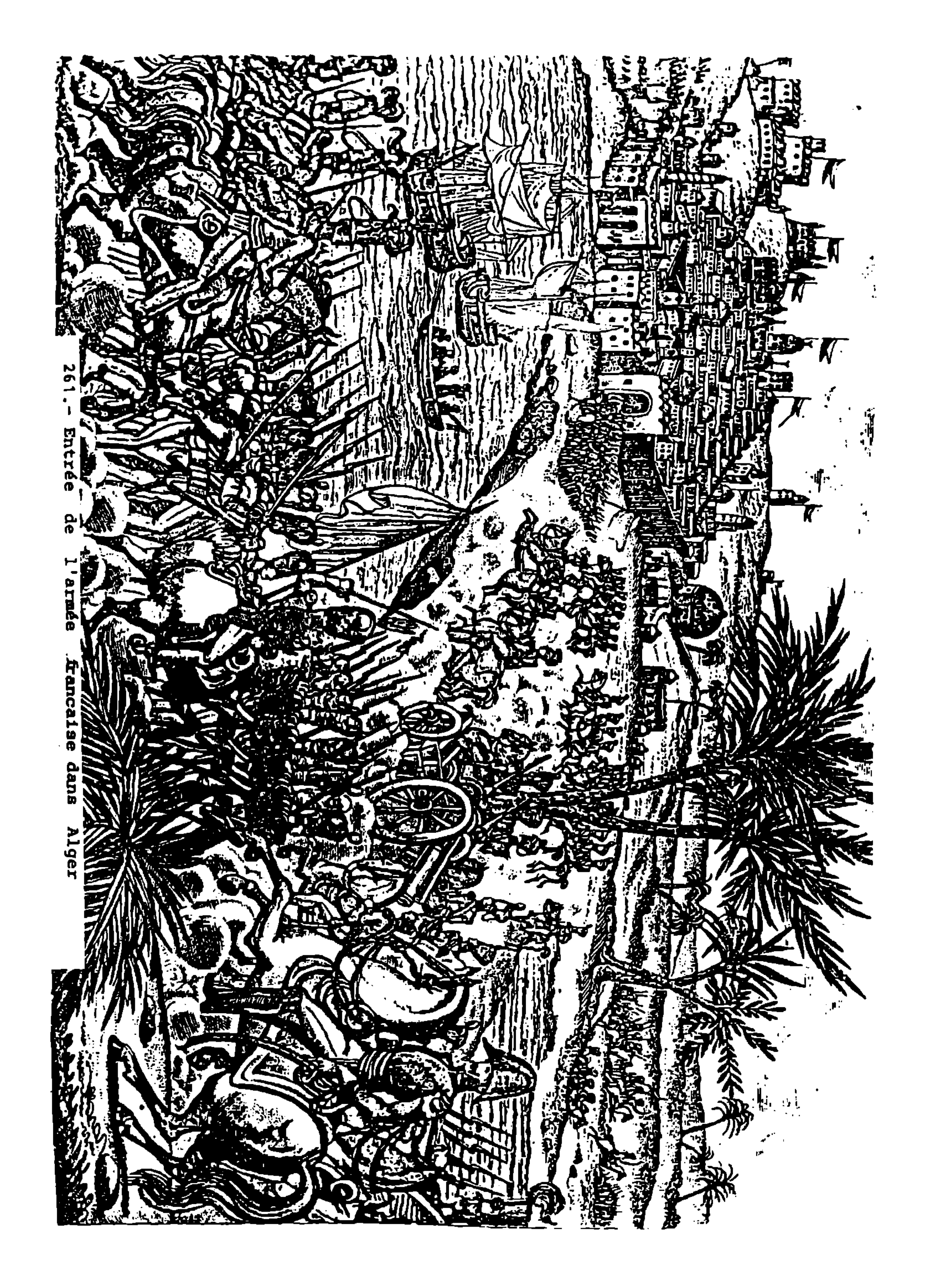
الشكل رقم : (176)



- Episode de la bataille de Staouéli (24 juin 1830)

الشكل رقم : (177)

Attaque du Fort l'Empereur



الشكل رقم : (179)



257.- Prise d'Alger

الشكل رقم : (180) أ

262.- "Reddition de la ville d'Alger ".

الشكل رقم : (180) ب

عنه الجنرال دوبرمون (296)، (297)، (298)، (299). وفى العشرين يوليو أبحر الداى حسين على ظهر باخرة جان دارك إلى منفاه فى ليفورن Livourne (إيطاليا) (300)، ثم سمح له بالانتقال فيما بعد إلى الإسكندرية حيث توفى سنة 1838 م .

وبهذه الاتفاقية تكون الجزائر وفرنسا قد عقدتا ستا وستين اتفاقية ومعاهدة إلى سنة 1830 م ، وسنوزعها على العهود المختلفة فيما بعد .

وندرج هنا مراسلة أخيرة بين دايات الجزائر وملوك فرنسا، وقادة ثورتها وجمهوريتها الأولى ، وأمبراطورها ، ثم ملكيها الأخيرين : وهى رسالة من الداى حسين إلى شارل العاشر ، من منفاه بإيطاليا ... يتساءل فيها « عما إذا كانت الدفلى الفرنسية ستزهر فى التربة الجزائرية » ... فى لهجة من التشكك ، مع مسحة من الهزؤ والسخرية ... ومع بصيص من أمل فى العودة ... (301) و (302) .

ويوم احتلال العاصمة تنافس الضباط الفرنسيون الكبار فى السلب والنهب من خزائن قصر الداى فى القصبة ...

فأما الجانب المالى فقد طرقناه فى فصل الديون المستحقة للجزائر على فرنسا .

وأما الجانب المادى الآخر ، فها هى نبذة عنه :

---

(296) انظر الشكل رقم : 181 .

(297) انظر الشكل السابق ، رقم : 157 مكرر أ .

(298) انظر الشكل رقم : 182 .

(299) a) Plantet : Correspondance, p. 592.
b) Garrot : ibid, p. 701.

(300) انظر الشكل رقم : 183 .

(301) انظر الشكل رقم : 184 أ ، 184 ب .

(302) Plantet : Correspondance, p. 570.

CONVENTION

ENTRE LE COMTE DE BOURMONT, GÉNÉRAL EN CHEF DE L'ARMÉE FRANÇAISE, ET HUSSEIN, DEY D'ALGER [1]

Alger, le 5 juillet 1830

Le fort de la Casbah, tous les autres forts qui dépendent d'Alger et le port de cette ville seront remis aux troupes françaises ce matin à 10 heures (heure française) [2]

Le Général en chef de l'armée française s'engage envers Son Altessé le Dey d'Alger à lui laisser sa liberté et la possession de toutes ses richesses personnelles [3].

Le Dey sera libre de se retirer avec sa famille et ses richesses particulières dans le lieu qu'il fixera, et tant qu'il restera à Alger il y sera, lui et toute sa famille, sous la protection du Général en chef de l'armée française. Une garde garantira la sûreté de sa personne et celle de sa famille [4].

Le Général en chef assure à tous les soldats de la Milice les mêmes avantages et la même protection [5].

L'exercice de la religion mahométane restera libre. La liberté des habitants de toutes les classes, leur religion, leurs propriétés, leur commerce et leur industrie ne recevront aucune atteinte; leurs femmes seront respectées. Le Général en chef en prend l'engagement sur l'honneur.

L'échange de cette convention sera fait avant dix heures ce matin, et les troupes françaises entreront aussitôt après dans la Casbah et successivement dans tous les forts de la ville et de la marine.

Au camp devant Alger, le 5 juillet 1830.

DE BOURMONT [1].

(Sceau du Dey)

1. Cette convention fut dictée par le Commandant en chef au général Desprez, et l'intendant Denniée en remit une copie à l'Envoyé Mustapha. M. Bracewicz, interprète de l'armée, accompagna ce dernier chez le Dey, qui ne fit aucune difficulté pour y apposer son sceau et qui demanda seulement un délai de deux heures pour l'entrée des troupes françaises. Voy. *Moniteur universel*, 1830, p. 229, 750 et 762.

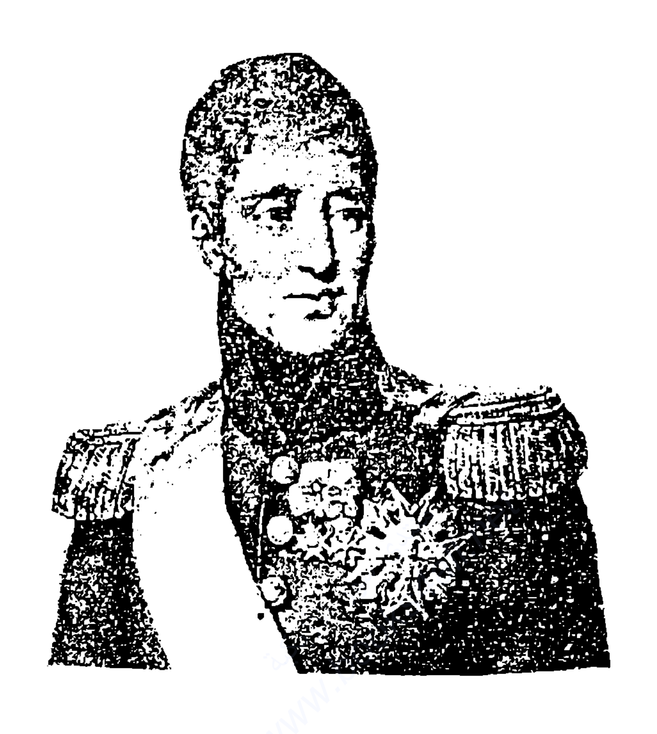
2. Le Trésor de la Casbah s'élevait à 48 684 527 fr.; il fut expédié en France et compensa les frais de notre expédition. Voy. *Note sur le Trésor de la Casbah*. (*Anecdotes historiques et politiques pour servir à l'histoire de la conquête d'Alger*, par Merle, secrétaire particulier du comte de Bourmont. Paris, 1831, p. 290.)

3. Hussein réclama 30 000 sequins (270 000 fr.) comme étant sa pleine propriété, disant qu'il les avait laissés à la Casbah. De Bourmont ordonna aussitôt qu'on les lui remît, et l'autorisa à enlever, le 7 juillet et les deux jours suivants, les armes, meubles, étoffes et tapisseries qu'il désirait conserver.

4. Hussein s'embarqua le 20 juillet sur la frégate *La Jeanne d'Arc* avec sa famille, son harem et sa suite, soit au total 110 personnes dont 55 femmes. Il avait demandé de se réfugier à Malte, mais le Commandant en chef ne lui avait pas permis de chercher un asile chez des ennemis. Il avait alors déclaré qu'il se retirerait à Naples, et il y débarqua en effet le 31 juillet. Il y séjourna quelque temps et vint ensuite se fixer, le 25 octobre, à Livourne. Voy. *Moniteur universel*, 1830, p. 803, 833, 840, 903, 950 et 1421.

5. 2 500 Janissaires, après avoir été entièrement désarmés, furent embarqués

الشكل رقم : (181)



شارل العاشــر ملك فرنســا

الشكل رقم : (182)



الداي حسين باشا يغادر مدينة الجزائر

- عن كتاب بربروجير -

الشكل رقم : (183)

HUSSEIN, ANCIEN DEY D'ALGER,
A LOUIS-PHILIPPE.

Naples, le 25 septembre 1830.

Sire,

Ce n'est pas pour me plaindre de ma situation malheureuse que j'ose m'adresser à Votre Majesté. Je ne connais que trop les vicissitudes de la fortune, et je croirais mériter toutes les injustices si je n'avais pas la force de soutenir ses rigueurs.

Mais parmi les infortunes dont je suis accablé, il y en a auxquelles je puis avouer être fort sensible sans témoigner de la faiblesse, et que Votre Excellence ne pourrait refuser de connaître sans blesser la noblesse de son caractère.

Toute l'Europe a retenti des violences dont j'ai été accusé envers le Consul de France, M. Deval[2]. Une guerre affreuse, la

désolation de mon pays, ma défaite et mon exil en ont été la conséquence.

Je pardonne volontiers à la fortune la perte de mon pouvoir, de mes richesses et de mon indépendance, mais je ne saurais me soumettre à l'opinion injurieuse que mes emportements aient attiré tant de malheurs sur ma patrie et sur moi.

Si je voyais sur le trône de France ce même Roi qui a employé toute sa force pour renverser le mien, j'étoufferais mes chagrins au fond de mon cœur. Je ne croirais pas que ma justification pût se faire jour à travers les préventions de ses Ministres. Mais il a voulu que je fusse l'avant-coureur de sa chute, et maintenant je puis plaider la cause de mon innocence sans irriter les auteurs de mon infortune.

le même jour que leur ancien Chef, et transportés à Smyrne sur quatre vaisseaux de ligne. Au moment de leur départ, chacun d'eux reçut une gratification de 5 piastres, équivalant à deux mois de leur solde.

1. Le double de cette Convention fut remis par Hussein, au moment de son départ d'Alger, entre les mains du Consul d'Angleterre.

2. Voy. la note 2, p. 563.

Votre Majesté trouvera dans le mémoire ci-joint le récit fidèle des intrigues qui ont allumé la discorde contre moi et Charles X [1], et qui enfin ont amené cette guerre calamiteuse dont j'ai été la victime. Votre justice sera bien surprise de voir que des marauds algériens [2], qui avaient été mis d'accord par un avocat de Paris [3] et qui jouissaient de la confiance de M. Deval, Consul de France, et de ses protecteurs [4], aient été à portée de soustraire malgré moi à quelques-uns de mes sujets une propriété de plusieurs millions [5]. Je n'ai pas pu me résoudre à dissimuler un tort aussi grave; ma sensibilité à cet outrage a été regardée par la Cour de France comme un crime impardonnable, et elle a fait tomber sur moi et sur mon pays la peine du vol que j'avais souffert et qu'elle devait réparer [6]. Je ne sais pas si les choses sont

maintenant en état de retourner en arrière. Votre Majesté verra mieux que moi si les lauriers des Français peuvent s'enraciner en Afrique, et si cette plante stérile arrosée par des mains étrangères peut produire le fruit de la civilisation.

Mais si la nature du sol, la force du climat et la fermeté inébranlable des habitudes résistent pour toujours à la réalisation de cette espérance, elle voudra bien examiner une question assez digne de sa haute politique. Doit-on permettre que l'ambition expose à des risques la gloire des Français? Ne sera-t-il pas mieux que la générosité la conserve, et que l'humanité en profite pour établir par des moyens naturels les institutions les plus utiles dont l'Afrique soit susceptible?

En attendant ce sera assez pour moi si, d'après l'histoire de l'origine de la guerre, Votre Majesté veut bien m'honorer de son estime, et si elle tire quelque avantage de mes infortunes pour se tenir en garde contre les hommes qui m'ont trahi, et qui sont toujours dans la funeste attitude de tromper et de nuire.

Je suis. Sire, avec une pleine confiance dans la haute justice de Votre Majesté,

الشكل رقم : (184) ب

(Sceau)

HUSSEIN PACHA.

1. Le mémoire qui accompagne l'original de cette lettre est relatif aux Juifs Bacri, à la transaction concernant les dettes de la France à leur égard, et au séquestre des sommes réservées à leurs créanciers. Voy. les notes 1 et 4, p. 555 et 559.

2. Les Juifs Bacri et Busnach.

3. Nicolas Pléville.

4. Pas plus que ses prédécesseurs à Alger Deval n'eut confiance en ces Juifs, qui furent toujours signalés à la Cour comme des intrigants dangereux, et qui ne trouvèrent d'appui qu'auprès du prince de Talleyrand.

5. Allusion aux 2 500 000 francs remis à la Caisse des Dépôts pour le compte des créanciers des Juifs.

6. Ces récriminations étaient de mauvaise foi, car le Dey savait fort bien que la transaction de 1819 n'était que le résultat des stipulations du traité du 17 décembre 1801 (article XIII), et il en avait formellement approuvé les articles, notamment le IV°, ainsi conçu : « Il est bien entendu que sur la somme à délivrer « au sieur Nicolas Pléville en sa qualité de fondé de pouvoirs des sieurs Jacob « Cohen Bacri et Busnach, le Trésor royal retiendra le montant des oppositions « et transports des créances signifiées au Trésor à la charge de ses deux commet- « tants, jusqu'à ce que le dit sieur Pléville ait obtenu à l'amiable ou devant les « tribunaux français la mainlevée des dites oppositions ou le règlement des droits « des cessionnaires, de même qu'il est entendu que la partie de la somme non « grevée d'oppositions ou de significations de transports lui sera immédiatement « délivrée. »

تابع للشكل رقم : (184) ب

وقبل أن يورد غالبير الغنائم المالية والمادية التى أخذوهـا يوم 5 يوليو 1830 م ، من قصر الداى ومخازن الدولة فى القصبة والبحرية ، بدأ بالجانب « الروحى » ، أو الصليبى ، طبقا لحلم لويس التاسع (St Louis) ، ولما كتبه حفيده شارل العاشر فى رسائله إلى جميع الدول الأوروبية ــ ونكرر إيراد هذه الفقرة ــ فى 12 مارس 1830 م ، إذ قال :

« غــزو الجزائر فى صالح النصرانية كلها ! »

« إن غزو الجزائر فى صالح النصرانية (أو « المسيحية ») كلها » (303) . فقال هو ، غالبير ، بدوره :

« إن احتلال فرنسا عاصمة الجزائر يضمن انتصار كل من الحضارة والمسيحية فى الوقــت نفســه فى أرض افــريقيا » :
« La prise d'Alger par les Français assurait à la fois sur la terre d'Afrique le triomphe de la civilisation et du christianisme » (304)

ثم أورد غالبير ، زيادة عن الغنائم المالية البحتة ، المختلف فى قيمتها الإجمالية ، حسب الروايات ، من الثلاثمائة مليون إلى خمسين مليون فرنك ، هذه الكميات من مختلف المواد ، فقدرها، وقــال :

« وصودرت فى مخازن القصبة والبحرية أصناف من مــواد وعتاد نذكر منها :

« قيمة الأصواف والمواد المختلفة : (ثلاثة ملايين) 3.000.000 من الفرنكات ؛ قيمة المدافع البرونزية : (أربعــة ملايــين) 4.000.000 من الفرنكات » (305) .

(303) De Grammont : ibid, p. 397.
(304) Galibert : ibid, p. 318.

(305)انظر الشكل رقم : 185 .

Ainsi, par un hasard heureux, la conquête d'Alger, loin de grever la France couvrit ses propres dépenses et fit rentrer plusieurs millions dans les caisses publiques; car, outre le trésor, la Kasbah contenait encore des quantités considérables de laine, de peaux, de cuirs, de cire, de plomb et de cuivre; dans les magasins de la marine on trouva aussi du blé, du sel, de la toile, des cordes, des ferrures et du chanvre en abondance. En résumé, voici l'état des recettes et des dépenses de l'expédition jusqu'à l'époque du retour des forces navales à Toulon :

Le trésorier de la Kasbah, à Alger, consigna à la commission française des finances, en juillet 1830.	48,684,527 fr.
Valeur des laines et denrées diverses.	3,000,000
Idem, des pièces d'artillerie de bronze.	4,000,000
Total.	55,684,527 fr.

الشكل رقم : (185)

ثم يلخص غالبير الفرق بين المصروف على « الحملة » والمدخول منها ، فيقول :

« وعوض أن يكبد غزو الجزائر فرنسا خسارة ، فقد غطى تكاليفه ، وأدخل فائضا إلى خزينة الدولة قدر بعدة ملايين .

« وذلك أنه ، زيادة عما صودر من مال فى خزينة القصبة (قصر الداى ومخازن الدولة الجزائرية) ، فقد أخذنا منها أيضا كميات هائلة من أصواف ، وجلود ، وشمع ، ورصاص ، ونحاس ؛ ومن مخازن البحرية كميات أخرى من قمح ، وملح ، وقماش مقوى (toile)، وحبال، وقضبان حديدية، وغيرها»(306)

ثم يرجع إلى الغنائم المالية :

« ومن المال فقط غطينا تكاليف الحملة ، وبقى لنا فائض قدر بسبعة ملايين ومائة وأربعة وثمانين ألف وخمسمائة وسبعة وعشرين فرنك (7.184.527 فرنك) » (307) و (308) .

وهذا بعد أن ذكر قبل ذلك بضعة أرقام ـ ليست كاملة ـ عن المدافع البرونزية التى أخذوها بنفس « المناسبة » ، فقال :

«وكانت ، من جملة الغنائم التى أخذناها ، مدافع برونزية كثيرة كان شارلكان يوم 25 فبراير 1525 م قد غنمها عن فرانسوة الأول فى بافيا (Pavia ، حيث غلبه وأخذه أسيرا) ؛ وغنمها الجزائريون بدورهم عن شارلكان فى أكتوبر 1541 م ؛ وكان الداى حسين خصوصا يريها القناصل والمبعوثين الخاصين للدول الأوروبية كشهادة مجد للدولة الجزائرية .

---

(306) Galibert : ibid, p. 330.
(307) Galibert : ibid, p. 331.

(308)انظر الشكل رقم : 186 .

Les dépenses de tout genre pour l'expédition, celles de la marine et de la guerre réunies, se sont élevées à. . . . . 48,500,000 fr.

Excédant des recettes. . . . . . 7,184,527 fr.

Nous nous sommes livrés à cette espèce de digression que nous avons jugée indispensable; maintenant nous allons reprendre le fil de notre histoire.

L'ex-dey d'Alger, qui pendant quelques jours avait cru que M. de Bourmont viendrait lui faire une visite, attendait paisiblement dans une maison particulière cette marque de déférence. On lui fit comprendre que le général en chef ne lui accorderait jamais une telle satisfaction, et qu'il était d'ailleurs de son intérêt de provoquer une entrevue, car il avait encore beaucoup d'objets précieux à réclamer. Ces motifs décidèrent Hussein à comprimer son orgueil et à demander une audience; M. de Bourmont mit la meilleure grâce du monde à la lui accorder.

Le jour désigné, plusieurs aides de camp du général en chef, le consul et le vice-consul de France, allèrent prendre le dey et l'accompagnèrent à pied jusqu'à la Kasbah, où il se rendit monté sur un très-beau cheval arabe richement caparaçonné; cinquante Turcs, Maures ou Nègres, formaient son escorte. Hussein paraissait supporter son malheur avec résignation. Quoique âgé de soixante-trois ans, il était encore plein de vigueur; son costume était d'une extrême simplicité: il ne portait de broderies ni sur son manteau ni sur ses autres vêtements; un burnous blanc était négligemment jeté sur ses épaules, et un turban en cachemire cramoisi couvrait sa tête. Partout sur son passage on lui rendit les honneurs militaires: en entrant dans la Kasbah, la garde lui présenta les armes et les tambours battirent aux champs.

Le général en chef le reçut dans la grande cour; après l'avoir embrassé affectueusement, il l'invita à déjeuner, et le fit asseoir le premier à table. Hussein mangea peu et ne but point de vin, malgré l'invitation réitérée que lui en fit le général. Au commencement du repas, il n'avait pu se défendre d'une certaine émotion; on lui en demanda la cause: « Que voulez-vous, « répondit-il en souriant, je suis peu habitué à de telles réunions, je me remet-« trai bientôt.... » En effet, il fut pendant tout le reste du déjeuner d'une sérénité parfaite. On lui parla de son prochain départ sans qu'il témoignât la moindre surprise; sa réponse était toute prête: il désigna l'île de Malte pour le lieu où il désirait se retirer; mais une lettre du président du conseil avait prévenu M. de Bourmont que les relations de la France avec le cabinet britannique étant devenues moins amicales, on ne pouvait consentir à ce que le dey choisit, comme lieu de retraite, une contrée soumise à la domination anglaise. Lorsqu'on lui eut fait sentir qu'il fallait renoncer à son projet, il n'insista point, et désigna Livourne. M. de Bourmont lui donna l'assurance qu'il y serait transporté immédiatement.

الشكل رقم : (186)

« وكان أحد تلك المدافع مصنوعا في فرنسا في عهد لويس الثاني عشر ، وسبعة منها في عهد فرانسوة الأول ، وواحد في عهد ابنه هانري الثاني،وواحد في عهد لويس الثالث عشر»(309).

ونحن نضيف إلى هذه الأرقام أرقاما أخرى لمدافع أخذوها بنفس « المناسبة » أيضا ، وهي ألفا (2000) مدفع ، منها سبعمائة مدفع برونزية كنا غنمناها عن فشل معركة الدوق دوبوفور في جيجل في عهد لويس الرابع عشر ، يوم 23 يوليو 1664 م ، (ذكرها غالبير نفسه ، أو غارو ، أو Aperçu ، لا أذكر بالضبط ، مع الأسف) ، وثلاثة صنعت في عهد الأمير عبد القادر سنة 1833 م ، في تلمسان (310) ، (وكانت معروضة بالانفاليد في باريس ، ثم سحبت منه إلى المتحف الحربي في فنسان ، في باريس) .

ويقول غالبير ، بعد ذكر هذه الأرقام :

« سمحنا لنفسنا بهذا الاستطراد الذي بدا لنا ضروريا . ولنعد الآن إلى خيط السير » .

ولا نجد ، نحن ، أليق من هذه الصيغة ، ولهذا نستعيرها منه، ونستعملها بدورنا ، فنقول :

لنقف عند هذا العام ، سنة 1830 م ، الذي يضعه لنا عنوان هذه الدراسة ، ويحدده لنا إطارها ، لنعود إلى تلخيص لب الموضوع ، فنقول :

---

(309) Galibert ibid. p. 321.

(310) محمد بن الأمير عبد القادر : تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ؛ وأمين سعيد : تاريخ الاستعمارين (الاستدمارين) الفرنسوي والإيطالي في بلاد العرب .

خلاصة العلاقات بين الجزائر وفرنسا قبل 1830 م :

وإذا ما أردنا الآن أن نلخص في أسطر علاقاتنا بفرنسا قبل 1830 م ، قلنـــا :

إن العلاقات الرسمية بين الجزائر وفرنسا ترجع إلى أواخر القرن الثاني عشر ، بمعاهدة بجايـــة ، حسبما ذكــــر المؤرخ الأمريكي سبنسر ؛ ثم معاهدة خير الديـــن وسليمان القانوني وفرانسوة الأول ، سنة 1534 م ، حسبما ذكـــــر دوفور ، ولـــم تنتظر أواخر القرن السادس عشر ، خلافا لما كتبه بلانطي في أول سطر من مقدمة كتابه « المراسلات بين دايـــات الجزائــــر وملوك فرنسا » إذ يقول :

« تعود نشأة العلاقات **الرسمية** بين الجزائر وفرنسا إلى أواخر **القرن السادس** عشر ؛ وتواصلت تقريبا بـــدون انقطاع حتى يوليو 1830 » . (311) و (312)

ولا نـــود أن نكرر مـــرة أخرى أهمية النجدات العسكرية « لإنقاذها من التفتت ، والتمزق ، والخراب » ؛ ولا قيمة التأييد الدبلوماسي للثـــورة الفـــرنسية بالاعتراف الأول بجمهـــوريتها الأولى ؛ ولا حجـــم ولا نوعية الإنجاد لتلك الثورة وجمهوريتها بالقروض الاستيرادية ، والعينيـــة ، والهبـــات ، والمساعدات العسكرية بالتدخل المبـــاشر أحيانـــا ، وبالخيـــول ، والوسائل الاستراتيجية الأخـــرى ، والمـــواد الغـــذائية ، والاستهلاكيـــة العديدة ...

(311) Plantet : Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France, t. 1, p. 1.

(312) انظر الشكل رقم : 187 .

AVANT-PROPOS

Les relations officielles de la Régence d'Alger avec la France datent de la fin du XVI[e] siècle; elles se sont continuées presque sans interruption jusqu'en juillet 1830. Pendant cette longue période de deux siècles et demi, les Pachas et les Deys ont échangé avec la Cour de nombreuses lettres que les historiens n'ont pu consulter encore, car elles n'ont jamais fait partie d'une collection spéciale dans les Archives de l'État. Lorsque les Princes barbaresques écrivaient à l'« Empereur de France » ou à son « Grand Vizir », leurs correspondances parvenaient à la Cour, par l'entremise de nos Consuls, soigneusement enveloppées dans des sachets de soie blanche. Elles étaient aussitôt remises entre les mains des Secrétaires-interprètes chargés d'en faire la traduction [1]. Quand nos Rois jugeaient à propos de répondre aux « Illustres et Magnifiques Seigneurs », leurs dépêches étaient transmises également par nos agents aux Souverains de la Jenina[2] et ces der-

1. Dans nos investigations, nous avons vu plusieurs originaux qui n'étaient plus accompagnés de leur complément français. Nous avons été par suite obligé de suppléer à la négligence des gardiens de nos papiers consulaires, et, pour combler certaines lacunes, nous avons fait traduire de la langue turque les documents dont la version française faisait défaut.

(2) du colonial Square Bresson, actuel Square Port-Saïd, l'emplacement.

E.Plantet: Correspondance des deys d'Alger avec la Cour de France. (1579 - 1833)

الشكل رقم : (187)

(2) ش. ج. د ـ 9

فنكتفى هنا بإيراد قوائم القناصل العامين الفرنسيين الدائمين فى الجزائر ، والمبعوثين الخاصين من ملوك فرنسا ، وقادة ثورتها وجمهوريتها ، وأمبراطورها ، ثم من ملوكها من جديد ... إلى دايات الجزائر ، وبعض رسائلهم إليهم ، حتى آخر رسالة من الملك المنحوس شارل العاشر إلى الداى حسين ؛ ثم بقائمة القوائم : قائمة المعاهدات الجزائرية الفرنسية ... وهى بعدد السبعين ، لا سبع ، ولا سبع عشرة ، ولكن سبعون !

ونختتم تلك القوائم بقائمة رؤساء الدولة الجزائرية ـ أو دولة الجزائريين (313) «l'Etat des Algériens»، كما سماها بابا عروج سنة 1516 ، ـ طوال تلك القرون الثلاثة الطويلة التى جاءت فى تيار المد الصليبى عقب سقوط غرناطة فى 02 يناير 1492 ، والتى جابهت فيها الجزائر أوروبا بكاملها ـ غربا وشرقا ، كما نقول اليوم ـ ، وقد انضمت إليها أمريكا فى الفصل الأخير ؛ ليعرف شبابنا أسماءهم ، بمختلف صيغهم وألقابهم ، ويتذكرها عند ذكر أسماء ملوك ورؤساء الدنيا ... وليتيقن أنه ، هو أيضا ، كان له قادة وأبطال مغاوير على مختلف مراحل تاريخه الطويل ، العريق ؛ فلا استقل سنة 1962 ، ولا ولدت أمته حديثا، ولا كانت الجزائر « فتية » ، بل عريقة ، أثيلة ، قديمة قدم الإنسان ، كما كان يقول دوغول عن فرنسا : « بلادى العزيزة العريقة » : (« Mon cher et vieux pays ») ، لا بمعنى الشيخوخة ، والهرم ، ولكن بمعنى القدم ـ والقدم لله ـ ، والعراقة ، والأصالة ، والأثالة ، كما قال جيسكار ديستان بعده : « فرنسا التاريخية تحيى الجزائر المستقلة » ، المولودة بالأمس القريب ، سنة 1962 ؛ أو كما قال رئيس ما على شاطىء النيل : « مصر ليست من اليوم ، مثلكم يا أقزام ـ» لزملائه الرؤساء

(313) انظر الشكل رقم : 187 مكرر ا ، ب .

LISTE DES PACHAS, AGHAS ET DEYS D'ALGER

Aroudji Barberousse, Fondateur de la République d'Alger. 1516.

PREMIÈRE PÉRIODE.

Pachas.

Keir-ed-din	1518	Chaban	1592
Hassan-Agha	1533	Mustapha	1595
El-Hadji, *intérimaire*	1545	Kheder (2e fois)	1595
Hassan-ben-Keir-ed-din	1546	Mustapha (2e fois)	1596
Saffa, *intérimaire*	1551	Ali Hassan	1598
Salah-reïs	1552	Soliman	1601
Hassan-Corso, *intérimaire*	1555	Kheder (3e fois)	1603
Tekeli	1556	Mehemet	1604
Youssouf, *intérimaire*	1556	Mustapha Koussa	1605
Yahia, *intérimaire*	1557	Redouan	1607
Hassan-ben-Keir-ed-din (2e fois)	1557	Mustapha Koussa (2e fois)	1610
Hassan-Agha, *intérimaire*	1561	Hossein	1613
Cuca Mohammed, *intérimaire*	1561	Mustapha Koussa (3e fois)	1613
Akmed-ben-Salah-reïs	1562	Hossein (2e fois)	1617
Yahia, *intérimaire* (2e fois)	1562	Sidi Saref	1620
Hassan-ben-Keir-ed-din (3e fois)	1562	Kheder	1621
Mohammed-ben-Salah-reïs	1567	Mourad	1621
Hadji Ali	1568	Khosreff	1621
Memmi, *intérimaire*	1571	Hossein (3e fois)	1622
Achmed	1572	Ibrahim	1623
Ramadan	1574	Sidi Saref (2e fois)	1624
Hassan Veneziano	1577	Hossein (4e fois)	1624
Djaffer	1580	Younès	1629
Hassan Veneziano (2e fois)	1582	Hossein (5e fois)	1629
Mamet	1583	Ioussouf	1634
Achmed (2e fois)	1586	Ali	1637
Kheder	1589	Cheik-Hussein	1640

E. Plantet.

Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France (2e v.)

الشكل رقم : (187) مكرر أ

Jousef Kortandji	1640	Ahmed	1654
Mourad	1641	Ibrahim	1655
Jousef Kortandji (2e fois)	1642	Ahmed (2e fois)	1656
Omar	1642	Ibrahim (2e fois)	1657
Jousef Kortandji (3e fois)	1647	Ali	1659
Mohammed-el-Alem	1652	Ismail	1659

DEUXIÈME PÉRIODE.

Aghas.

Khalil	1659	Chaban	1661
Ramdan	1660	Ali	1664
Ibrahim	1661		

TROISIÈME PÉRIODE.

Deys.

Hadji Mohammed	1671	Cur-Abdi	1724
Baba Hassan	1681	Baba Ibrahim	1732
Hadji Hussein (Mezzomorto)	1683	Baba Ibrahim-el-Seghir	1745
Ibrahim Khodja	1686	Mehemmed-el-Retorto	1748
Hadji Chaban	1689	Baba Ali	1754
Hadji Ahmed	1695	Baba Mohammed-ben-Osman	1766
Cara-ben-Ali	1698	Sidi Hassan	1790
Baba Hassan	1698	Baba Mustapha	1798
Ali	1699	Akhmed Khodja	1805
Baba Hadji Mustapha	1700	Ali Boursali Khodja	1808
Hussein Khodja	1705	Hadji Ali	1809
Mohammed-ben-Ali	1707	Hadji Mohammed	1815
Deli Ibrahim	1709	Omar	1815
Ali-Chaoux	1710	Ali Khodja	1817
Mehemed-ben-Hassan	1718	Hussein	1818-1830

E. Plantet

الشكل رقم : (187) مكرر ب

والملوك العرب ـ بل هى بنت سبعة آلاف سنة ! » ، ويجيبه زميل له من الرافدين : « بل نحن أقدم : فدولتنا وحضارتنا ترجعان إلى سبعة آلاف وخمسمائة سنــة ! » ، ويرسل بمعرض يجوب العالم ليؤكد ذلك بصور عن سومر ، وآشور ، وبابل وحمورابى!

ولنعد إلى إدغار فور ، ودوغول ، وجيسكار ، وآخرين قبلهم وبعدهم ، لنقول لهم ، بشهادة وثائقهم ، ـ لأن وثائقنا عندهم ـ : فمن سنــة 1564 إلى سنة 1827 اعتمــد الفرنسيون ـ حسب مصادرهم ، المرفق بعضها هنا ـ واحدا وستين قنصلا عاما مقيما لدى الجزائر ، كثيرون منهم يحملون ، زيادة على ذلك ، لقبــى « مستشار الملك ، القائم بأعماله لــدى داى الجزائر » . (314) ، وسلكهم هو السلك الدبلوماسى ، أى سلك السفراء . (315)

ومن سنة 1534 إلى سنة 1830 أرســل ملوك فرنسا ، وقــادة ثورتها وجمهوريتها الأولى ، وأمبراطورها ، ثم ملكاها الأخيران إلى الجزائر ستة وتسعين (96) مندوبا ومبعوثا خاصا ، كثيرون منهم أعــلى مــن مستوى وزير ، ومنهم شقيق نابليون الأول ، جيروم بونابارت . (316) و (317)

ويلاحظ القارىء ، من نظرة خاطفة إلى القائمة ، أن كثيرين مــن هؤلاء المندوبين والمبعوثين الخاصين جاءوا عــدة مرات إلى الجزائر ، أى قامــوا بعدة مهمات لديها ، إذن فالعدد الحقيقى للمهمات أكثر من ستة وتسعين الذى هو عدد المندوبين والمبعوثين الخــاصين .

(314) انظر الشكل رقم : 188 .

(315) Egretaud : ibid, p. 49.

(316) انظر الشكل رقم : 189 أ ، 189 ب .

(317) H. Garrot : ibid, p. 698-700.

Liste des consuls et vice-consuls de France à Alger

Bartholle	1564
Maurice Sauron	1578-1585
François Guighigotto, consul suppléant	1579
Le P. Bionneau	1585-1587
Jacques de Vias	1587-1627
Jean Ollivier, consul suppléant	1587-1596
François Chaix	1618-1623
Etienne	1623-1624
Thomassin	1624-1625
Martelly	1625-1626
Anselme	1626-1627
Balthazar de Vias	1627-1646
Clavel, consul suppléant	1627-1628
Thomas Fréjus, consul suppléant	1628-1629
Thomas Ricou	1629-1631
Blanchard, consul suppléant	1631-1634
Jacques Piou, consul suppléant	1634-1639
Thomas Picquet, consul suppléant	1639-1646
Charles Moulard	1646
Lambert aux Cousteaux	1646
Le P. Jean Barreau	1646-1661
Le P. Jean-Armand Dubourdieu	1661-1673
Laurent d'Arvieux	1674-1675
Le P. Jean Levacher	1673-1683
Denis Dusault, consul suppléant	1683-1684
Sorhainde, consul suppléant	1684-1685
André Piolle	1685-1688
Le P. Michel Montmasson, consul suppléant	1688
Barthélémy Mercadier, consul suppléant	1689-1690
René Lemaire	1690-1697
Jean de Clairambault, consul suppléant	1697
Philippe-Jacques Durand	1698-1705
Jean de Clairambault	1705-1717
Jean Baume	1717-1719
Antoine-Gabriel Durand	1720-1730
Thomas Natoire, consul suppléant	1731
Léon Delane	1731-1732
Benoît Lemaire	1732-1735
Alexis-Jean-Eustache Taitbout	1735-1740
De Jonville, consul suppléant	1740-1742
François d'Evant	1742
De Jonville, consul suppléant	1740-1742
Pierre Thomas	1743-1749
André-Alexandre Lemaire	1749-1756
Le P. Bossu, consul suppléant	1757
Joseph-Barthélemy Perou	1757-1760
Le P. Théodore Groiselle, consul suppléant	1760-1763
Jean-Antoine Vallière	1763-1773
Robert-Louis Langoisseur de la Vallée	1773-1782
Renaudot, consul suppléant	1782
Jean-Baptiste-Michel de Kercy.	1782-1791
Philippe Vallière	1791-1796
Louis-Alexandre Herculais, consul suppléant	1796
Jeanbon Saint-André	1796-1798
Dominique-Marie Moltedo	1798-1800
Charles-François Dubois-Thainville	1800-1814
Alexandre-Louis Ragueneau de la Chaisnaye, consul suppléant	1809-1810
Roche Ferrier, consul suppléant	1814
Pierre Deval	1815
Charles-François Dubois-Thainville	1815
Pierre Deval	1815-1827

H. Garrot : Histoire générale de l'Algérie

الشكل رقم : (188)

Liste des commissaires et envoyés de la cour de France près la régence d'Alger

De la Forest	1534
De Montluc	1537
D'Aramon	1551
D'Albisse	1552-1553
San-Pietro d'Ornano	1561
De Ménillon	1573
Savary de Brèves	1605
Du Mas de Castellane	1618
De Mortier	1619
Sanson Napollon	1625-1628
D'Estampes, seigneur de l'Isle-Antry	1632
Sanson Le Page	1634-1637
De Mantin	1637
Du Coquiel	1639
De Montigny	1640
De Montmeillan	1641
De Rominhac	1659
De Clerville	1661
Trubert	1666
De Martel	1668-1672
De Vivonne	1668
D'Alméras	1673
De Gabaret	1675
De Tourville	1679
Duquesne	1680
Hayet	1681
De Virelle	1681
Dusault	1683
De Tourville	1684-1685
De Blainville	1686
Dortières	1687
Marcel	1689-1690
Dusault	1697
Duquesne-Monnier	1714
Dusault	1719
D'Andrezel	1724
De Granpré	1724
De Beaucaire	1724
De Monts	1727
De Gencien	1730
Duguay-Trouin	1731
De Caylus	1731
De Watan	1732
De Court de la Bruyère	1734
De Maissiac	1742
Du Revest	1748
De Rochemaure	1762
De Cabanous	1762
De Fabry	1763-1764
De Sade	1764
De Forbin	1776
De Bonneval	1777
De Tott	1777
De Vialis	1777
De Martelly	1778
De Cypières	1781
De Vialis	1781

الشكل رقم : (189) أ

De Martineng	1781
De Bessay	1783
De Ligondez	1785
De Blachon.	1788
Venture	1788
De Senneville	1789
Brueys	1791
De Missiessy	1791
Gavoty	1792
Rondeau	1792
Raccord	1793
Herculais	1796
Barré	1797
Demay	1801
Leyssègue	1802
Hulin	1802
Berge	1802
Bonaparte (Jérôme)	1805
Troude	1808
Boutin	1808
De Meynard	1811-1814
De Saint-Belin	1814
Touffet	1815
De Parseval	1815
Raynouard	1816
Jurien de la Gravière	1819
Duval d'Ailly	1819
De Méry	1822
Drouault	1824
Fleury	1826
Faure	1827
Collet	1827
Bézard	1828
De la Bretonnière	1829
De Nerciat	1829
De Clairval	1830
Bézard	1830
De Bourmont	1830
Duperré	1830
	96

الشكل رقم : (189) ب

كما يلاحظ أن قادة فرنسا كانوا يرسلون أحيانا أكثر من مبعوث ، وأكثر مـن مرة ، فى العام الواحد ، لـدى « السادة الأمجاد العظام » ، دايات الجزائر
(Illustres et magnifiques Seigneurs, Deys d'Alger).

ومن أواخر القرن الثاني عشر إلى 1830 عقدنا مـع فرنسا عددا « محترما » من الاتفاقيات والمعاهدات .

فإذا كان غارو يورد قائمة بثمان وخمسين منها (318) و (319)؛ وبلانطى يقول فى مقدمة كتابه « ان عددها لم يكن أقل مـن 59 » ، (320) و (321) ، ويؤكد ذلك في خاتمته ، فيورد قائمة بها بالعدد المذكور، (322) و (323) ، لأنه أورد معاهدة سنة 1662 التى غفـل عنها غارو ، فإن كلا منهما قد أغفل عددا مـن معاهدات أخرى بين البلدين ذكرها مؤرخون آخرون ، مثل معاهدة بجاية فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى ، التى ذكرها كـل مـن المؤرخ الفرنسى دوفـو (Devoulx) ، والمؤرخ الأمريكى سبنسر (Spencer) : ومعاهدة شاتيلرو الثلاثية سنة 1534 التى ذكرها دوفور (Dufour) ؛ وأخرى ذكرها المؤرخ السويدى ريفتيليوس (Reftelius) ، والمؤرخ الألمـانى دومارتينس (De Martens) (324)، والمؤرخ الفرنسى دوكليرك (De Clerq) . وقد أوردناها جميعها ، نقـلا عنهم ، فى القائمة المفصلة التى بينـا فيها تواريخها ، وأسماء الأطراف الجزائرية والفرنسية التى عقدتها ، وأحيانا الظروف التى انعقدت فيهـا . ومـن بـين تلـك الاتفاقيات

---

(318) H. Garrot : ibid, p. 700-701.

(319) انظر الشكل رقم : 190 .

(320) انظر الشكل رقم : 191 .

(321) Plantet : Correspondance, p. LXVII.

(322) Plantet : ibid, p. 591-592.

(323) انظر الشكل رقم : 192 ا ، 192 ب .

(324) Georg Friedrich von Martens : ibid (Goettingen, act! = RFA) 1817.

'aix et commerce. Concessions d'Af[illegible]	21 mars 16[illegible]
'aix et commerce	[illegible] 162[illegible]
Concessions d'Afrique	septembre 162[illegible]
Concessions d'Afrique	7 juillet 1640
Concessions d'Afrique	9 février 1661 *et 1662*
'aix et commerce	17 mai 1666
'aix et commerce	février 1670
oncessions d'Afrique	11 mars 1679
'aix et commerce. Concessions d'Afrique	25 avril 1684
Renouvellement. Concessions d'Afrique	1686
oncessions d'Afrique	13 mars 1689
'aix centenaire	24 septembre 1689
oncessions d'Afrique	5 mai 1690
enouvellement. Paix et commerce	27 décembre 1690
oncessions d'Afrique.	3 janvier 1694
enouvellement. Paix et commerce	4 mars 1698
enouvellement { Paix et commerce / Concessions d'Afrique }	23 juillet 1698
enouvellement. Concessions d'Afrique	19 juillet 1700
enouvellement { Paix et commerce / Concessions d'Afrique }	novembre 1705
enouvellement. Concessions d'Afrique	8 mars 1707
enouvellement Concessions d'Afrique	30 mars 1710
enouvellement. Concessions d'Afrique	14 août 1710
oncessions d'Afrique	15 juillet 1714
enouvellement. Paix et commerce	26 janvier 1718
enouvellement. Concessions d'Afrique	6 avril 1718
enouvellement. Paix et commerce	7 décembre 1719
aix et commerce	20 février 1720
enouvellement. Concessions d'Afrique	20 mars 1724
enouvellement. Concessions d'Afrique	6 juillet 1731
oncessions d'Afrique	23 septembre 1731
oncessions d'Afrique	10 juin 1732
enouvellement. Concessions d'Afrique	6 septembre 1732
enouvellement. Concessions d'Afrique	15 décembre 1743
enouvellement. Concessions d'Afrique	2 novembre 1745
enouvellement. Concessions d'Afrique	18 février 1748
enouvellement. Concessions d'Afrique	29 décembre 1754
aix et commerce	16 janvier 1764
oncessions d'Afrique	23 mai 1767
enouvellement. Concessions d'Afrique	10 juin 1768
enouvellement { Paix et commerce / Concessions d'Afrique }	23 mars 1790
oncessions d'Afrique	23 juin 1790
enouvellement { Paix et commerce / Concessions d'Afrique }	1er juillet 1791
enouvellement. Concessions d'Afrique	20 mai 1793
rêt de 250.000 francs par la régence d'Alger au Directoire *et reconnaissance de la Rép. française*	1793
rmistice illimité	19 juillet 1800
aix et commerce	30 septembre 1800
aix et commerce	29 décembre 1801
enouvellement { Paix et commerce / Concessions d'Afrique }	26 décembre 1805
enouvellement. Concessions d'Afrique	7 novembre 1808
enouvellement. Paix et commerce	11 juillet 1814
enouvellement. Paix et commerce	30 mars 1815
enouvellement. Paix et commerce	16 avril 1815
oncessions d'Afrique	11 mars 1817
oncessions d'Afrique	26 octobre 1817
enouvellement. Paix et commerce	29 mars 1818
éclaration, créances algériennes	23 décembre 1819
oncessions d'Afrique	24 juillet 1820
ession d'Alger	5 juillet 1830

(voir Plantet p.591

(الشكل رقم : (190)

58	
+ 1	le Traité de Bidjaīa, 13e siècle, cité par Duvoulx et Spencer .
= 59	
+ 1	le Traité de Châtellerault, 1534, cité par Dufour
= 60	
+ 1	de 1662, cité par Plantet
= 61	
+ 9	cités par Reftelius; Galibert; La Pléiade et d'autres.
=70	

arrot : ibid

تابع للشكل رقم : (190)

En ce qui nous concerne, nous n'avons pas eu moins de cinquante-neuf traités ou confirmations de traités avec la Régence, et nous avons à mentionner quinze expéditions militaires. L'une fut faite par un archevêque, qui se souvint sans doute des encouragements donnés par la Papauté à ce genre de croisade; une autre fut accompagnée d'un débarquement, celle du duc de Beaufort en 1664, deux de bombardements dirigés par Duquesne en 1682 et 1683, par d'Estrées en 1688. Trois fois nous essayâmes de nous installer sur le territoire algérien. Charles IX voulut y trouver un trône pour Henri d'Anjou, Louis XIV tenir une garnison à Jijelli, Napoléon Ier recommencer l'expédition d'Egypte [1]. Il est certain que *la question d'Alger* préoccupa presque tous nos ministres, et que les Concessions d'Afrique, estimées 120 000 l. à l'actif immobilier des Compagnies marseillaises, furent toujours considérées comme infiniment plus précieuses aux yeux de nos hommes d'État. Tantôt ce fut Richelieu qui négocia avec les chevaliers de Malte, les plus anciens ennemis de l'Odjak, pour établir dans leur île un de nos postes militaires afin de contenir les reïs, tantôt ce furent Mazarin et Colbert qui, pour arriver aux mêmes fins, accueillirent les propositions des armateurs provençaux pour s'emparer de l'île de la Galite [2]. La possession de Tabarque fut particulièrement l'objet des convoitises de la Cour. En 1724, le voyageur et diplomate Peyssonnel en conseilla l'acquisition; en 1731, le Roi envoya à Gènes un agent secret, Fougasse, pour traiter cette affaire avec le Consul Coutlet, et pour convenir d'un prix de vente avec Jacques Lomellini, propriétaire de cette île. « Ce serait, écrivit alors le chevalier de Caylus à Maurepas, le plus sûr moyen de se faire respecter et craindre en Barbarie [3]. » Le jour où le Bey de Tunis, mis au courant de nos projets, s'empara de vive force du comptoir génois, un courageux officier, de Saurins, fit approuver à Versailles, en 1741, son dessein de l'assiéger, et ce fut dans les bureaux de la

1. Voy. *Mémoires pour détruire Alger*, contenant la description avec plans du port et des murailles, et la proposition d'un débarquement à deux lieues à l'ouest de la ville, par le capitaine Lefort, 1763 (*Archives de la Marine, Levant et Barbarie*, B[7] 392). — *Projet d'expédition contre la Régence d'Alger*, par Jeanbon Saint-André, 1802 (*Archives historiques de la guerre. Algérie*).

2. Voy. *Moyens faciles pour brider la Barbarie et accroître le commerce* (*Archives des Affaires étrangères. Consulat d'Alger*).

3. *Lettre du chevalier de Caylus au comte de Maurepas*, le 25 septembre 1731 (*Archives coloniales de la Marine*).

الشكل رقم : (191)

LISTE DES TRAITÉS ET CONVENTIONS ENTRE LA FRANCE ET LA RÉGENCE D'ALGER

E. Plantet. non cité par Garrot

Traité	Jour	Mois	Année
Paix et commerce. Concessions d'Afrique	21	mars	1619
Paix et commerce	19	septembre	1628
Concessions d'Afrique	23	—	1628
—	7	juillet	1640
—	9	février	1661
—	—	—	1662
Paix et commerce	17	mai	1666
—	—	février	1670
Concessions d'Afrique	11	mars	1679
Paix et commerce. Concessions d'Afrique	28	avril	1684
Renouvellement. Concessions d'Afrique	—	—	1686
Concessions d'Afrique	13	mars	1689
Paix centenaire	24	septembre	1689
Concessions d'Afrique	5	mai	1690
Renouvellement. Paix et commerce	27	décembre	1690
Concessions d'Afrique	3	janvier	1694
Renouvellement. Paix et commerce	4	mars	1698
Renouvellement { Paix et commerce / Concessions d'Afrique }	23	juillet	1698
Renouvellement. Concessions d'Afrique	19	—	1700
Renouvellement { Paix et commerce / Concessions d'Afrique }	—	novembre	1705
Renouvellement. Concessions d'Afrique	8	mars	1707
— —	30	mars	1710
— —	14	août	1710
Concessions d'Afrique	15	juillet	1714
Renouvellement. Paix et commerce	26	janvier	1718
Renouvellement. Concessions d'Afrique	6	avril	1718
Renouvellement. Paix et commerce	7	décembre	1719
Paix et commerce	20	février	1720
Renouvellement. Concessions d'Afrique	20	mars	1724
— —	6	juillet	1731
Concessions d'Afrique	23	septembre	1731
—	10	juin	1732

الشكل رقم : (192) أ

Acte	Date
Renouvellement. Concessions d'Afrique.............	6 septembre 1732
— —	15 décembre 1743
— —	2 novembre 1745
— —	18 février 1748
— —	29 décembre 1754
Paix et commerce................................	16 janvier 1764
Concessions d'Afrique..............................	23 mai 1767
Renouvellement. Concessions d'Afrique...............	10 juin 1768
Paix et commerce.................. } Renouvellement. Concessions d'Afrique }	29 mars 1790
Concessions d'Afrique..............................	23 juin 1790
Renouvellement { Paix et commerce.... } { Concessions d'Afrique. }	1 juillet 1791
— et reconnaissance de la Rép. Fr.	20 mai 1793
Prêt de 200 000 p. par la Régence au Directoire...	9 messidor, an IV 1796
Armistice illimité................................	19 juillet 1800
Paix et commerce................................	30 septembre 1800
—	29 décembre 1801
Renouvellement { Paix et commerce.... } { Concessions d'Afrique. }	26 décembre 1805
— —	7 novembre 1808
Renouvellement. Paix et commerce..................	11 juillet 1814
— —	30 mars 1815
— —	16 avril 1815
Concessions d'Afrique..............................	15 mars 1817
—	26 octobre 1817
Renouvellement. Paix et commerce..................	29 mars 1818
Déclaration (Créances algériennes)..................	23 décembre 1819
Concessions d'Afrique..............................	24 juillet 1820
Cession d'Alger....................................	5 juillet 1830

E. Plantet.

الشكل رقم : (192) ب

والمعاهدات أهمها : وهـي تجديد الـداى حسـن المصادقة على المعاهدات السابقة بين الجزائر وفرنسا ـ بطلب هذه الأخيرة ـ ، والاعتراف بالجمهورية الفرنسية الأولى ، يـوم 20 مايو 1793 ، وقد أوردنا الوثائق الخاصة بها فى ذكر سلسلة المعاهدات .

وإذا ما أردنا الآن توزيع هذه المعاهدات حسب تعاقب الأزمان والعهود ، وقصدنا أن نقول « لأصدقائنا » الفرنسيين ما قالـه مؤمن بن سعيد الأندلسى :

مـا كـل مـا قيـل كمـا قيـلا
فقـد بـاشـر النـاس الأباطيـلا !

كان علينا أن نوزع ترتيب تعاقب المعاهدات حسب عهودهم هم ... ليراجعوا تـاريخهم فى مصادرهم ... وليعرفوا ، كلمـا ذكروا اسم ملك من أغلب ملوكهم منذ أواخر القرن الثانى عشر، من كان يقابله على الضفة الأخرى للبحر الأبيض المتوسط مـن جهـة الجزائر ؛ وكان التوزيع حسب عهودهم هم ، لأنهم هـم الذين أنكروا تاريخنا ولا يزالون ينكرونه ، كالتالى :

في عهد حكومة مرسيليا ، (مع ملك بجاية ، خالد بن زكرياء) : 01

في عهد فرانسوة الأول سنة 1534 : مع خير الدين وسليمان

القانونى (المعاهدة الثلاثية أو معاهدة شاتيلرو) 01

في عهد لويس الثالث عشر : 04

في عهد لويس الرابع عشر : 23

في عهد لويس الخامس عشر : 17

في عهد لويس السادس عشر : 04

في عهد الثورة (الحكومة الثورية للجمهورية الفرنسية الأولى) . 02

في عهد نابليون بونابارت قنصلا أول للجمهورية الفرنسية (أى رئيسها الفعلى بدون اللقب) : 03

في عهد نابليون الأول ، أمبراطور الفرنسيين ، (بعد إلغائه الجمهورية وتنصيب نفسه أمبراطورا) : 04

في عهد لويس الثامن عشر : 06

في عهد شارل العاشر : 01

فيكون المجموع : 66 =

هذه حتى 1830 ، كما هو عنوان الدراسة .

وإذا ما أردنا أن نشمل المدة حتى 1962 ،

باسترجاع الاستقلال والسيادة ، أضفنا :

في عهد لويس فيليب :

67) معاهدة دى ميشيل (325) (le Traité Desmichel) بين الأمير عبد القادر والجنرال دى ميشيل ، يوم 16 فبراير 1834 : 01

68) ـ ومعاهدة التافنا بين الأمير عبد القادر (326) والجنرال بيجو يوم 30 مايو 1837 ، وقد صادق عليهما الملك الفرنسى لويس فيليب : 01

---

(325) Ch.-A. Julien : Histoire de l'Algérie Contemporaine, p. 104.
(326) Ch.-A. Julien : Histoire de l'Algérie Contemporaine, p. 136.

ومعاهدة أخرى بينهما وهى :

69) ـ معاهدة ثالثة بين الأمير عبد القادر (327) ، رئيس الدولة الجزائرية ، ولويس فيليب (328) ، ملك الفرنسيين (هذا هو لقبه الرسمى) ، أمضاها عنه الجنرال لاموريسيير ، بموافقة ومصادقة ابن الملك، الدوق دومال(le Duc d'Aumale) « الحاكم العام الفرنسى بالجزائر » (« gouverneur général de l'Algérie ») ، يوم 23 ديسمبر 1847 ... ومصادقة حكومة لويس فليب :

69 = 01

وهى معاهدة ... وضع الأمير بموجبها السلاح ، ولكنها ، على كل ، معاهدة ، حسب العرف الدبلوماسى الدولى .

وقد كان ذلك بعد خمس عشرة سنة من الكفاح الدائب ، وبعث الدولة الجزائرية بإقامة دولة خلفت سابقتها بعد أقل من سنتين من سقوطها ؛ وبعد إلحاق هزائم فادحة بأكبر جيش أوروبى إذ ذاك (الجيش الذى دوخ به نابليون أوروبا) ، خاصة منها فى معركة المقطع ، (« la bataille de la Macta »)، سنة 1835 ، ومعركة سيدى إبراهيم فى سبتمبر 1845 ؛ وبعد فرض معاهدتين على إحدى كبريات الدول فى العالم إذ ذاك !

ولئن فرضت عليه هى ، فرنسا ، فى الأخير ، المعاهدة الثالثة ـ التى كانت على الأقل التاسعة والستين (69) بين الجزائر وفرنسا حتى ذلك اليوم ـ ، فلم يكن الأول ـ ولا الأخير ـ الذى غلب فى تاريخ الحروب !

---

(327)انظر الشكل رقم : 193 .

(328)انظر الشكل رقم : 193 مكرر .



الأمـــيرعبد القادر

B) ROCHES (L.). — *L'ÉMIR ABD EL-KADER*, 1836.

الشكل رقم : (193)



لويس فيليـــــــــب

الشكل رقم : (193) مكرر

فكم من مرة غلبت أنكلترا ؟ وكم من مرة هزمت ألمانيا ؟ أما فرنسا ، فحدث عنها ولا حرج ، وكم أحدثت انهزاماتها من هرج ! وما كارثة 1940 عنا ببعيدة !

وحسب المؤرخ الفرنسي ديطايور ـ شانترين ، « فقد طلب الأمير عبد القادر من الدوق دومال أن ينقل إلى **اسطنبول** ، أو عكا ، أو الإسكندرية ، (هكذا ، بهذا الترتيب) . ولكن الدوق دومال رفض له اسطنبول ، وقال له إنه سيرسل إلى الإسكندرية » . (329)

ومن هنا لا نجد ذكرا في المعاهدة لعاصمة الخلافة العثمانية : اسطنبول ، ولم يرد فيها إلا اسما عكا والإسكندرية .

وها هي الصيغة التي أوردها محمد بن الأمير عبد القادر ، ابنه الأكبر ، رفيق سلاحه ، إذ يقول :

« إن ذلك العهد والميثاق (أي نص تلك المعاهدة) يتضمن شروطا ، منها :

1) أن يحملوه ، مع جميع عائلته ، إلى عكا أو الإسكندرية .

2) وألا يتعرضوا لمن يريد السفر معه من الضباط والعساكر.

3) وأن الذي يبقى منهم في الوطن يكون آمنا على نفسه وماله » . (330) و (331)

---

(329) Philippe d'Estailleur - Chanteraine : Abdelkader, l'Europe et l'Islam au XIX[e] siècle, pp. 241-242. J.B. Janin (Collection d'études historiques, Roue de Fortune, Janin-Editeur, Paris 1947).

(330) محمد بن الأمير عبد القادر : تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، ص 500 .

(331) انظر الشكل رقم : 194 .

بكمالِ الاعتقادِ ؛ مِن أنَّ جلالتكم ، والحكومة تصادقونَ عليهِ ، ما دامَ عبدُ القادرِ ؛ اعتمدَ على : قولي وخطِّي ... وبعثَ البريدَ إلى الدوك « دومال » ابن الملك ، حاكم الجزائر . فارتاحَ لذلكَ . وركبَ - مِن حينه - بارجةً . وجاءَ إلى مرسى « جامعِ الغزوات » . ولأوَّلِ وصولهِ إليها ؛ بعثَ إلى الجنرال يخبره : أنَّهُ قد وافقه ، على قبولِ ، ما اشترطه الأميرُ . وأمره أن يزيده ، في ذلك تأكيداً ويعطيه ميثاقاً غليظاً ؛ يطمئن به قلبه . والأمير - وإن كان في حالة يأس - إلا أنه ، لقوَّة جأشه ، وصبره ؛ لم يظهر اليأس والجزع . وأظهر غاية التربُّص والتأنِّي . ولذلك ؛ تردَّدت الرسل ، بينه وبين الجنرال ، في : ربط الميثاق ، وإحكام العهد ؛ ثلاثةَ أيام بلياليها . وبعد أن تمَّ الأمر بينهما ، على شروطٍ منها :

أن يحملوه ، مع جميع عائلته ، إلى عكا أو الاسكندرية .

وأن لا يتعرَّضوا ، لمن يريد السفر معه ، مِن الضباط والعساكر .

وأن الذي يبقى منهم في الوطن ؛ يكون آمناً على نفسه وماله .

ثم سار الأمير بأهله ، وخاصَّته ، واتباعه ، مِن « تفجيرت » قاصداً المرسى . حيث إن ابن الملك ، والجنرال لامورسيير ، والجنرال كافنياك ؛ ينتظرونه فيها . وعندما وصل - في طريقه - إلى مقام المرابط ، سيدي إبراهيم . وهو الموضع الذي كان الأمير * انتصر فيه على جنود فرنسا ، وأوقع بهم ، الوقعةَ الشهيرةَ منذ سنتين ، قبلَ ذلك ؛ وجد الكولونيل « مونتبان » في خمسمائة فارس ، ينتظره . فواجه الأمير ؛ بكلِّ اعتبار واحتفال . وبعد أن نزل الأمير ، وصلَّى - في المقام - ركعات ؛ ركب . وسار في ذلك الموكب ؛ إلى أن قرب من مرسى « الغزوات » . فاستقبله ابن الملك ، وفي معيَّته ؛ الجنرال « لامورسيير » وغيره ، من القُوّاد والأعيان ، في الأبَّهة والاحترام .

وبعد أن استقرَّ بهم المجلس ؛ قال الأمير لابن الملك :

هذه الساعة ، التي قدَّر الله - تعالى - أن يكون فيها ، ما نحن فيه الآن

المعاهدة

معركة سيدي إبراهيم 1845

ويضيف ، بخصوص هذه المعاهدة ، أنها كانت « على شروط موقع عليها من الجانبين » . (332) و (333)

أما المؤلف الأنكليزى تشرتشل ، فيقول عن هذه المعاهدة :

« وقـد اضطر الجنرال لاموريسيير أن يدافع عن نفسه فى البرلمان الفرنسى أمـام هجمات عنيفة عـلى السماح للأمير عبد القادر بهذا المخرج ، وأنه ارتكب خطأ فادحا بعقد تلك الوثيقة معه ، بينما كان يجب عليه أن يجعل منه مجرد أسـير مستسلم لا غير ــ اضطر الجنرال لاموريسيير أن يبـرر سلوكه ، ويحدد موقفه ، ويعرض الأسباب التى دفعته إلى إمضاء **المعاهدة التى** كانت موضوع تلك التهكمات :

« les motifs qui l'avaient amené à signer *le traité* qui faisait l'objet de ces sarcasmes » (334).

فواضح إذن ــ ونكرر ــ أنها كانت معاهدة بالمعنى المتعارف عليه دوليا .

ويقول نفس المؤرخ الفرنسى ، الذى ذكرناه منذ حين ، عن مصادقة ملك الفرنسيين ، لويس فيليب ، على هذه المعاهدة :

« وعلى هامش رسالة من الدوق دومال (ابن ملك الفرنسيين ، لويس فيليب) إلى باريس ، بتاريخ 25 ديسمبر (أى يومين بعد الإمضاء) عن الاتفاق المرقع بين الأمـير عبد القـادر والجنرال لاموريسيير ، بموافقته ومصادقته (أى الدوق دومال) ، كتب رئيس ديوان وزير الحربية (الفرنسية) ما يلى :

---

(332) نفس المرجع المذكور ، ص 502 .

(333) انظر الشكل رقم : 195 .

(334) Charles-Henri Churchill : La vie d'Abdelkader, p. 273. (Introduction, traduction et notes de Michel Habart (Sned 1971).

قال بعض مؤرّخيهم : إنّ مما يوجب الحيرة ، ويستحق التعجب ؛ أن عسكر الأمير عبد القادر ، كاد أن يصل عدده : إلى ألفين من الخيّالة . وعشرة آلاف من المشاة . وقد قاوم به ، جيشاً عظيماً ، من جيوش أكبر دولةٍ ، من دول أوروبا ، يبلغ عدده : مائة ألف ، وستة آلاف ، ما بين فارس وراجل ، مدّة ستّ عشرة سنة !! وأعجب من ذلك ؛ أنهم كانوا يدخلون في معسكرنا . ويقاتلوننا : من ورائنا ، ومن ميمنتنا ، وميسرتنا ، ويهربون ؛ في الوقت الذي نتصوّر فيه ، القبض عليهم ، باليد !! والعجبُ كلُّ العجب : أنهم كانوا يتعبون عسكرنا ، بتجاوزاتهم الدائمة . ويظهرون بالأمنية التامة ، غير مبالين بما كان . ولا مهتمّين ؛ بما سيكون . فليت شعري !! بماذا يجاب ؟ مَن سأل : عن الفرق ، بيننا وبينهم ؟! ومَن الذي يستحق المدح ، منّا ومنهم ؟ آه . .

قال الاديب ، صاحب الجامعة ، بعد ذكر ترجمة الأمير ، في مشاهير المتقدّمين والمتأخرين : « فلا يسع المؤرّخ الشرقيّ ؛ غير الوقوف ، بإزاء عظمته ، متفكّراً . وبأسباب سقوطها ، معتبراً . لأن الصراع ، بينه وبين الجنود الفرنساوية ؛ كان بين مبدأين ، لا بين قوّتين حربيّتين . أحدهما ؛ استقلال الممالك الشرقية . والثاني ؛ أطماع أوروبا الاستعمارية . غير أن قوّة الطمع ؛ زعزعت استقلال الشرق . واستشعر أهله : أنهم مطحونون برحاه . فازداد يأسهم . ولو قوي المبدأ الأوّل ؛ لقوي رجاؤهم . وزاد بأسهم . وليت شعري !! ما يقول المؤرّخ الغربيّ ، بعد إمعان النظر ؛ في دولةٍ ، أحكم أساسها منذ ألف وأربعمائة سنة . فقد استولت ؛ على مستعمرات أمير ، عمر دولته ؛ سنة . بعد أن قهر رجالها . وأباد أبطالها . وشغلها خمسة عشر عاماً . إلى أن أراد الله ؛ إنفاذ ما قدّره وقضاه . عاضدها أقرانه . وساعدها عليه جيرانه ، فاستسلم لقضاء مولاه . وسلّم إليها ، نفسه ، برضاه . على شروطٍ ، موقّع عليها من الجانبين . وهذا ؛ هو سبب انهدام ملكه . فليت شعري !! مَن يُمدح ؟ ومن الذي يطعن فيه ويقدح !! وينبغي لكل شرقيّ ؛ وقف بقبر هذا الأمير ؛ أن يخضع لعظمته .

« هــذه البرقية وصلت يوم أول يناير 1848 . وقــد قال لى الوزير بشأنها إن الحكومة صادقت عــلى شروط وضــع الأمــير عبد القادر سلاحه » ، أى على المعاهدة . (335)

ويضيف نفس المؤرخ أن أصل هذه الرسالة ـ مــع التعليق على المصادقة عليها ـ محفوظ فى قسم الوثائق بمتحف كوندى فى شانتيى ، بضواحى باريس :

(Archives du Musée Condé à Chantilly) (336).

كما يعلق عليها المؤرخ التونسى التميمى بقوله :

« وينص أحد بنود هذه **المعاهدة** على أن السلطة الفرنسية قد قبلت السماح للأمير باختيار نقلته إلى أحد البلدين الإسلاميين : سوريا ، أو مصر » . (337).

وبعد سبع عجاف فى فرنسا انتقــــل إلى « دار الخلافـــة الإسلامية » (338) و (339) .

« ولــم يسرحه نابليون الثالــث إلى بروسة ، فى تــركيا ، إلا بكفالة السلطان عبد المجيد ، بتدخل من شيخ الإسلام فى الخلافة العثمانية ، عارف حكمت ، على إثر مجلس خاص عقده الخليفة لذلك ، لإنقاذه من الأسر » (340) .

وقد قال الأمير نفسه ، لدى الوصول إلى بروسة ، لواليها ، صهر الخليفة :

---

(335) Philippe d'Estailleur-Chanteraine : ibid, p. 236.
(336) Philippe d'Estailleur-Chanteraine : ibid, p. 236.
(337) د. عبد الجليــل التميمى : المجلة التاريخية المغربية ، مستخرج مــن العدد 15 ـ 16 جويلية 1979 ، ص 5 .
(338) محمد بن الأمير عبد القادر : نفس المرجع : ص 575 .
(339) انظر الشكل رقم : 195 مكرر .
(340) محمد بن الأمير عبد القادر : نفس المرجع : ص 578 .



ABD EL KADER PAR MAXIME DAVID

الأمـــيرعبـــد القـــادر

الشكل رقم : (195) مكرر

« إنه لولا كفالة مولانا المعظم السلطان لدى نابلون الثالث ما خرجنا من قبضة الأسر » (341) .

ثم انتقل منها ، إثر زلزال شديد ، إلى دمشق (342) ، حيث توفى ، رحمه الله ، ليلة السبت التاسع عشر من رجب سنة 1300 هـ (24 مايو 1883 م) .

وفى عهد الجمهورية الخامسة :

70) اتفاقيات إفيان les Accords d'Evian يوم 18 مارس 1962 ، 01 بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية والجنرال دوغول ، رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة . ويكون مجموع الذى وجدناه من الاتفاقيات والمعاهدات المعقودة بين الجزائر وفرنسا حتى 1962 : سبعين : 70 .

ولله درك يا شاعرنا الأندلسى مؤمن بن سعيد مرة أخرى :

ما كل ما قيل كما قيلا
فقد باشر الناس الأباطيلا !

ولنعد إلى وثيقة الاحتلال سنة 1830 ، معاهدة تسليم الجزائر العاصمة ، لنذكر مرة أخرى ببيت مفدى فى استفهامه الإنكارى :

« أبوتان : هل سيدى فرج
ـ وإن طال ليل ـ أقر « النظاما » ؟

أى « النظام الاستدمارى » : (« l'ordre colonial ») .

ولئن بدأ استغلال البلاد واستدمار العباد يوم 05 يوليو 1830م؛ ولئن فقد الشعب الجزائرى فى مقاومته الطويلة المتواصلة عدة

---

(341) محمد بن الأمير عبد القادر : نفس المرجع : ص 581 .
(342) محمد بن الأمير عبد القادر : نفس المرجع : ص 594 .

ملايين من أبنائه وبناته ، فلقد استرجع استقلاله ، واستعـاد سيادته ، وتبوأ **من جديد** مكانته بـين الأمم ، كأمة حـرة ، **من جديد** ، مستقلـة ، **من جديـد** ، ذات سيادة ، **من جديـد** ، عزيزة الجانب ، موفورة الكرامة ، **من جديد** ، « وعاش الحديد يفل الحديد » !

تشكيكات وتشككات سخيفة :

دولة جزائرية أم ولايـة تركية ؟

1) أول المآخذ التي يأخذها بعض «الناس» على أولئك الدايات أنهم « وإن كانوا حقا أبطالا مغاوير ، وسادة عظاما قماقم ، فلم يكونوا جزائريين » !

الجزء الأول من هذا الكلام حق : فقد كان الدايات حقا أسودا ، وغيرهم الذئاب والثعالب ، وكانوا فعلا نسـورا وصقورا ، والمستفزون لهم بغاث الطير :

فكـانـوا البغـاة وكنـا المنـايـا

وكانـوا البغـاث فكنـا الكـواسـر !

كما يقول مفدي !

وكانت القصبة الخالـدة عرين الأسـود ، وعش العقبـان والصقور الكواسر ، لا تقل في مناعتها فعالية ورمزية عن جبالنا في الشمال والجنوب ، ولا عن أعماق صحرائنا ، إذ كانت مـع هذه وتلك حصننا الحصين !

إيه ، قصبتنا الخالدة ، إنك حقا لخالدة ، وينبغي أن تبـقى خالدة خلود الإنسان !

يقول أبو الطيب المتنبى :

ولـيس يصـح فـى الأذهـان شىء
إذا احتـاج النهـار إلى دليـل !

وإذا كان من العبث أن يستدل على طلوع الشمس فى رابعة النهار ، فليس من العبث كله ، بل إن ذلك الاستدلال أحيانا ضرورى ، ومن الضرورى جدا !

وكما قال الإمام علي ، كرم الله وجهه ، لأصحابه ، ذات يوم ، ما معنـاه :

« ما بال أقوام لا يملون من قول الباطل وفعله ، وأنتـم تكلون من الدفاع عن الحق ؟ » (343) ›:

يقول الكثير ، ويكتبون هناك ، وأحيانا أيضا هنا ، بدون كلل ولا ملل ، إلى اليوم ، إن تلك الدولة التى حكمت الجزائر أثناء القرون الثلاثة الأخيرة قبل العدوان الفرنسى ، سنة 1830م ، ولئن كانت عظيمة ، أو كانت لها جوانب من العظمة ، ـ أو مهما كانت ـ فليست جزائرية حقا ، بل هى « ولاية تركية » ، جزء من الأمبراطورية العثمانية ... وفى أحسن الأحوال ، عنـد أصحاب أطيب النوايا ، : هى « دولة تركية » ، «إيالة عثمانية» ، « جـزء لا يتجزأ مـن الخلافـة العثمانية » ... حسب نوعية الثرثارين والمخربشين ، هناك ثم هنا !

وكأن ليس لنا من كيان ذاتى ، لعجز فطـرى ، أو خلقى ـ (بكسر الخاء ، أى بحكم خلقتنا ـ ولد معنا) على إقامة كيان ذاتى ، وإنشاء دولة وطنية ! وبعضهم لم يتردد أمام الجـزم ،

---

(343) الإمام علي : نهج البلاغة .

وقالها بالحرف ، مثل غوتييه ، الذى استعمل صيغة معناها «العجز الفطرى» ، أو الخلقى (بكسر الخاء) ، « الحتمى » (344)!
(« inaptitude congénitale ») !

وكأنه حكم علينا ــ ومن الحكم ؟ ــ أو قدر علينا ، ألا يكون لنا من كيان ذاتي ، بل أن نكون دوما جزءا من شيء آخر ، من كيان آخر ، غيرنا ، وفوقنا ، لا من ذاتنا : فبالأمس البعيد كنا « جزءًا لا يتجزأ من الأمبراطورية البونيقية (الفينيقية) » ؛ ثم « جزءًا لا يتجزأ من الأمبراطورية الرومانية » ؛ وفى العصر الحديث «ولاية (جزء لا يتجزأ) من الأمبراطورية العثمانية ...» إلى أن « جاءت البنت البكر لروما : فرنسا ، فاستلمت المشعل من أمها ، وتولت الإرث ، بأسلم الطرق « الشرعية » الممكنة ، واستأنفت إدارة الجزائر ، بل إلحاقها بها ، تبعا لأمها روما ... وكل ما خلاها باطل ، وكل ما قبلها ــ عدا روما ــ زائل !

إن هؤلاء الثرثارين والمخربشين لا يكلون إلى اليوم من تكرار هذه السخافات ، ولا يملون ولا يتحرجون حتى الآن من معارضة الحقائق ، حتى التى فى وثائقهم ومصادرهم الرسمية ــ وآخر غراب نعق بذلك السخف صحافى فرنسى فى جريدة « يومية باريس » أخيرا ، ردا على حديث للمناضل سعدى ياسف (345) ، منذ بضعة أشهر ، عن فيلمه « معركة الجزائر (La Bataille d'Alger) » ، الذى قال :

---

(344) E.T. Gautier : Le passé de l'Afrique du Nord (Les siècles obscurs du Maghreb), p. 10.

(345)هذا هو الترتيب الصحيح السليم لاسميه ــ الشخصى والعائلى ــ « سعدى ياسف » ــ ، ولكل اسم فى أى بلد من القارات الخمس ، وليس كما نعوج نحن فى الجزائر ــ وفى الجزائر وحدها فى الدنيا ــ ترتيب الأسماء ، ونعكس الوضع المتعارف عليه عالميا ! فالاسم الشخصى يحب ان يكون قبل الاسم العائلى !

« إنى لو كان علي أن أعيد ما قمت به أثناء الكفاح التحريرى المسلح ، لأعدته ، لأن بـــلادى كانت ضحيـــة عدوان غزاها سنة 1830 ... » .

فعلق عليه صحافى فرنسى عنصرى ، حاقد حتى اليــوم ، مخربشـــا :

« إنها لجملة سخيفة هــذه ... حيث إن الجزائر قبل 1830 م كانت جزائر تركية ، ولم تكن مستقلة إطلاقا» (346)... وهذا فى آخر سنة 1982 م ! لهذا كله فعلينا نحن ألا نكل مـــن دحض تلك الأباطيل والمزاعم ، وألا نمل من تصحيح ذلك التزييف للتاريـــخ !

وذلك أن « دولة الجزائريين » ، التى بَعثها بابا عرّوج ، بهذا الاسم ، سنة 1516 م ، لم تكن « إيالـــة »،ولا عيالة ، ولا خيالة ، ولا ذيالة ، ولا سيالة ، ولا شيالة (حمالة) ، لأحد ، ولا جــزء منه ، ولا تابعة له ، ولا ملحقة به ! هى دولة جزائرية خالصة ، ولم تكن إلا حلقة فى السلسلة الطويلة من الدول الجزائريـــة السابقة ــ عدا العهد الأول بعد الفتح الإسلامى ــ واللاحقة ، من الدولة النوميدية ؛ إلى الرستمية ؛ إلى الزيرية ــ الحمادية ؛ إلى الزيانية ؛ إلى الجمهورية الجزائرية الحديثـــة ، التى نحـــن بصددها ؛ إلى دولة الأمير عبد القادر ؛ إلى الحكومـــة المؤقتـــة للجمهورية الجزائرية ؛ ثم أخـــيرا إلى الجمهورية الجزائريـــة الديمقراطية الشعبية !

وإن رسائل لويس الرابع عشر ، وغيره مـــن ملوك ورؤساء دولة فرنسا فيما بعد، إلى دايات الجزائر (347)، والمعاهدات التى

---

(346) Jean-Marc Kalflèche in : Le Quotidien de Paris n° 878, mercredi 22 sept. 1982.
(347) Plantet : Correspondance des Deysd'Alger avec la Cour de France pp. 33, 34, 35, وغيرها كثيرة ، فى كتاب من مجلدين ضخمين فى حوالى ألـــف ومائتى صفحة (1179 بالضبط !) .

عقدها هؤلاء معهم ومع غيرهم من ملوك ورؤساء دول أخرى ، مثل هولاندا ، وأنكلترا ، والأمبراطورية الألمانية (النمسا) ؛ وهامبورغ ، والسويد ، والدانمارك ، الخ ـ فلتراجع القائمة الاستعراضية المفصلة التي أوردناها ـ لتذكر صيغة « **جمهورية الجزائر** »، أو « الجمهورية الجزائرية » ، وبخصوص فرنسا : فنكتفي بذكر عدد المرات التي ذكرت فيها صيغة « داى ومملكة الجزائر » في معاهدة واحدة ـ كمثل فقط ـ :

ففي معاهدة الداى شعبان مع لويس الرابع عشر ، يوم 19 سبتمبر 1689 م ، كان عنوان ـ أو براعة استهلال ـ المعاهدة هكـذا :

« معاهدة بين الملك المسيحى جدا ، **الأمير** لويس ، الرابع عشر بالاسم ، أمبراطور فرنسا ونبرة (Navarre) ، مع الأمجد المشهور جـــدا (le Très Illustre) **الداى شعبان** ، داى مدينة ومملكة **الجزائـــر** (« Dey de la ville et Royaume d'Alger »). وكانت مادتها **الثالثة هكذا** :

« ستسود السلم في المستقبل بين أمبراطور فرنسا والأمجد المشهور جدا داى مدينة ومملكـــة الجزائر ، ستسود السلـم والتجارة المتبادلة بين رعايا المملكتين » (348). وقد ذكرت صيغة **مملكة الجزائر** في هذه المعاهدة وحدها خمس عشرة (15) مرة !

وإن الرسائل التي بعث بها لويس الرابع عشر وغيره مـن ملوك فرنسا وقادة جمهوريتها الأولى إلى دايات الجزائر لتطفح بصيغ مثل « جمهورية الجزائر » و « جمهوريتكم » ، فلتراجع في المصدر المذكور (349) .

---

(348) Devoulx : ibid, p. 10.
(349) Plantet : ibid, 2 vol.

ثم إن جميع المعاهدات التى عقدتها الجزائر طوال تلك القرون الثلاثة لم تعقدها إلا باسمها ، ولا ذكر فيها للدولة العثمانية ، ولا لاسطنبول ، ولا الآستانة ، ولا الباب العالى ...، أو الخليفة ، ولا للسلطان ، وما على الإنسان المتشكك إلا الرجوع إليها للتأكد منها بنفسه !

بل نجد أبلغ من ذلك فى الدلالة : فكثيرا ما كانت سياسة الجزائر وسياسة الباب العالى تتعارضان : ولنكتف هنا بمثل واحد فى سياق العلاقات الجزائرية الفرنسية ، والعلاقات العثمانية الفرنسية ، بالضبط : فبينما كانت الجزائر أول دولة اعترفت بالجمهورية الفرنسية ، وأمدتها ، زيادة على هذا التأييد الدبلوماسى ، بما أمدتها به ـ كما ذكرنا ـ من عون مادى ، ومالى ، واستراتيجى ، كانت الخلافة العثمانية طرفا فى بعض تلك التكتلات السبعة ضد الثورة الفرنسية وجمهوريتها، وبالتالى فلم تعترف بها إلا بعد أن اعترفت بها الجزائر !

ويقول دوغرامون :

« ولقد كان الديوان (أى مجلس الجمهورية الجزائرية المتكون من الداى ، والخزناجى (أى الوزير الأول) ، وقائد الحرس ، (أى جيش المشاة والفرسان) ، وأمير البحر ، (أى رئيس « الرياس » البحريين أو قادة البحرية) ، والمفتيين (الحنفى والمالكى) سيدا مطلقا فى الحل والربط لدى إعلان الحرب ، وعقد السلم ، والأحلاف ، والمعاهدات ، ولم يكن يهتم إلا قليلا بمعرفة ما إذا كان قراره ذلك يطابق أم يعارض سياسة الباب العالى»(350) .

(350) De Grammont : ibid, p. 126.

ويعزز بلانطى هذا الرأي فيقول :

« لقد أخذ الجزائريون (*Les Algériens*) ، ابتداء من سنة 1671 م، ينتخبون بأنفسهم رئيس دولتهم ، مدشنين بذلك عهد الدايات، بدون إذن من الباب العالى . ولـــم يعودوا يتركـون لمبعوثى السلطان إلا وظائف شرفية (وهو لقب الباشا الذى ألغى فيما بعد ، وطرد آخر باشا ، ووضع في سفينة إلى اسطنبول) .

« وقـد رأينا من وثائق سنة 1688 م كيف لم يسمح (الداى شعبان) للباشا إسماعيل ، مبعوث السلطان ، حتى بالنزول من السفينة في ميناء الجزائر .

« ثم ، ابتداء من سنة 1710 م، أخذ الداى ومساعدوه يطردون بالقوة ممثلى الباب العالى ، تاركين للدايات وحدهم السيـادة المطلقة فى السلطة .

« وفي الوقت الذى نحن بصدده ، كان على مبعوثى السلطان (الباب العالى) إلى الجزائـر أن يعتبـروا أنفسهم سعـداء إذا ما استقبلوا بقدر من الاحترام ، بدون أى بصيص من أمـل **إطـلاقـا** في أى نجاح للمهمات التي يأتون من أجلها إلى الجزائر مبعوثين من السلطان » (351) و (352) .

بل ونجد نفس المؤرخ يجسم هذا الاستقلال من الدايات عن السلطان العثمانى ، أو هذا العجز من السلطان العثمانى أمام دايات الجزائر ، بتعبير فكاهى أورده فى مقدمة كتابه :

يقول فيه عـن دايـات الجزائـر :

« وماذا تستطيع الدول الأوروبية أمام هؤلاء الناس (ces gens)، **الذين ينتفون لحى مبعوثى السلطـان (العثمانى) ويمزقون**

(351) انظر الشكل رقم : 196 أ ، 196 ب .

(352) Plantet : ibid, pp. 333-334.

sans se fier aux lettres de cet Intendant, ait voulu envoyer en ce pays pour s'informer de la vérité, il a impunément attaqué toute la terre. Lorsque nous avons écrit des lettres, il les a changées, et plusieurs fois il a fait écrire des lettres en Turc, par des *renégats des galères, sous notre nom*, auxquelles il faisait appliquer un cachet comme le nôtre qu'il avait fait graver et contrefaire, et il trompait ainsi l'un et l'autre parti [1]. Ce sont là des actions iniques et nous en sommes très bien informé, avec toutes les circonstances, tant par les esclaves qui sont de retour ici que par vos propres sujets. Il est vrai que nous sommes resté dans l'étonnement de voir que l'on puisse confier les affaires de l'État et même l'Intendance d'un port à des gens si scélérats. C'est un homme qui fait ses efforts pour vous rendre ennemi toute la terre.

Nous vous dirons donc, ô notre très sincère ami, comme il est marqué ci-dessus, que toute la Milice et les Seigneurs du Divan se sont assemblés dans la persuasion et la connaissance qu'ils ont de votre sagesse, prudence, équité et justice, et de l'aversion que vous avez pour les gens qui ne marchent pas droit; ils vous prient tous d'une voix d'avoir la bonté d'envoyer ici les biens de Ben Choukir, afin qu'ils lui soient remis publiquement entre les mains, comme il est juste.

C'est pour ce sujet que nous avons écrit cette lettre et que nous la renvoyons à votre Excellence. Faites donc exécuter la justice en cette occasion comme Dieu l'ordonne. Et, à l'égard des affaires que vous pourrez avoir à Tunis et quelque dessein que vous ayez de ce côté-là, sachez que les recommandations d'Alger y sont plus exactement suivies et qu'elles y ont plus de force et de crédit que les paroles du Capidji Bachi qui y a été envoyé par la Porte ottomane [2], que vos affaires présentes

1. La fermeté de M. de Vauvré à l'égard des Algériens lui valait ces injurieuses imputations. La contrefaçon dont on l'accusait ici était, comme on l'a vu p. 174, le fait de Mercadier, l'ancien Consul de la nation française, révoqué le 8 février 1690. (Voy. la note 1, p. 209.)

2. Les Algériens avaient commencé par élire eux-mêmes, en 1671, le chef de la Régence, inaugurant ainsi le régime des Deys sans l'autorisation de la Porte ottomane et ne laissant aux Pachas triennaux, délégués du Sultan, que des fonctions honorifiques. En 1688, nous avons lu les plaintes du Pacha Ismaïl, envoyé par le Grand Seigneur pour remplacer Hadji Hussein, et mis par ce dernier dans l'impossibilité de débarquer à Alger. (Voy. p. 150.) A partir de 1710, on verra les Puissances expulser de vive force les représentants de la Porte et attribuer aux Deys seuls la souveraineté absolue du pouvoir. A l'époque où nous nous trouvons, les Capidjis du Grand Seigneur devaient s'estimer heureux d'être encore accueillis avec quelque respect, sans pouvoir espérer d'ailleurs aucun succès dans leurs missions.

1. *Archives de la Marine.* (*Levant et Barbarie*, B[7] 214 et 215.)

y seront terminées et qu'on vous y fera justice par notre moyen, parce que nos trois États sont comme trois frères dont Alger est l'aîné. Les conseils et les paroles que nous nous donnerons seront exécutés réciproquement. Notre intention en ceci n'étant que de vous témoigner de l'amitié et de rendre service à l'Empereur de France, faites une sérieuse réflexion à tout ce que j'ai le bien de vous dire, pendant que le sieur Dusault, votre serviteur, est encore en ce pays. Comme c'est un homme judicieux et prudent, nous lui avons d'abord fait connaître nos intentions dans toute cette affaire, et ensuite nous vous les avons écrites dans cette lettre. Nous ne la ferons pas plus longue, pour prier Dieu qu'il prolonge vos jours et qu'il augmente votre puissance et votre affection pour nous.

Écrit le 3e jour de la lune de Zilhidjé, l'an 1202, qui est le 27 août 1691.

(Sceau)

CHABAN,
Dey d'Alger.

الشكل رقم : (196) ب

أوامــره ؟ » (353) « وأمام هذه الجمهورية (« cette République »)، التي قاومت هجمات النصرانية (la Chrétienté)(أي الدول المسيحية أو الأوروبية) طيلة أكثر من ثلاثة قرون متوالية ؟ » (354) و (355).

تبقى حقيقتان :

1) **إحداهما** أن الدولة العثمانية ساعدتنا في الأول ، لدى المنطلق ، عندما طلب منها ذلك عروج وخير الديــن اللــذان استقدمناهما، وطلبناهما، ولم ياتيا غازيين، محتلين (356)و(357) (مع شقيقيهما إلياس وإسحاق) ، بل بطلب منا ، أمــام المــد الصليبي الجارف ، إثر سقوط غرناطة ، الذي شمل أغلب مدن سواحلنا ــ وسواحل المغرب ، وتونس ، وليبيا ــ ، وأمام تبعثر السلطة في الجزائر إلى عشرين أميرة (بضــم الألف المهمــوزة وتصغير الاسم) ، بعد تفتت بقايا دولة إيغمراسن بن زيان ، البطل الصنديد .

2) **والثانيــة** أن العصر كان عصر تكتل الــدول النصرانية كلها تحت السلطة «الروحية» ــ بل والسلطة السياسية المباشرة،

---

(353) Plantet : ibid, p. LXI (Introduction).
(354) Plantet : ibid, p. XV (Introduction).

(355) ويذكر « جمهورية الجزائر » هــذه مرارا أخرى في المقدمة ، خاصة في صفحات : 7 ، و 14 ، و 15 هكذا : « la République d'Alger ». بل ويزيد على ذلك خطوة ، في لحظــة انفلات القلم بما تخفي الصدور ــ مصداقا لقوله تعالى : **« قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر »** ــ فقال : « هذه الجمهورية الغريبة (cette étrange République) » في الصفحة 7 من المقدمة .

وعلى كل : جمهورية غريبة ، أو عجيبة ... فقــد سبقت الجمهورية الفرنسية بأكثر مــن قــــرن ... واعترفت بهــا ... وساعدتها ... وأسعفتها ، بل أنقذتها ، وهم الذين يقولون هذا . ويعترفون به !

(356) ذكرنا جــزم احمد بن ابي الضياف ، المؤرخ التونسي ، بهذا ، ويدعمه مؤرخ فرنسي هــو :

(357) Galibert : ibid, p. 189.

فى كثير من الأحيان ــ للبابـا ، فى أوروبا كلها (التى كانت الكاثوليكية هى السائدة فيها ، بل وحدها فى الميدان ، والفرق الأرثودكسية الضعيفة المبعثرة ، خاصة فى شرق أوروبا ، كانت متحالفة معها ، والبروتستانتية لم توجد بعد !) .

وقد ازدادت سيطرة الكنيسة ، مع الزمن ، على الحكم والحكام فى أعقاب الحروب الصليبية ، التى لا يحدد عددها بتسـع أو عشر ، بل هى أكثر ــ كما يقولون هـم أنفسهـم ــ . إن تلك الحروب الصليبية قادها ملوك فرنسا ، وأنكلتــرا ، وألمانيـا ، وغيرهم ... وتكفى نظرة خاطفة الى الألقاب الرسمية لأغلـب ملوك أوروبا ، حتى فى عصور متأخرة جدا ، للتأكد من صحة ما نقــول :

ــ **الأمبراطورية الألمانية الرومانية المقدسة :**

Das *Heilige* Deutsch-Roemische Reich

(فيينا ، ثم مدريد ، ثم فيينا من جديد) .

Sa Majesté l'Impératrice d'Autriche, Reine *Apostolique* de Hongrie et de Bohème :

ــ جلالة أمبراطورة النمسا، الملكة الرسولية للمجر وبوهيميا (تشيكوسلوفاكيا) .

Le Roi de la Grande Bretagne, par la grâce de Dieu, défenseur de la foi :

ــ ملك بريطانيا ، المدافع عن الدين بحمد الله .

الملك المسيحى جدا ، فرانسوة الأول ، ملك فرنسا :

Le Roi très-Chrétien François 1er, Roi de France.

صاحب الجلالة المسيحية جدا لويس الرابع عشر ، ملك فرنسا ونبـرة :

Sa Majesté très-Chrétienne Louis XIV, roi de France et de Navarre.

جلالة الوفية جدا (للدين) (البرتغال):
Sa Majesté très-fidèle (Portugal)

جلالته الكاثوليكية (اسبانيا)
Sa Majesté Catholique (Espagne)

وهؤلاء كلهم ، مع استقلالهم كملوك ، وأباطرة ، كانوا خاضعين للسلطة الروحية للبابا ، وتحت سلطته المباشرة فى ظروف الشدة ، كقوة متراصة ، موحدة . وما غارة شارلكان ، الأمبراطور الألمانى ، ملك اسبانيا ، وأمريكا اللاتينية ، وهولاندا ، ... و ... ، - بأمر من البابا وبإصدار مرسوم منه بذلك يعلنها صليبية - ، وبقوات من ألمانيا، وفرنسا، واسبانيا، وإيطاليا ، وبلجيكا ، ومالطا ، وغيرها ، سنة 1541 م، على الجزائر إلا أكبر دليل على ذلك !

ومن هنا كانت الخلافة العثمانية تمثل العقد الذى تنتظم فيه البلاد الإسلامية ودولها ، فى ظروف الشدة ، فى مواجهة تكتل النصرانية تحت إشراف البابا (358) و (359) و (360) .

ولم يكن للجزائر من تبعية للخلافة العثمانية ، ولا من جزئية منها ، إلا بهذا المعنى ، كأغلب البلدان والدول الإسلامية الأخرى : طاعة روحية ، وتضامن عسكرى ، أمام الدول النصرانية المنضوية تحت السلطة الروحية للبابا !

وقد قلنا إن الجزائر تمتاز عن أغلب تلك البلدان الإسلامية الأخرى بأنها كانت تعلن الحرب ، وتمضى السلم ، وتعقد المعاهدات ، وتقيم التحالفات ، بمطلق سيادتها ، وحرية تصرفها،

---

(358) انظر الشكل رقم : 197 .
(359) انظر الشكل رقم : 198 .
(360) انظر الشكل رقم : 199 .

الشكل رقم : (197)



السلطان الغازي

عثمان خان الأول [1]

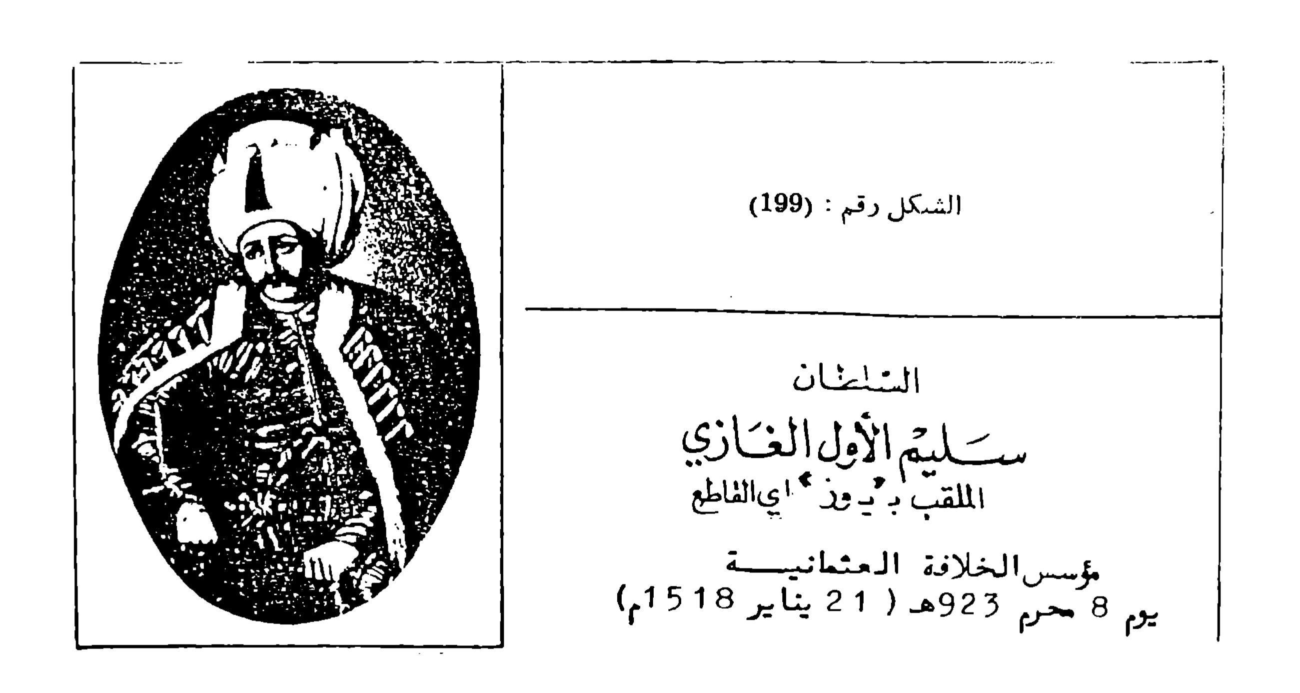
(مؤسس الدولة العثمانية ،
سنة 699هـ 1300م)

الشكل رقم : (198)



السّلطان الغـازي
محمّد الثاني الفاتح

فاتح القسطنطينية ، يوم 20
جمادى الأولى 857هـ (29 مايو 1453م)



الشكل رقم : (199)

وليس بتفويض من الخلافة ، بل وأنها كثيرا ما عارضت سياستها !

فنحن نعترف إذن بجميل الخلافة العثمانية ، ولكننا لم نكن إيالة لها ، ولا جزءا منها ، ولا تابعين لها ، وإنما ساعدتنا وساعدناها ، كما ذكرنا لذلك أمثلة عدة : لم يكن إلا هذا ، ولا شيء غير هذا إطلاقا وألبتة !

ومن هنا صدق المرحوم مفدى ، مرة أخرى ، إذ يقول في إلياذته ، إلياذتنا جميعا ، إلياذة الجزائر :

« وآزرنا الترك حتى انتصرنا ولم يخفر الترك ماضي العهود

وقمنا نسوس البلاد بعدل ونسدى الجميل ونرعى الحدود

ولم نك للترك بالتابعين ، وإن عززوا سعينا بالجهود

ونحن أناس نعد الجميل ، ونرعى ذمام الصديق الودود » (361).

استبداد ، وإقطاع ، وشره ، وبذخ ، وعدم اكتراث

أم

شورى وديمقراطية ، وبساطة في العيش ، بل تقشف وحرمان ، مع روح وطنية وفداء ؟

2) والمأخذ الثاني الذى يأخذه بعضهم « هناك » ، وآخرون هنا ، أيضا ، مع الأسف ، على الدولة الجزائرية في العهد العثماني ، يتمثل في زعمهم « أن نظام حكمها إقطاعي ، مستبد ؛ وأن رؤساءها مستغلون للجزائر ، يهمهم ما يأخذونه منها بسرعة ؛ يعيشون في ترف وبذخ ؛ ثم لا يهمهم بعد ذلك من أمر البلاد ومصير العباد شيء إطلاقا » !

(361) مفدى زكرياء : إلياذة الجزائر ، ج 1 من كتاب الملتقى السادس للفكر الاسلامي ، ص 60 .

ولكننا إذ نستقى معلوماتنا من مصادر أوروبية ، وبالدرجة الأولى فرنسية ، نجد عكس ذلك ، تماما ، أحيانا بين السطور ، وكأن تلك الحقائق انفلتت منهم بدون قصد ، وانزلق بها القلم كما ينزلق اللسان ... وأحيانا أخرى بصريح العبارة ، ونفضل أن نعـد هذا الجانب الثانى لصالح انتفاضات روح النزاهـة العلمية ، والموضوعية ، والصدق عند العلماء من حين لآخر !

فالإقطاع والاستبداد ، إن كانا ـ وقـد كانا ! ـ لم تنفرد الجزائر بهما ، بـل كانا ظاهرة عالميـة ، سائـدة فى أوروبا بالذات ، وحتى اسمهما فهو أوروبى بحت ، والاسم يوجد دوما بعد المسمى ، كما هو معلوم !

أفلم تقم الثورة الفرنسية ، وثورات أخرى بعدها بكثير ، بالدرجة الأولى ضد الإقطاع والاستبداد ؟

على أننا نسجل لأولئك الدايات ـ لصالحهم ـ معتمدين فى ذلك عـلى المراجع المشار إليها ـ أنهم لم يكونوا كلهم كذلك ، والذين كانوه لم يكونوه دائما ؛ بل لم يكونوه إطلاقا ، أو لم يكـونوه إلا فى النـادر القليـل ، كالاستثناءات النحـوية ، والصرفية ، والبلاغية ... وغيرها ، التى تؤكد صحة القاعدة ، والقاعدة أنهم كانوا نزهاء ، مخلصين للدفاع عن البلاد ، يحيون حياة تقشف ، بـل وزهد ، بروح أداء رسالة : رسالة الدفاع ، والجهاد ، فى دار الجهاد ، عن شرف الأمة الجزائرية ، ضد الغزو الأجنبى ، أو عـلى الأصح : عـن الإسلام ضـد المـد الصليبى والصليبيين ، أو ضد الكفار ، كما يقول الداى عمـر ، مثلا !
نعـــم !

نذكر كلنا كيف استشهد إلياس فى بجاية فى الجهاد لطـرد الإسبان ؛ وكيف فقد عروج ذراعه فى نفس المعركة ، ثم قهر

دييغو دى فيرا فى الجزائر العاصمة ، وطرده منها والإسبان ، ثم قارعهم فى تلمسان ، حتى استشهد ؛ وكيف استشهد شقيقهم الثالث : إسحاق ، فى مقارعة الإسبان فى قلعة بنى راشد ؛ ثلاثة منهم استشهدوا على أديم هذه البلاد ، دفاعا عن دينها وشرفها !

وكيف دحر خير الدين ، وهو رابعهم وآخرهم ، هوغو دى منكادا فى الجزائر ، وطرده منها ؛ ثم غزا الإسبان فى عقر دارهم ، من حيث أنقذ مئات الآلاف (جوليان يذكر أكثر من سبعين ألفا ، وآخرون يذكرون حوالى المليون !) من الأندلسيين إلى الجزائر ، كما يشهد على ذلك حيى الثغريين عندنا فى العاصمة وبقاياهم فى وهران ، وتلمسان ، وشرشال ، وتنس ، وبنى حواء (برشك) ، والقليعة ، والعاصمة ، والبليدة ، ودلس ، وبجاية ، وجيجل ، وقسنطينة ، وعنابة ، وتونس ...

ونذكر كيف قاد أمثال صالح رايس ، وحسن بن خير الدين ، معركة تحرير بجاية ، بالنسبة للأول ، ومستغانم ، بالنسبة للثانى ، وحرراهما ؛ ونذكر كيف قاد حسن آغا بنفسه المعركة ضد غارة شارلكان على الجزائر العاصمة سنة 1541 ، وكيف دحره ، ورده منكوصا ؛ وكيف ذهب علي قلش من الجزائر حتى تونس فحررها ؛ وكيف جابه الحاج حسين (ميزومورتو) الحملات الفرنسية ، وجرح فى رأسه ، ولكنه طاردها وطردها ؛ وكيف قابل شعبان حملات أخرى حتى من بلدان شقيقة ، وردها منكوصة على أعقابها ؛ وكيف أكد المؤرخ السويدى ريفتيليوس على « حرص الدايات ، الذى لم يهدأ » ، على تحرير وهران بعد أن كان قد تمركز الإسبان فيها قبل وصول عروج وخير الدين وأخويهما ، حتى نجح محمد بكداش وبايه فى معسكر ، مصطفى أبو شلاغم ، فى طردهم للمرة الأولى ؛ وكيف مات محمد كور

عبدى حزنا وغما ـ وقد تجاوز الثمانين ـ من مباغتة الإسبان بايه على وهران ، وكيف أرسل بابنه فداء إليها ؛ وكيف قابل محمد عثمان ـ وهو شيخ قد تجاوز الثمانين ! ـ حملات الإسبان سنتى 1783 و 1784 على العاصمة ، وهزمهم ، ثم طاردهم فى وهران ، هو ، ثم خلفه الداى حسن وبايهما على معسكر ، محمد ابن عثمان الكبير ، وخرج الإسبان نهائيا بالصفة التى رأيناها ؛ وكيف استشهد الرايس حميدو فى مقارعة الأمريكان فى البحر ؛ وكيف واجه الداى عمر بنفسه ـ مثل سابقيه ـ قنابل الأنكليز والهولانديين ، حتى جرح فى رأسه ؛ ورأينا ورأينا كيف وكيف ... !

هذا عن « عدم الاهتمام بأمر البلاد ومصير العباد » .

أما عن حياة البذخ ، والترف ، والشره فى جمع المال ، فيجيبنا عن الموضوع مؤرخون من فرنسا نفسها ، وأمريكا ، والسويد ، وألمانيا ، بعكس هذا تماما ، وقد أوردنا لذلك نصوصا : عن الشره على جمع المال بالضبط ، وكيف أنهم كانوا يشترطون فى نصوص المعاهدات ، بل وحتى قبل عقد المعاهدات ، أن تكون الإتاوات لا بالمال ، بل ، بالدرجة الأولى ، بالعتاد الحربى ، والسفن ، ومختلف التجهيزات البحرية والحربية ، ولنكتف هنا بالتذكير بثلاثة أمثلة فقط :

1) الداى محمد عثمان ، الذى قال سنة 1786 م للقنصل البريطانى Logie : « إنى لا اعقد معاهدة سلم مع أمريكا بالمال » ، ورفض استقبال الوفد الأمريكى الرسمى (362) .

2) الداى حسن ، الذى رفض أن يعقد معاهدة سلم مع المبعوث الخاص لجورج واشنطن ، نفس الرئيس الأول للولايات

---

(362) Barnbay : ibid, p. 74.

المتحدة الأمريكية ، إذ قال سنة 1792 م لرجل الأعمال السويدى شولدوبراند (363) Skjoeldebrand ، شقيق القنصل السويدى فى الجزائر ، : « إنه (الداى حسن) لن يتفاوض مع أمريكا حتى لو دفعت له كل الملايين » (364) .

3) الداى الحاج علي، الذى يقول عنه المؤرخ الأمريكى إروين إنــه أعلن حربا عــلى أمريكا سنة 1813 م لأنها عدلت عن دفـع بقية الإتاوة بالعتاد ، واقترحت أن يكون بالدولار ، فرفض الداى الحاج علي وقال إنه « فى غير حاجة إلى « دولاركم » ، وألح على ضرورة تسديد بقية الإتاوة المتفق عليها بالعتاد ، حسب المتفق عليه لدى عقد معاهدة 1795 » (365) .

كان من الأسهل عليه أن يأخذ الدولار ، ويبعث به إلى الخارج، ولكنه رفض ، وأصر على العتاد الذى يبقى فى البلاد وللبلاد ! أهذه وطنية ، أم شره وتكالب عــلى المــال ، لتهريبه مثلا إلى اسطنبول ، أو أزمير ، أو قونيا، أو إلى أى مكان آخر فى أرضروم أو الأناضول ؟ بل إننا نجد « أن الدايات لا يستطيعون مجرد زيارة دار الخزينة إلا بحضور الخزناجى ، أى وزير الماليــة ، الوزير الأول فى الوقت نفسه » (366) .

واختم هذا الفصل بمثلين اثنين عن حياة الدايات : الأول عن داى بعينه ، يعطينا عنه صورة كاملة جلية وجميلة ، ثم عن الآخرين عموما ؛ والثانى عن الدايات عموما ، وبين المؤرخين : السويدى والألمانى، قرنان كاملان وعشرية تامة: 1732 ـ 1942م!

يقول ريفتيليوس (السويدى) عن الداى محمد كور عبدى :

---

(363) ينطق شولدبراند ، لا سكولدبراند ، كما كتبه أحد الإخوة خطأ .
(364) Irwin : ibid, p. 94.
(365) Irwin : ibid, p. 243.
(366) Galibert : ibid, p. 325.

« ارتقى الداى عبدى من القاعدة جميع درجات السلم ، حتى أصبح واليا على جنوب الجزائر ، ثم عين فريقا (جنرالا) لجيش الفرسان ، وأخيرا **انتخب دايا رغم أنفه** ، وهو فى السبعين .

« وكان مشهورا بالشجاعة ، والكفاءة ، ومثال الاستقامة ، والصرامة ، والغيرة على الوطن » (367) .

« ولقد أثر فيه سقوط وهران بأيدى الإسبان ، بسبب غفلة بايها ، سنة 1732 م .

« وكان تأثير ضياع مثل هذه المدينة : وهران ، وهو فى مثل هذه السن ، عليه من الشدة بحيث انغلق على نفسه ، وانزوى عن الناس ، ومات حزنا وأسى عند منتصف النهار من يوم 23 أوت 1732 م . وقد كان حريصا على صداقته للكنا ، جلالة فريدريك الأول » (368) .

ثم يقول عن حياته :

« وكان لا يخرج إلا قليلا ، ولكن عندما يخرج فراجلا ، يرافقه عدد من الضباط .

« وكذلك زوجته عندما تخرج فعلى قدميها ، ومعها مرافقات، ولا تعيش معه ، ولا أولاده يشاركونه الإقامة فى القصر الحكومى .

« وقد استغربت بساطة العشاء الرسمى الذى أقامه للوفد الرسمى السويدى ـ وكان لى شرف المشاركة فى ذلك العشاء ، الذى شاركنا هو نفسه فيه ـ إذ لم يقدم لنا إلا الخبز والجبن ، لا غير !

(367) Reftelius : ibid, t. 2, p. 322.
(368) Reftelius : ibid, t. 2, p. 323.

« ونفس الشيء عن أدوات شربه ، ولباسه ، وسريره : البساطة التامة ! » (369) .

« ونفس البساطة بالنسبة للدايات عموما : فلباس زوجاتهم كان البساطة دائما ، ويتجنبون لهن لباس الترف والبذخ .

« وزوجات الدايات لا يسكن مع أزواجهن في القصر ، ولا أولادهم . وقلما يتزوج الدايات إذا لم يكونوا متزوجين قبل أن ينتخبوا . والذى يصبح دايا وهو أعزب ثم يتزوج فلا يصحبها أيضا إلى قصر الحكومة » (370) .

« ونفس البساطة أيضا بالنسبة للبايات في الولايات ، فلا تعيش زوجاتهم ولا أولادهم معهم في قصور الحكومة .

« ونفس البساطة أيضا لديهم ، كما عند الدايات » (371) .

أما الألمانى سيميونوف ، فهو يصور هذا بصفة تظهر الدايات كأنهم مشائخ الصوفية ، أمثال عبد الحق بن سبعين ، أو المرسى ، أو محيى الدين بن العربى ، أو فريد الدين العطار ، أو جلال الدين الرومى ، وأبى مدين شعيب ، وعبد الرحمن القشتولى (بوقبرين) ، ومحمد أمزيان بن الحداد (الشيخ الحداد) قبل 8 أبريل 1871 م (372) ، وأبى حامد الغزالى ، قبل هؤلاء جميعا ؛ مع امتياز الدايات عن هؤلاء بعدم انقطاعهم عن شؤون الدولة ، وبابتعادهم عن السلبية ، التى هى إحدى خصائص الصوفية ، الذين يتركون الأمور تسير سبهللا ؛ بل هم (الدايات) قادة الجيوش ، والنماذج لحب العمل ، والصراع ؛ ومع ذلك كله لم يكونوا متهافتين على تولى المنصب ، بل كانوا يتجنبونه فى أغلب الأحوال ، ومنهم من فر ليلا من تولى المنصب!

(369) Reftelius : ibid, t. 2, chap. 4, p. 330.
(370) Reftelius : ibid, t. 2, chap. 4, p. 331.
(371) Reftelius : ibid, t. 2, chap. 8, p. 353.
(372) أى فى خلوته ، قبل دخوله معمعة 1871 مع المقرانى .

يقول المؤرخ الألماني سيميونوف ، عن نمط حياة الدايات ، ما يلى ، وهو أبلغ تعبير ، وأجمل صورة من أية لوحة لأى رسام !

يقول إذن :

« كان الدايات يحيون حياة الثكنة ، مع جنودهم ، بنفس الراتب الذى يأخذه ضباطهم .

« وحتى زواجهم فقد كان خاضعا لرخصة أولئك الضباط والجنود ، ولرقابتهم » (373) .

إنها حياة عسكرية ، متقشفة ، ضنكة ، صعبة جدا ، مرهقة، إذ عليهم أن يكونوا دوما على أهبة الاستعداد للرد على الغارات. إنها حياة الرباطات !

ويروى سيميونوف عن مؤرخ اسبانى ، لم يذكر لنا اسمه ، يصف حياتهم فيقول :

« إن الداى غنى ، ولكنه ليس المالك المتصرف فى كنوزه ؛ أب ، ولكن بدون أولاد ؛ متزوج ، بدون زوجة ؛ مستبد بدون حرية ؛ سيد عبيد ، وعبد عبيده » (374) .

هذا أبلغ رد على اتهام الدايات بالشره فى جمع المال وحياة البذخ والترف !

أما عن الاستبداد، وانعدام الشورى أو الروح الديمقراطية، كما يقال اليوم ، فقد أوردنا نصا عن كيفية عقد المعاهدات مع الدول ، مثلا عند اتخاذ القرار بإبرام إحدى المعاهدات بين الداى شعبان ولويس الرابع عشر ، للمؤرخ الفرنسى دوفو.

(373) Semjonow : ibid, p. 202.
(374) Semjonow : ibid, p. 202.

ونورد هنا ثلاثة نصوص أخرى : أحدها لمؤرخ فرنسى آخر عن إجراءات إعلان الحرب ؛ والثانى لمؤرخ ألمانى عن شكل نظام الحكم نفسه : أهو ملكية وراثية لا دخل للانتخاب فيها ، أم هو ديمقراطية أو شبه ديمقراطية ، أو أكثر من الديمقراطية ، فى ذلك العهد ، حتى بالنسبة لأوروبا ، التى تتبجح علينا اليوم بصيغ فارغة وشكليات لا محتوى لها عن الإقطاع، والديمقراطية ، والاستبداد ، والانتخابات ، وحق الاقتراع العام(suffrage universel)، وتداول الحكم ، والنظام الجمهورى ... الخ ؛ والنص الثالث لمؤرخ أمريكى عن شكل وطريقة نظام الحكم أيضا .

يقول الفرنسى ، غارو :

« وبتاريخ 18 آكتوبر 1681 م ، أعلنت الجزائر الحرب على فرنسا بإجماع أعضاء الديوان ، لعدم تطبيق فرنسا اتفاقية تبادل الأسرى (فى عهد الداى بابا حسن ولويس الرابع عشر » (375) .

هذا عن إعلان الحرب وعقد السلم . وها هو نص للمؤرخ الألمانى سيميونوف عن نظام الحكم نفسه (وقد سبق لنا أن رأينا استعمال كلمة الجمهورية فى المراسلات والمعاهدات) :

« إن دايات الجزائر لم يكونوا ملوكا شرعيين وراثيين ، بل كانوا رؤساء جمهورية عسكرية لم يبق لها فى بداية القرن التاسع عشر إلا مجرد علاقة شكلية باسطنبول » (376) .

والثالث للمؤرخ الأمريكى سبنسر عن نظام « الحكم المنفرد »، أو « الاستبداد » ، المزعومين عند الدايات :

---

(375) Garrot : ibid, p. 506.
(376) Semjonow : ibid, p. 201.

« ولم تكن هناك أية جهود جادة لربط الدولـة الجزائريـة بزعيم منفرد ، وهذا حتى فى العهد الذى أقـام فيه الدايات العلاقات الدبلوماسية النشيطة مع أوروبا » (حيث النظـــام الملكى المستبد هو السائد ، وكمثل على ذلك : لويس الرابع عشر الذى كان يقول : أنا الدولة » (« L'Etat, c'est moi ! »)

ويستمر سبنسر :

« وكما سنرى فى الفصول القادمة ، كان الدايات ، عادة ، لا يقبلون ــ وليس لهم أى ميل إلى ــ السلطة المطلقة ، ويفضلون وصف أنفسهم بــ « أدوات الله » ، أى أنهم مجرد مستخلفين فى الأرض ، ومجرد وسائل لتنفيذ إرادة الله » (377) .

لم يكن نظام الدايات إذن نظاما ملكيا وراثيا ، بل كانـوا رؤساء جمهورية عسكرية ... ينتخبون ، وما أكثرن هذا النظام اليوم فى العالم الثالث : افريقيا ، وآسيا ، وأمريكا اللاتينية ؛ وأيضا حتى اليوم فى أوروبا الشرقية ؛ وبالأمس القريب جدا فى أوروبا الغربية أيضا ، ويكفى أن نذكر الجنرال دوغول فى فرنسا ، والجنرال سالازار فى البرتغال ، والجنرال فرانكو فى اسبانيـا ...

وهل الديوان فى الجزائر كان أكثر أو أقـــل شورى ، أو ديمقراطية ، وحرية تصرف ، مــن هـــذه وتلك الأنظمة فى القارات والجهات التى ذكرناها ... فهذا محل مقارنة ، ونقاش، ونظر ... ولكننا نلاحظ فقط أنه بينما كان لويس الرابع عشر يقول : « الدولة هى أنا » أو : « أنا الدولة »(« L'Etat, c'est moi ! ») ، وكان يقرر ما يريد ، بدون أى نقاش من أحد ، كان الدايات لا يعلنون حربا ، ولا يعقدون سلما أو معاهدة ، إلا بموافقــة الديوان (وقد سبق أن رأينا أنه موسع جدا) .

---

(377) Spencer : ibid, p. 40.

يبقى أن نتساءل : هل كان ذلك النظام كاملا ؟ فنجيب بتساؤل أو سؤال : وأين النظام الكامل ؟ في أى بلد ؟ وفى أى عصر ؟ فالكمال لله ، والإيجابيات أكثر من السلبيات ، ككل عمل إنسانى قريب من الكمال، أى مثالى ، نموذجى. أما غيره...

« ثم: هل الدايات جزائريون ؟
ألم يكونوا أجانب ؟ »
لا، ليسوا أجانب !

والمأخذ الثالث الذى يؤخذ على الدايات « أنهم غير جزائريين، بل أجانب ... أتراك ، عثمانيون ، أو من شئت ، ولكنهم على كل ليسوا جزائريين ! » .

يقول المؤرخ الفرنسى إيغروطو :

« هل ينكر الجنرال دوغول سيادة دايات الجزائر ، بدعوى أنهم من أصل أجنبى ؟ ولكن مثل هذا التفكير سيؤدى بنا بعيدا، مثلا : إلى ضرورة تفسير اسم بلادنا نفسه ، فرنسا ، حيث إن اسمها هذا انحدر إلينا من تلك القبائل الجرمانية (الفرنكية)، التى أتت من الضفة اليمنى لنهر الراين (فى ألمانيا) ، وغزت غاليا La Gaule = Gallia ،(وهو الاسم القديم الشامل لفرنسا مع بلدان صغيرة مجاورة فى عهد فرسانجيتوريكس مثلا) . ومنها خرجت الأسر الأولى التى تولت الملك فى فرنسا (أى من تلك القبائل الجرمانية) » (378) و (379) .

---

(378) Egretaud : ibid, p. 42.

(379) انظر الشكل رقم : 200 .

établis entre l'Europe et l'Algérie au cours des siècles de domination turque. Cette propagande feint d'ignorer qu'au XVIIe siècle, la Régence d'Alger signa plusieurs traités avec l'Angleterre et la Hollande, qu'en 1795, les Etats-Unis d'Amérique signèrent avec la Régence un traité de paix et d'amitié. Cette propagande veut surtout cacher que, de toutes les puissances chrétiennes, c'est sans doute la France qui entretint les relations les plus étroites et les plus suivies avec l'Etat algérien. Dès 1561, la France et la Régence échangeaient des ambassadeurs. En 1595, Henri IV fit appel à Alger pour délivrer Marseille des Ligueurs. De Colbert au Directoire, les relations commerciales et diplomatiques entre la France et l'Algérie ne cessèrent de se développer. Le dey consentit même à la République française, pendant les guerres de la Révolution, des prêts sans intérêt en même temps qu'il l'approvisionnait en céréales, ce qui permit d'éviter la disette. Et c'est justement parce que les engagements souscrits par la France en cette occasion ne furent pas tenus, qu'on vit par la suite se nouer les intrigues qui aboutirent paradoxalement à l'expédition d'Alger de 1830 ! Le général de Gaulle niera peut-être la souveraineté des deys d'Alger en invoquant leur origine étrangère ? Mais un tel raisonnement pourrait nous mener loin, et par exemple à la nécessité d'expliquer le nom même de notre pays, la France, puisqu'il vient de cette peuplade germanique de la rive droite du Rhin qui envahit la Gaulle au VIe siècle, et d'où sortirent les premières dynasties ayant régné en France ! (1)

L'Etat algérien disposait d'une flotte, d'une armée, d'une police, d'un appareil administratif et judiciaire. La Régence était divisée en provinces (Alger, Oran, Médéa, Constantine), gouvernée par des beys et divisée en cantons. L'autorité des beys s'étendait en principe à toute la population de leur province. Notons qu'à l'époque, la fusion arabo-berbère était pratiquement achevée, les divisions administratives de base correspondaient la plupart du temps à l'aire occupée

(Franken - la Franconie) (les Mérovingiens et les Carolingiens)

1) Les Francs : Die Franken
Réalité de la nation algérienne
Marcel Egretaud

الشكل رقم : (200)

وعند غير فرنسا أيضا .

1) ففي فرنسا نفسها :

نعم، ولقد صدق إيفروطو : فالأسرتان الأوليان اللتان أسستا الحكم في فرنسا ، وفرنسا نفسها بمعنى الدولة ، ووحدة الشعب، وبوصولهما إلى فرنسا بدأ تاريخ فرنسا الحقيقي، وهما « الميروفانجيان « les Mérovingiens »و « الكارولانجيان « les Carolingiens»، جاءتا في بداية القرن الخامس (430 و 450) م ، من فرانكن Franken ، بالألمانية ، وبالفرنسية Franconie ، منطقة بين الماين والراين (der Rhein + der Main) ، أي من بين مدينتي فرانكفورت وكولونيا ، في ألمانيا ، لا تزال حتى اليوم تسمى Franken، التاريخية Frankenreich (مملكة الفرنكيين) .

ومن اسم هذه الجهة الألمانية وقبائلها الفرنكية جاء اسم فرنسا La France ، والشعب الفرنسي : le peuple français ، واللغة الفرنسية le français ، والفرنك le franc ، وحتى عندما كان دوغول يقول : « تحي فرنسا (« Vive la France ! ») فقد كان يستعمل اسما ألمانيا لبلاده ، « فرنسا » ، **التي يسميها الألمان ، بكل صراحة وفصاحة ، « Frankreich » أي مملكة أو أمبراطورية « الفرنكيين » من الاسم القديم « Frankenreich » الألماني للألمان !**

فما باله إذن ، دوغول، يقول عن داياتنا إنهم أجانب، أتراك، أو عثمانيون ، واقواقيون ؟ فاسم الجزائر ، على الأقل ، ليس أجنبيا ، بل نحته بلكين بن زيرى منذ أكثر من ألف سنة ، واسم الجزائريين مشتق منه ، وبالعربية ، وليس بالفرنسية ، منا ، ولم نستعره من غيرنا !

وليس هذا فحسب : بل حتى دوغول نفسه قيل إن أجداده أتوا من منطقة بادن فيرتنبرغ Baden-Wuerttemberg ، في ألمانيا أيضا !

كما أن نابليون بونابارت ، الـــذى ولد سنة 1769 م ، فى كورسيكا ، كاد يولد إيطاليا ، إذ كانت إذ ذاك إيطالية ، تابعة لجنوة ، فاشترتها فرنسا اشتراء قبل أن يولد نابليون بونابارت فيها بعامين اثنين فحسب ... وأمه ظلت تتكلــم بالإيطالية ، واستقرت فى إيطاليا ، هى وأغلب أبنائها فيما بعد ، وفيهــا ماتوا ودفنوا جميعا ... أى فى إيطاليا !

فإذا أراد الفرنسيون أن يتخلوا عن اسم بلدهم ، وشعبهم ، ولغتهم ، وستة قرون من تاريخهم ـ بل وأكثر ، حتى امتــزج أولئك الألمان ببقية الفرنسيين ... ـ ، فنحن مستعدون إذ ذاك أن نتخلى عن القرون الثلاثة للدايات ... مع أنه لا مجال إطلاقا للمقارنة ... وهم ـ أى الفرنسيون ـ الخاسرون فيها !

وهناك أمثلة مشابهة فى بلدان أوروبية أخرى ، بلجيكا ، لوكسمبورغ ... وغيرهما .

2) **وفى هولاندا** نجد أن الأسرة المالكة اليوم هى مــن أصل ألمانى ، مثل بريطانيا تماما ، وهذا ... منذ قرون حتى اليوم !

3) **ونفس الشىء بالنسبة لبلجيكا** ، منذ أكثر من قــرن إلى اليــــوم !

4) **ونفس الشىء بالنسبة للوكسمبورغ !**

5) **وفى السويد : الأسرة المالكة** ، منذ أن أسسها المريشال الفرنسى Jean-Baptiste Bernadotte سنة 1818 م ، هى من أصــل فرنسى ، إذ أن المريشال برنادوت هذا كان من ضباط نابليون، ثم تركه وذهب إلى السويد ، حيث اعتــلى العرش تحت اســم « كارل الرابع عشر ، ملك السويــد والنرويج » ، مــن سنــة 1818 إلى وفاته سنة 1844 . ولــد فى Pau فرنسيا ومات فى استوكهولم سويديا !

وهكذا ومنذ ذلك الوقت والأسرة التى أسسها هى التى تجلس على عرش مملكة السويد حتى اليوم ... وإن ولية العهد السويدية اليوم ، الأميرة فيكتوريا ، أو أخاها ، الأمير كارل فيليب ، إذا ما جلس أحدهما على عرش السويد غدا ، فستكون ـ أو سيكون ـ ابن ـ أو بنت ـ الملك غوستاف أدولف السادس عشر ، الفرنسى الأصل ، والملكة سيلفيا ، الألمانية الأصل ، والجنسية ، واللغة ، والثقافة ، حتى الزواج !

6) **وأمريكا** : فرئيسها فيما سبق ، إيزنهاور ، ألمانى الأصل ؛ وكينيدى ، إرلندى الأصل ؛ أما وزيرها ، فيما سبق، للخارجية ، « العزيز هنرى » ، اقصد كيسينغر ، فهو ألمانى المولد والأبوين ، مسقط رأسه قرب Fulda ، البلدة الجميلة التى تكلم عنها ابن فضلان فى رحلته ، وما أدراك ما رحلة ابن فضلان !

7) **وفى اسبانيا** : نجد أن الأسرتين اللتين حكمتاها، وتولتا عرشها أطول عهد ، إلى اليوم ، منذ وفاة إيسابيل ... وقبل وفاة فرناندو ، أجنبيتان :

إحداهما ألمانية ، والثانية فرنسية :

فالأولى ، وهى أسرة شارلكان ، وأولاده ، وأحفاده ، حكمتها منذ أن اعتلى شارلكان ، الأمبراطور الألمانى ، عرشها سنة 1516، وبقيت فى ذريته حتى 1700 ... مدة قرنين تقريبا :

من شارلكان ، أمبراطور ألمانيا ، ملك اسبانيا من 1516 إلى 1556 ؛ ثم ابنه فيليب الثانى ، ملكا لاسبانيا من 1556 إلى 1598 ؛ ثم حفيده ، فيليب الثالث ، ملكا لاسبانيا من 1598 إلى 1621 ؛ ثم ابن حفيده ، فيليب الرابع ، من سنة 1621 إلى

1665 ؛ ثم حفيد حفيده ، كارلوس الثانى ، ملكا لاسبانيا من 1665 إلى 1700 .

والثانية ، الحالية ، فرنسية ، وهى أسرة البوربون ، منذ أن تولى الملك فيها فيليب دانجو Philippe d'Anjou ، الحفيد المباشر للويس الرابع عشر الفرنسى ، من ابنه الأكبر le grand Dauphin، الذى مات قبل أن يجلس على العرش سنة 1700 . ولا يزال العرش الإسبانى فى يد هذه الأسرة الفرنسية الأصل إلى اليوم، فى عهد الملك الحالى ، خوان كارلوس دى بربون إبوربون Juan Carlos de Bourbón y Bourbón ، مع انقطاع قصير حدث مرتين : فى عهد نابليون بونابارت (الذى عين أخاه جوزيف بونابارت ملكا على اسبانيا من 1808 إلى 1813) ، (وهى ، على كل ، عائلة الأمبراطور الفرنسى نابوليون ، أى فرنسية أيضا) ؛ وفى العهد القصير للجمهورية الإسبانية والحرب الأهلية ، ثم فى عهد الجنرال فرانكو ، الذى أوصى أمام الكورتيس (البرلمان الإسبانى) سنة 1969 بإجلاس سليل من أسرة البربون الفرنسية ، الملك الحالى خوان كالوس دى بوربون ، على العرش الإسبانى من جديد ، وتم الأمر فعلا بعد وفاة الجنرال فرانكو سنة 1975 .

فالأسرة الملكية اليوم فى اسبانيا هى إذن فرنسية الأصل ...

7) **وفى أنكلترا** ــ وبهذا نكتفى من ذكر الأمثلة، وفيها أكثر من كفاية ! ــ نجد أن كلا من الشعب ــ فى غالبيته ــ واسمه ، واسم البلاد ، واسم اللغة ، والأسرة الملكية الحالية نفسها ... كل ذلك من أصل ألمانى مباشر !

أ) فأما الشعب نفسه ، الذى كان فى الأصل يتكون من الكلتيين (The celts, die Kelten, les Celtes) ــــ وكان اسم البلاد

التى يسكنها ذلك الشعب الكلتى هـــو بريتــــين (Britain)، وباللاتينية بريطانيا Britannia، ـــ فقد غزته فى أواخر القرن الثالث الميلادى موجات مـــن الحمــلات الجرمانيــة ، بعضهــا إسكندناوية ، من يولند (Julland) ، فى الدانمارك ، والأخرى، وهى أغلبها ، ألمانية ، وبالأخص منها الأنكلز (Angles) ، مـــن منطقة جنوب شليزفيغ Schleswig ، والسكسون (Saxen) ، مـــن منطقة بحر الشمال Nordsee ، فى شمال ألمانيا ، فكونوا مـــن أنفسهم شعبــا مــوحــدا تسمـــى بالأنكلــز ساكسن Angles-Saxen، فى بريطانيا ، وطردوا منها جزءا من شعبها الكلتى إلى المنطقة الغربية من فرنسا ، الأرموريك (L'Armorique) :

ب) فسميت باسمهم بعــد وصــولهم وأصبحت « بريطانيا (La Bretagne) ، وإن شئت قلت : « بريطانيا الجديدة » ، «وسمح» الوافدون الألمان ، وهم الأنكلز والسكسون ، للجزء الآخر مـــن الشعب الكلتى بالبقاء فى الجزيرة ، ولكنهم حصروه وحاصروه فى غرب البلاد ، فى منطقة الكورنواى وبلاد الغال (pays de Galles)؛ ثم غيروا اسم البلاد من بريطانيا (Britain) إلى أرض الأنكليــز (Engle-land) ، باســم كبــــرى السلالتين الجرمانيتين (Angles)، ثم أدغمت اللام الأولى فى الثانية ، وحذف الحرف الذى بعدها (e) ، فأصبح الاسم England ، أرض الأنكليز ، وبالفرنسية مثلا : Angleterre ، وهى ترجمة حرفية ، وبالألمانية واللغات الجرمانية الأخرى ، الاسكندناوية والهولاندية ، مثلما هو بالأنكليزيــة اليــــوم : England

هذا بالنسبة لأصل أغلب سكان أنكلترا اليوم ، وبالنسبــة لاسمهم ، واسم لغتهم الجديدة ، English ، وحتى لاسم البلاد نفسها ، الذى تغير فأخذ اسم الشعب الجرمانى الغازى... England.

ولم يعد اسم بريطانيا إلى الاستعمال إلا بعد ذلك بقرون عديدة ... سنة 1603 ، بعد وفاة إليزابيت الأولى ، بنت هانرى الثامن ، وتولى جيمس الأول ، ملك أنكلترا . ولكن الاستعمال الجارى لاسم تلك البلاد ، بلاد شكسبير ، وبرتراند راسل ، وتشرتشل ... وبلفور ... سواء على المستوى العام العادى ، أو مستوى السياسة الدولية ، ظل ولا يزال ذلك الاسم الذى خلعه عليها غزاتها الجرمان : أنكلترا ، Angleterre, England = أرض الأنكلز = la terre des Angles ، ألا وهم الألمان !

جـ) أما بالنسبة للأسرة الملكية البريطانية اليوم ، فهى أيضا من أصل ألمانى مباشر ، وتسمى فى الأصل أسرة هانوفر ، la Maison de Hanovre ، لأنها جاءت من هانوفر فى ألمانيا ، (وهى المدينة التى يتكلم فيها بأفصح ألمانية ، مثل التورين فى فرنسا ، وفلورانسا (فيرينتز) فى إيطاليا) .

بدأ ذلك سنة 1714 ، عندما ورث جورج الأول ، ملك هانوفر ، عرش بريطانيا عن طريق أمه لما مات أبوها ، جيمس الأول ، ملك بريطانيا وإيرلاندا ، إذ لم يسمح القانون البريطانى (Act of Settlement) ، الصادر سنة 1701 ، لوارث شرعى كاثوليكى ، بارتقاء العرش البريطانى بعد صدور ذلك القانون ، فكان ذلك لصالح الملك الألمانى البروتستانتى ، جورج الأول ، حتى يحرم الوريث الشرعى البريطانى جيمس ستيوارت James Stuart ، لأنه كاثوليكى ...

وهكذا تولى مكانه جورج الأول الألمانى ، من هانوفر ، الذى ولد فى هانوفر ، فى شمال ألمانيا ، وظل فى هانوفر ملكا لها ، ولبريطانيا وإيرلندا ، ـ « وكان لا يعرف من أنكلترا ، التى هو ملك لها ، حتى لغتها ، الأنكليزية ، إذ كان لا يتكلم إلا

الألمانية » (380) ! وبقـــى فى هانوفر ، ومات فيها سنة 1727 ، فخلفه ابنه :

جورج الثانى ، الذى ولد فى هانوفر ، هو أيضا ، وورث عن أبيه عروش هانوفر ، وبريطانيا ، وإيرلندا ، ولكنه ذهب إلى أنكلترا ، حيث مات فى لندن سنة 1760 ، فخلفه ابنه :

جورج الثالث ، الذى ولد فى لندن ، وظل ملكا لبريطانيا ، وإيرلندا ، وهانوفر ، مـــن 1760 إلى أن مـــات فى لنـــدن عـــام 1820 . وهو الذى عرض عـــلى الداى الحاج علي عقـــد معاهدة حلف بين الجزائر وبريطانيا ضد أمريكا وفرنسا ، كما سبق أن ذكرناه فى محله ، كما كان على علاقات طيبـــة جدا مع الـــداى محمـــد عثمـــان .

ولما توفى جورج الثالث حل محله ابنه :

جورج الرابع ، الذى ولد ومات فى لندن ، وتولى عـــروش بريطانيا ، وإيرلندا ، وهانوفر ، مـــن 1820 إلى أن مات سنـــة 1830 ، فجاء مكانه أخوه :

فيلهيلم الرابع ، بالألمانية ، (أو : ويليام ، بالأنكليزية) ، من 1830 إلى 1837 .

وهؤلاء كلهم كانوا ملوكا لبريطانيا ، وإيرلندا ، وهانوفر .

وفى سنة 1837 ، مات فيلهيلم الرابع ، ولـــم يترك وريثا ، فخلفته ابنة أخ له ، حفيدة جورج الثالث :

فكتوريا ، ملكة لبريطانيا وإيرلندا فقط ، « وأمبراطورة للهند » ، وانفصلت هانوفر نهائيا عن عرش أسرة هانوفر فى لندن ، لأن قانونها البروتستانتى الألمانى لا يورث الإناث عرش

(380) Histoire Universelle, Encyclopédie de la Pléiade, vol. 3, p. 246.

البلاد ، ويحرم عليهن ، منذ كلوفيس ، أن يخلفن الذكور على أرض الأسلاف Terra Salica . ولهـــذا رجـــع عمها إرنست أغسطس من بريطانيا إلى أرض الأجداد ، ألمانيا ، حيث أصبح ملكا لهانوفر ، على عرش أسلافه ، وبقيت ابنة أخيه ، فيكتوريا، (المشهورة في تاريخ أنكلترا) ، مواصلة سلسلة ملوك بريطانيا وإيرلندا من أسرة هانوفر الألمانيـــة ، وهي في لندن ملكـــة لبريطانيا وإيرلندا فقط ... وعوضت نفسها عن فقدان عرش هانوفر ، مهد أسرتها الألمانية ، بأن لقبت نفسها « أمبراطورة الهند » ... إلى أن ماتت سنـــة 1901 ، في لندن ، فخلفها ابنها من الأمير الألماني ابن عمها ألبرت فون ساكسن كوبورغ غوطا : Albert von Sachsen-Coburg-Gotha ، من منطقة تورينغن Thueringen، في ألمانيا الشرقية اليوم ، واسم ابنهما هذا :

إدوارد السابع ، ملكـــا لبريطانيا ، من 1901 إلى 1910 ، ثـــم خلفه ابنه الثاني : جورج الخامس ، ملكا لبريطانيا «وأمبراطورا للهند» ، مـــن سنة 1910 إلى 1936 . وهو الذى غـــير اسم الأسرة المالكة في بريطانيا من « هانوفر ــ ساكسن ــ كوبورغ ــ غوطا Hannover-Saxen-Cobourg-Gotha إلى ويندسور (Windsor) سنة 1917 . وبعد وفاته خلفه ابنه :

إدوارد الثامن ، مـــن يونيو إلى ديسمبر 1936 ، أى أقـــل من سنـــة ، لأنـــه اضطر إلى التنازل عـــن العرش لمعارضة الكنيسة البريطانية رغبته في الزواج من أمريكية مطلقة ، فجـــاء بعده أخـــوه :

جورج السادس، من 1936 إلى 1952 . وبعد وفاته ، سنة 1952 ، جلست على العرش البريطاني ابنته :

إليزابيث الثانية ، الملكة الحالية ، التي غيرت سنة 1960 اسم الأسرة من ويندسور Windsor ، الذي كان جدها جورج الخامس أحله سنة 1917 مكان الاسم الذي اختارته الملكة فيكتوريا للأسرة : هانوفر – ساكسن – كوبورغ – غوطا (Hannover-Sachsen-Coburg-Gotha) ، إلى : « ماونتباتن – ونيدسور (Mountbatten-Windsor) . وكانت قد تزوجت سنة 1947 بفيليب ماونتباتن ، دوق أدنبره ، الذي هو من سلالة جدتها البعيدة الملكة فيكتوريا ... أي من دم هانوفر أيضا ... الألماني !

والملكة إليزابيث ، مع إخلاصها طبعا لبلادها ، وهي ملكتها ، ورئيسة كنيستها ، والمشرفة على منظمتها « الكومونويلث » ، لا تخفي أبدا أصلها ، بل هي متعلقة بمهد أسرتها ، فخورة بمحتدها ، معتزة بمسقط رأس ومنطلق أجدادها : هانوفر في ألمانيا !

وهكذا لم تتردد ، هي ، وأبوها جورج السادس ، وجدتها الملكة الأم ميرى ، عند اختيار الاسم لابنها تشارلز ، ولى العهد الحالي ، والرمز الذي يحمله ختمه ، ويزين خزائنه :

فعند تعميده سنة 1948 وسموه بهذا الشعار – المبين في الشكل – المكتوب على خزائنه ، وعلمه ، وختمه ، – وباللغة الألمانية ! – :

« إني في الخدمة» « Ich dien » ، كما هو واضح في آخر الأسطر الأربعة بين الصورتين المرفقتين ، ويشير إليه السهمان في الصورة الأولى . (381)

كما أنها لم تتردد أيضا طويلا أمام اختيار الاسم لحفيدها من ابنها تشارلز ، الذي رأى نور الحياة في يونيو الماضي : فسموه

(381) انظر الشكل رقم : 201 .



Das Wappen des Prinzen von Wales. Unter dem königlichen Löwen und dem Einhorn der Spruch: „Ich dien"



Bei der Taufe von Prinz Charles 1948: Königin Elizabeth, Großvater Georg VI und Urgroßmutter Mary

So bleibt England ewig jung

Das große Fest des kleinen Prinzen. Wie schon sein Vater vor 34 Jahren wird auch der Erstgeborene Prinzessin Dianas, Prinz William, im Musikzimmer des Buckingham-Palastes getauft. Die Feier ist für die Briten mehr als eine kirchliche Zeremonie. Sie ist Teil einer Tradition, die ein stolzes England auch ins nächste Jahrtausend führt

الشكل رقم : (201)

وليام ، وهو اسم أحـد أجدادها ، وليام الرابع ، آخر ملك من أسرة هانوفر جمع بين عرش بريطانيا وهانوفر ، المهد الألماني للأسرة ، وعم فيكتوريا ، التى انقطع بها حبل الجمع بين البلدين للسبب الذى ذكرناه !

هل له مغزى ، هل هو رمز ، تعبير عن حنين إلى الأصل البعيد ؟ وإنه لرمز يشرف ملكة بريطانيا حقا ! (382)

هل شعر الأنكليز ، المعتدون بأنفسهم إلى الحـد الذى يعرفه الجميع ، بنوع من الامتعاض من الأصل الألماني لأسرتهم الملكية ، ومن هذه الشعارات لولى عهدهم بالألمانية ؟

هل ابتعدنا بهذه « الاستطرادات » عن صميم الموضوع ؟ لا ! إنها ليست استطرادات ، بل هى صميم الموضوع نفسه ! ولو لم اذكر القرون الثلاثة « لدولة الجزائريين » أصلا ، أو للجزائر فى العهـد العثماني ، واكتفيت بهذه الأمثلة عـن الدول التى ذكرناها ، وخاصة منها فرنسا وأنكلترا ، لكان ذلك أكثر مـن كاف ، ولأبلغ مـن كل تعليق ، وأعمق دلالة مـن كـل شرح ، وحاشية ، وتكرار !

فإذا كان هذا هكذا ـ كما يقول ابن رشد فى استخلاصاته المنطقية الفلسفية وبأسلوبه الـرائع ـ بالنسبـة لهـولاندا ، وبلجيكا ، واللوكسمبورغ ، والسويد ، وأمـريكا ، واسبانيا ،

---

(382) ولم يفت الألمان أن يشيروا إلى ذلك، ويشيدوا به ، كما نرى من الصورة 201 ، بالنسبة لتعميد ولى العهد تشارلز ، المنشورة فى مجلة المانية شهيرة تصدر بهامبورغ !
كما عادوا إلى ذلك ، مـرة أخرى ، بمقال طويل عن تعميد ابـن ولى العهـد ، الوليد الجـديد وليـام ، بالتواريخ ، والمقارنات ، فى إحـدى الجريدتين الألمانيتين الكبريين :
Frankfurter Allgemeine Zeitung 29 Juni 1982.

وأنكلترا ، وفرنسا نفسها ــ فما بال أقوام هناك ، وخاصة هنا ــ مع الأسف الشديد ! ــ ، يصرون على إنكار ثلاثة قرون كاملة ، بل وزيادة ، من أمجد عصور تاريخنا العريق وأزهرها ؟

وإذا كنت ادرى ذلك ، بالنسبة للفرنسيين ، بل وللأوروبيين عموما ، والأمريكان ، فإني لا ادريه تماما بالنسبة لأنفسنا ، وأتساءل : لماذا لا يزال يصر أيضا ــ مع الأسف ! ــ حتى بعض مواطنينا ... على نعت دولة الجزائريين بالدولة التركية ، والعهد التركى ، والسيطرة التركية ، والاحتلال التركى ...؟

إذا كان منتظرا ، « ومقبولا » ... أن يزور فرنسيون ــ وغيرهم ــ تاريخنا ، لنسيان ما حل بهم ، أو مقارنة وضعهم بوضعنا من هذه الوجهة ، ــ وجهة سيطرة أجانب على قيادة البلاد ــ ، مع أنه لا وجه هناك للمقارنة إطلاقا ، وإذا ما كان وجه للمقارنة فلصالح الجزائر ــ فإن الإنسان ليقف محتارا أمام انسياق بعض المواطنين والأشقاء وراءهم فى أكبر عملية تزييف لتاريخ أمة من الأمم ، هى الأمة الجزائرية !

هل هى التبعية الذهنية ، من القوم التبع ، لأية صيغة تأتى من وراء البحار ... والتعلق بها ، بل والتشبث بخيوطها العنكبوتية الواهية ؟ أم هى المازوخية ــ هكذا تنطق ، وليس المازوشية ! ــ التى تدفع بالمصابين إلى تعذيب الذات ، إن كان لجرح إيلام ــ ولا إيلام ؟

وإن كان يؤلمنا أن يعذب بعض مواطنينا أنفسهم ، ــ حتى لو لم يحسوا بذلك التعذيب ــ ولا يحسون فعلا ! ــ ، فإنهم يؤلموننا حقا ، وهم يلوكون تلك السخافات التى تخدش آذاننا ، ويخربشون تلك الترهات التى تجرح أعيننا ، ويشرثرون بتلك الببغاويات التى تستحق الاحتقار ، حقا ، ولكنها مع ذلك تجرح

قلوبنا ، وتصيبنا فى الصميم ، إذ تذكرنا بعهود بغيضة مضت ، وعقليات كنا نظن أنها اختفت وانقضت ، أم هل خرجت العكرى من الدار لتعشعش فى بعض المخيخات ؟

هل هى تلك النظرية التى قال بها المرحوم مالك بن نبى ... نظرية « القابلية للاستدمار » (la colonisabilité) ، التى ناقشته فيها فى وقتها (سنة 1954) ، فى دار الطلبة الجزائريين بالقاهرة، بكل احترام وتجلة ، ولكن أيضا بغاية الحزم ، والانفعال ، والاندفاع ؟

ولكنى الآن اظن أنه كان له بعض الحق – إن لم يكن كل الحق – فيها ، رحمه الله ! لا على مستوى الشعب ، طبعا ، ولكن لدى بعض المخربشين والمخربشات ، والثرثارين والثرثارات ، والمتعيلمين والمتعيلمات (383)، لا المثقفين والمثقفات، وشتان بين التعليم والثقافة : بل وحتى مجرد الذوق السليم ، فضلا عن الحس التاريخى الحاد !

هل كانت البلاد مزدهرة أم تمثل الضعف والإفلاس ؟

4) ومأخذ آخر يأخذه « بعضهم » « هناك » ، وأيضا هنا ، على الدايات ، أنهم « وإن دافعوا عن البلاد ، فلم يفعلوا شيئا فى المجال الاقتصادى والثقافى ، وكانت البلاد غارقة فى المستنقعات ، ترسف فى أغلال وكهوف الجهالة ، ولم تنج من التعاسة والشظف إلا بفضل ما تدره عليها القرصنة . » ، إذ لم يكن هناك من عمل ، ولا إنتاج ، فضلا عن « الإنتاجية » ... هكذا يقولون !

---

(383) على وزن المتفيقهين والمتفيقهات .

ولنبدأ بالمجال الثقافى لنقول : إن الدايات ، وإن لم يفعلوا الكثير فى هذا المجال ، حقا ، لانشغالهم ، فعلا،بالدفاع عن البلاد أمام التيار الأمبريالى المبكر ، والمد الصليبى الجارف ، فلم يهملوا إطلاقا قطاع التعليم والتكوين ، وإن تركوا العبء الأكبر فيه على الشعب بمؤسساته الوقفية ، التى كانوا يعززونها، ويسهرون عليها ، بل ويشاركون فيها مباشرة ، لا فى تأسيس الجوامع الكبرى ، فقط ، التى كانت فى الوقت نفسه جامعات ـ، وقد ذكرنا لذلك أمثلة قليلة ، كنماذج فحسب ـ ، ولكن أيضا بإقامة مؤسسات علمية مخصصة لذلك أصلا ومنشأ . ولنكتف هنا بمثل واحد فقط : القرار الذى اتخذه الداى العالم البطل المغوار ، صاحب السيف والقلم ، محرر وهران للمرة الأولى ، محمد بكداش ، سنة 1119 هـ (نحو 1708 م) ، لفائدة وقف للشيخ الكتروسى (384) فى مازونة ، وهو معهد علم ، كانت له فيما بعد فعاليته الكبرى ، لا بالنسبة للجزائر وحدها ، بل تجاوز صداه حدود البلاد ، حتى إن كثيرا من الطلبة المغاربة ، خاصة من شرق المغرب ، كانوا يأتون ليدرسوا فيه (385) .

ومما يثلج الصدر أن نرى الأمير عبد القادر، بحسه التاريخى الحاد ، وروحه المشبعة بمبدإ استمرارية الدولة والأمة ، يجدد هذا الوقف ، ويستعمل فى الوثيقة عبارة : « وجدنا لهم حكم أوامر المتقدمين » ، وهو يعنى وقت الداى محمد بكداش (386) و (387) .

ولنضف هذا النص للمؤرخ الأمريكى سبنسر :

« إن الجهود الكبيرة التى تم بواسطتها تحويل جزائر القرصنة إلى الجزائر الفرنسية ، بالإضافة إلى القضاء الكلى على دولة

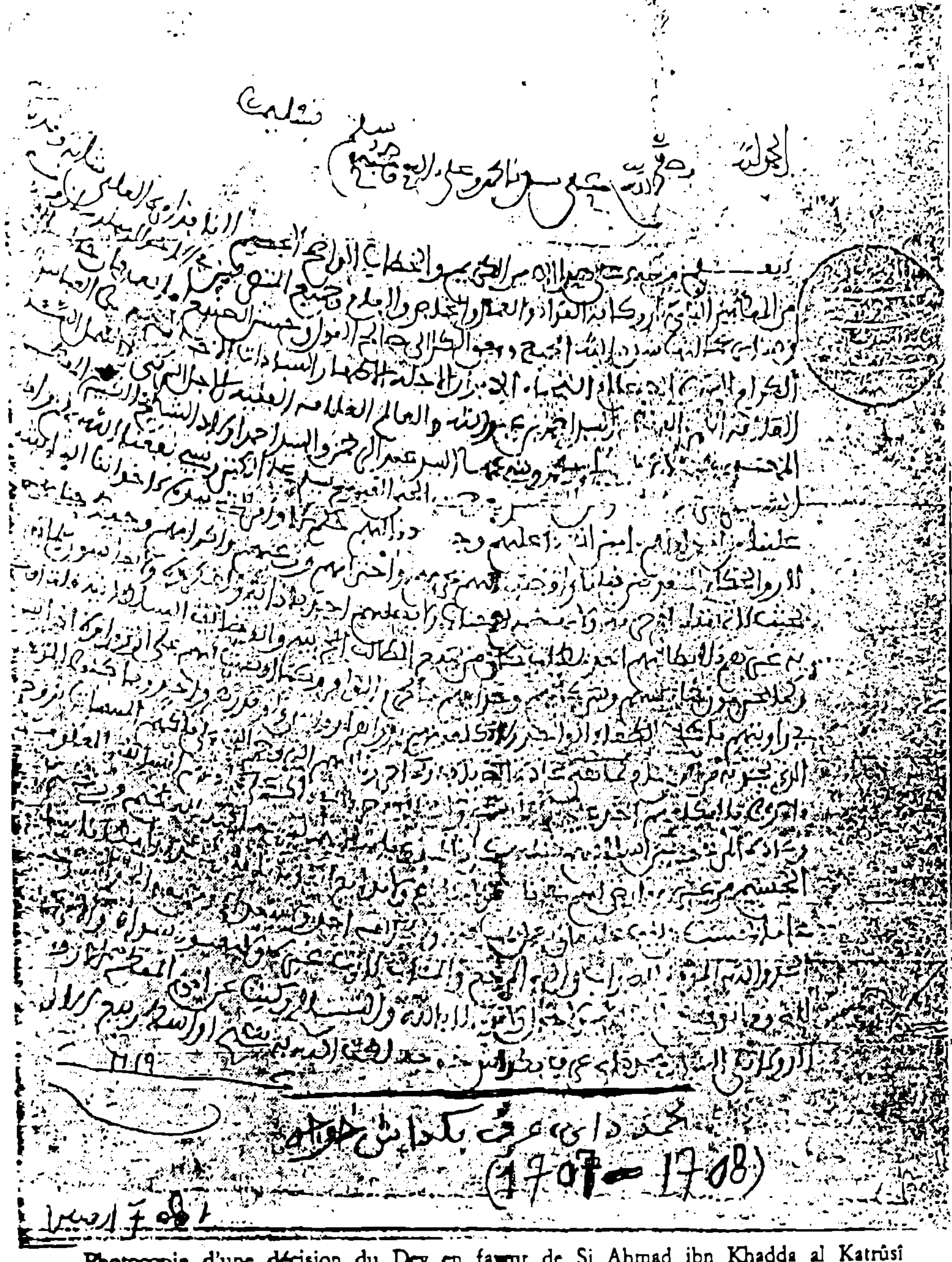
---

(384) Dr Moulay Belhamissi : Histoire de Mazouna des origines à nos jours, pp. 53-54.

(385) انظر الشكل رقم : 202 .

(386) Belhamissi : ibid, p. 73.

(387) انظر الشكل رقم : 203 .



Photocopie d'une décision du Dey en faveur de Si Ahmad ibn Khadda al Katrûsî

الشكل رقم : (202)

الحمد لله

Lettre de l'Emir confirmant les privilèges des Katrûsî de Mazouna.

الشكل رقم : (203)

الجزائر ، لا يجب أن تخفى أبدا الواقع المتمثل فى المساهمات الهامة لتلك الإيالة فى تطور الشمـــال الإفريقى ومكانته فى البحر الأبيض المتوسط .

« إن الوثائق الرسمية ، الفرنسية والعثمانية بالدرجـــة الأولى ، تضاف إليها تقارير الزائرين الآخرين ، تعطينا صورة مختلفة للجزائر عما يقال عنها اليوم .

« فكل من شهادات المسيحيين والمسلمين تتفق عــلى إعطــاء الدولة الجزائرية علامات مرتفعة (وشهادات عاليــة) عــلى ما عرفته من الانضباط ، والاستقرار ، واحتــــرام القانــون ، والارتباط الاجتماعى ، **والمستوى الثقافى الذى بلغته »** (388) .

وفى المجال الاقتصادى ، فلئن لم يهتم الدايات كثيرا بمجال الصناعة « الثقيلة » ، معتمدين فى ذلك على ما تقدمه لهم الدول كإتاوة ، إذ كانوا يحرصون على التجهيزات والعتاد البحرى ، مفضلين ذلك على المال ـ لقد كانت هناك صناعة للحاجات المحلية. ولكنهم اهتموا كل الاهتمام بالزراعة مثلا ، حيث سبق أن روينا بعض ما ذكره مؤرخون أوروبيون وأمريكان عن تنافس أربع دول على شراء أكبر كمية من القمح الجزائرى ، وهى هولاندا ، واسبانيا ، وأنكلترا ، وفرنسا ... فكنا إذ ذاك نحن الذيــن نصدر القمح ، والسميد ... « والفارينة » ... إلى أوروبا ، وليس العكس !

يقول المؤرخ الفرنسى إيفروطو :

« ولم تكن الجزائر إذ ذاك (قبل 1830 م) تعطى تلك الصورة التى يحرص البعض على ذكرها عن « فوضى عارمة مطلقة » فيها، وهو مجرد زعم .

(388) Spencer : ibid, p. 10.

« فقد كانت هناك تقنيات فلاحية متطورة نسبيا ، استمرت فى الأرياف » (389)

ونعود إلى سبنسر ، الذى هو أوضح وأكمل ، عن الفلاحة ، والتجارة ، والمالية ، ومستوى المعيشة ، والهندسة المعمارية ، أو الصناعة التقليدية،أو الحالة الاجتماعية عموما فيقول (390) :

« وقد نتج عن معارك القراصنة امتزاج الأسلوب العثمانى مع المغاربى (الشمال إفريقى) ، والأوروبى ، سواء فيما يتعلق بالأنماط الاجتماعية ، أو الهندسة المعمارية ، أو المهارات اليدوية ، وما إليها .

« وإن وجود **طريقة منتظمة لجمع الضرائب ، ووجود فلاحة** كفاف فعالة (391)، وكذلك **التجارة المنتظمة جدا، وفق القانون،** بالإضافة إلى الفوائد التى كان يجلبها القرصان ، كل ذلك أدى إلى **وجود مستوى عال للمعيشة .**

« وأراضيها ذات تسيير جيد ، وتشكل امتزاجا اجتماعيا متعاونا فعالا .

« وهذا كله يخالف تماما الوضعية التى عرفتها البلاد خلال المائة والثلاثين عاما من المراقبة الفرنسية » (392) و (393) .

ويعود سبنسر إلى موضوع الفلاحة والمالية فيقول :

---

(389) Egretaud : ibid, p. 43.

(390) ولا نوافقه طبعا على بعض الألفاظ مثل : إيالة ، وقراصنة ، الخ ... ولكن ناخذ الإيجابى منه .

(391) وقد رأينا أنها أكثر من « كفاف » : تنافس هولاندا ، واسبانيا ، وأنكلترا ، وفرنسا على القمح الجزائرى مثلا .

(392) Spencer : ibid, p. 12.

(393) من ترجمة الدكتور عبد القادر زبادية .

« ... كانت القوة الجزائرية تعتمد ، زيادة عن نظام حربى فعال ... ، على **المؤسسات المالية السليمة** .

« ولقد كانت المصادر الطبيعية للدولة تسير فى مثل تلك الطريقة للمحافظة على نظام تجارى مركانتيلى ضمن للجزائر استقرارا فى التوازن التجارى وفى الإنتاج الكافى خلال الفترة السابقة لوصول الأتراك .

« ... وكان هناك فى الوقت نفسه استمرار لتجارة شرعية كانت تقوم على الموانىء الجزائرية لتصدير المنتجات الداخلية إلى الخارج .

« إن مداخيل هذه المنتجات الداخلية كانت بالنسبة لازدهار الجزائر فى البحر الأبيض المتوسط فى المقام الأول من الأهمية . وكانت تعتمد على قاعدة من الإنتاج الزراعى الجيد .

« ولقد صمم الحكم « التركى » فى الجزائر ليس فقط على المحافظة على النظام الاقتصادى الذى كان موجودا ، ولكن أيضا على تقويته أكثر .

« وعلى العكس من ذلك كان الاحتلال الفرنسى ، وما تبعه من تهافت الأوروبيين الذين لا أرض لهم ، والحماية غير المستنيرة التى فرضها ، كل ذلك كان يهدف بدقة لتخريب النظام الاقتصادى الذى كان سائدا فى الجزائر قبل 1830 م ، إذ كانت أنظمة استغلال الأرض فعالة ، والإنتاج كافيا لسد حاجات السكان (وأكثر ، كما رأينا) .

« وإن « الركود » الذى اتهم به مؤلفون فرنسيون من عهد متأخر جزائر ما قبل 1830 م ، مثل بوايى (394) ، غير صحيح ،

---

(394) Boyer : Alger à la veille de l'intervention française.

إذ لم يأخذوا بالاعتبار تلك الغيرة الوطنية والمواظبة على العمل اللتين كانتا لدى الملاكين الجزائريين ، سواء منهم الأتراك ، أو الأهـالى .

« أما تحويل الجزائر إلى مستدمرة مرهقة بالديون ، وكـل اقتصادها موجه لصالح فرنسا ، فإنه لم يكن من عمـل أولئك الجزائريين ، وإنما هى مهمة ترك إنجازها لفرنسا ...

« إن الحالة المزدهرة التى كانت للزراعة الجزائرية قبـل الاحتلال قد شهد بها كثير من الملاحظين .

« فقد علق عليها هايدو Haedo (وهو مؤرخ قسيس اسبانى، كان أسيرا فى الجزائر) إثر الذهاب به إلى خارج مدينة الجزائر فى إحدى المناسبات ، إذ قال :

« هناك العدد الذى لا يحصى من بساتين الكروم والحدائـق المملوءة بأشجار البرتقال ، والليمون ، وبالأزهار من كل نوع، وعيـون المـاء الـزلال الـذى يتدفـق بقـوة فـى كـل الاتجاهات » (395) و (396) .

كان فى الإمكان أن نستغنى عن إيراد جميع هذه النصوص عن ازدهار الاقتصاد الجزائرى ، وخاصة منه الفلاحة ، وعـن سلامة الوضعية المالية ، بل قوتها ، برمزين اثنين : قمحنا إلى فرنسا ... وقروضنا لها !

ومع ذلك لانتمالك من إيراد مثل أخير ، إلى هذه وغيرها مما لم نذكر ، وهو شعار طالما استعمله الفرنسيون ضدنا ، بل ولا يزالون ، وهو « مستنقعات » متيجة !

---

(395) Spencer : Ibid, p. 114.
(396) Fray Diego de Haedo : Topographĩa e Historia general de Argel, Valladolid, بلد الوليد ، España, 1612).
وله كتاب آخر عنوانه : Epitome de los Reyes de Argel
عن « ملوك الجزائر » (الدايات) .

يقول سبنسر ، راويا عن آخرين :

« إن هذه المنطقة ، التى وصفها العالم الزراعى الفرنسى دى فونتين Desfontaines ، سنة 1873 م ، بأنها « مملوءة بهواء الأمراض المعدية ، وتتخللها فى كل الجهات المياه الراكدة ، مكونة بذلك مستنقعات غير صحية ، وأن فرنسا هى التى قامت باستصلاحها » ... كانت فى الحقيقة قد تمت زراعتها منذ سنة 1600 م ، من طرف الملاكين الجزائريين ، ... وقد سقيت فى كل مكان بعديد من المنابع والسواقى » (397) .

فتن داخلية وحروب أهلية

أم

تماسك اجتماعي ووحدة وطنية ؟

5) وآخر مأخذ يسجلونه على جمهورية الجزائر فى عهد الدايات أن « عهدهم يتسم بعدم الاستقرار، يسوده الاضطراب، ومملوء بالفتن الداخلية ، بل الحروب الأهلية » !

كيف كانوا ينجزون كل ما أنجزوه ، وكيف كان يمكنهم أن يقابلوا التكتلات والغارات الأوروبية ، التى انضمت إليها فيما بعد حتى الأمريكية ، لو لم يكن الشعب متماسكا ، متحدا ، وراءهم ، ولو لم يساندهم بكل ما لديه من أرواح وأموال ؟

فلنجب عن هذا الهراء بهذه الفقرات من سبنسر ، ولنغلق بها باب الاتهامات والمآخذ ، لنأتى على خلاصة هذه الدراسة كلها ، ثم الختام :

(397) Spencer : ibid, p. 115.

يقول المؤرخ الأمريكي المذكور :

« إن قدرة الإيالة (The Regency !)الجزائرية على تحدى القانون السياسى (الأوروبى !) المتعارف عليه (فى أوروبا ولصالح أوروبا !) مدة تلك العهود الطويلة ، تبين لنا بشكل واضح ليس فقط فعاليتها كدولة، ولكن أيضا **قوة تماسكها الاجتماعى**.

« وباستثناء النزول غير المنتظم لقوات اسبانيا على شواطئها فى فترات متقطعة ، فقد ساد الهدوء الداخلى دولة القراصنة ، وظل كذلك قائما طيلة ثلاثة قرون متوالية » (398) .

الخلاصة عن :

شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية :

بعد أن عرضنا النقاط الأساسية من العنصر الأول لهذه الدراسة ، « شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 م » ، وثنينا ، ولكن بتفصيل ، بالعنصر الثانى : « علاقات الجزائر إذ ذاك بالخلافة العثمانية ، وأوروبا ، والولايات المتحدة الأمريكية » ، نود الآن أن نعود ، بإيجاز ، إلى العنصر الأول لنفيه حقه ، ولكن بتلخيص وتركيز ، بقدر الإمكان :

ليس المقصود بهذه الشخصية الدولية ، والهيبة العالمية ــ ولا بالعنصر الثانى : العلاقات مع الدنيا ــ أن نبرهن على وجود دولة جزائرية قبل 1830 م ؛ وعلى أنها كانت لها حكومة ... وعلم ؛ وكانت تسك العملة؛وتقيم العلاقات الدبلوماسية، وتبعث بسفراء إلى دول ، وتتلقى منها آخرين ؛ وتعلن الحرب ، وتعقد السلم ، وتمضى المعاهدات ...

(398) Spencer : ibid, p. 12.

فقد كان للجزائر كل ذلك ، ولكن كل ذلك شيء عادى بالنسبة إلى أية دولة ، وقدر مشترك بين جميع الدول ، الكبرى منها ، والكبيرة ، والمتوسطة ، والصغيرة ... بل والصغرى ، وليس فى هذا من تميز دولة عن أخرى ، فضلا عن الامتياز !

الجزائـــر فى قمـــة الـــدول العظمى :

فلقد كانوا يميزون إذ ذاك بين الدول الكبرى أو العظمى (399)، les puissances ، والدول الصغرى أو الثانوية (les Etats secondaires).

والجزائر لم تكن فقط دولة ؛ ولم تكن فحسب دولـــة عظمى grande puissance ، بين الدول العظمى ؛ **بل كانت فى قمــــة الدول العظمى** Super-puissance ، وهذا هـــو ما أردنا بيانـــه وتأكيده بهذه المحاولة !

وحتى السفراء والمبعوثون الذين يرسلون إلى دايات الجزائر من رؤساء دولهم كانوا يستشعرون ذلك عند بدء مهمتهم ... ويقـــول المؤرخ الأمريكى بارنبى ، « إن الأمريكيين ، عندما يرسلون مبعوثا أو سفيرا إلى الجزائر ، يهنئونه ، ويعلقون فيما بينهم على تلك المهمة بقولهم :

« إنها لمهمة سامية حقا ، إنها لسفارة كبرى ، إنه لمنصـــب « رئيسى » « a senior appointment » (400) ، كما يقال اليوم تماما ،

---

(399) وليس « الأعظـم » ، كما يخربش مخربشون ، مقلدين فى ذلك محمـد حسنين هيكل ... « الدولتان الأعظم » ... لا ، يا عم ! الصحيح أن يقال : « الدولتان العظميان » ، حسب نحاتنا العظـام والصغار ، مـن سيبويه ، السيد الأعظم ، فى « الكتاب » بحق ، إلى علي الجارم فى نحوه الواضح ، والواضح بصدق . وسأكون شاكرا لكـل من سينبهنى إلى أخطائى ، ومـا أكثرنها ، لا شك ، على لغـة قمقام آخر : جـار اللـه الزمخشرى !

(400) Barnbay : ibid, p. 305.

فى أية وزارة خارجية فى العالم ، لأى سفير يبعث إلى أية عاصمة من عواصم الدول العظمى اليوم ، مهما كان حجم الدول التى تبعثه ، حتى لو كانت دولة عظمى أخرى :

« إنها حقا لسفارة ! وإنه لمنصب ! » ، أو ، كما يقال فى بعض البلدان الشقيقة : « منصب معتبر ! » مع مد لا بأس به على الباء ، ويهنأ السفير المعنى بهذه « الترقية » ، وتلك «الثقة» من رئيس الدولة ، وبذلك « الاعتبار » من الجميع !

فهذه الهيبة العالمية prestige international تكمن وتظهر فى جوانب أخرى أيضا .

وقبل أن نعرض بعض تلك الجوانب ، لابد من ملاحظة منهجية ، مبدئية ، بديهية ، وهى أن الموضوع يشمل جانبين : المقدمات والنتائج ، أو الأسس التى تقوم عليها هذه الهيبة ، والمظاهر التى تتجلى فيها .

وبعض تلك الأسس قد سبق لنا أن عرضناها ، وهى شعور الأمة بالخطر ؛ وازدهار الاقتصاد ، من فلاحة وتجارة ، « بفضل حب العمل والمواظبة » ، كما يقول سبنسر ؛ وصحة الأوضاع المالية، « بفضل سلامة التسيير المالى ودقة ضبطه » ، كما يقول نفس المؤلف ؛ وقد عرضنا كل ذلك ، وذكرنا صفحات المراجع.

ويضيف سبنسر إلى هذه العناصر كلها ، التى ذكرها هو وغيره ، عناصر أخرى جديدة ، أو معززة لما سبق أن ذكره ، فيقول مثلا عن عمق الإيمان ، وقوة روح الفداء ، مما جعل من الجزائر ميدان الجهاد ، ومدرسة الاستشهاد ، ممثلا لذلك بالداى محمد عثمان :

« توفى الداى بابا محمد عن واحد وثمانين عاما ، بعد حكم هادىء استمر أربعا وعشرين سنة . وكان فى مراسلاته يشير

بانتظـــام إلى « مدينة الجزائـــر ، دار الجهاد المستمر ضـــد الكفــــار » (401)

ثم يقول عن وحدة الأمة وتماسكها ، زيـــادة عما سبق أن أوردناه عنهما :

« وقد أظهرت الوقائع المؤكدة أن مختلف الحملات الأوروبية التى شنت على الجزائر قد أثبتت عجـــز السياسة الخارجيـــة الأوروبية (بالمعنى الجماعى) حينما **جوبهت بأمـــة قوية في الداخل ، متحدة ، مصممة** . وإن فشل حملة شارلكان التخريبية سنة 1541 لمثل لذلك الفشل الأوروبى » (402)

وأساس آخر من أسس تلك الهيبة والمهابة هى استعمـــال التكتيك :

« ... وقد أعطت الجزائر مثالا ممتازا للفعالية فى استعمال تقنية سياسية هى تفريق الدول الأوروبية ، حين تستعمل هذه التقنية بصورة دقيقة فى مجال المعاملات الدولية . وهو ما يتمثل فى قدرتها على مواجهة أعدائها وهـــم متفرقـــون ، وكان فى إمكانهم التغلب عليها فيما لو اتحدوا » (403) . (وقد اتحدوا في بعض الأحيان ، وجاءوا متحدين ... ولم تجد محاولاتهم).

ثم يعود سبنسر إلى نجـــاح الدبلوماسية الجزائرية فيؤكـــد ويقـــول :

« لقد كانت استراتيجية الجزائر تجاه أوروبا هى منـــع أى تجمع للمناهضين الأوروبيين الأقوياء حتى لا يتلاقوا ضدها .

---

(401) Spencer : ibid, p. 179.
(402) Spencer : ibid, p. 149.
(403) Spencer : ibid, p. 12.

« وقد اتبعت هذه الاستراتيجية بمختلف الأشكال ، مثلا بمطالبة بعض الدول بالجزية المنتظمة؛ والمعاملة المتميزة لأخرى فى التدابير المتعلقة بإطلاق سراح الأسرى حسب الجنسية التابعين لها ؛ وباختيار أهداف القرصان ؛ إلى اتفاقيات السلم الرسمية » (404).

ثم يعود أخيرا إلى عاملين حربيين فعالين فى قدرة الجزائر على رد أوروبا ، بل والتغلب عليها ، فيقول :

1) « وكما يتوقع الإنسان من **دولة قوية قد تأكدت مكانتها كدولة بحرية ، فإن تطبيق سياسة خارجية ناجحة كان يعتمد كليا على الأسطول .**

« وإنها لحقيقة غريبة أن هذا الأسطول قد مر بتغييرات ضخمة سواء فى حجمه ، أو سلاحه ، أو فعاليته .

« **وقد كان واضحا للجميع أن قدرة الجزائر على ضرب أساطيل الأعداء كانت فى غاية الاعتبار** » (405).

2) والعامل الحربى الثانى ، حسب سبنسر ، يوضحه بقوله :

« ولكن مفتاح الدفاع عن الجزائر ، كما كان دائما ، **هو استحكاماتها وبنادقها** » (406) .

كل هذا : الإيمان ؛ وروح الجهاد والاستشهاد ؛ وقدرة الأسطول على الضرب التى كانت فى غاية الاعتبار . والاستحكامات والبنادق ؛ أسبغ على الجزائر ، كما يقول سبنسر، « **حصانتها الغيبية الشهيرة** ، التى خلبت بها الكثيرين جدا من زائريها على مر السنين » (407) .

(404) Spencer : ibid, p. 140.
(405) Spencer : ibid, p. 140.
(406) Spencer : ibid, p. 151.
(407) Spencer : ibid, p. 151.

هذه كانت إذن الأسس التى قامت عليها هيبة الجزائر العالمية. والآن نود أن نعرض بعض جوانب تلك الشخصية الدولية personnalité internationale لا بالمعنى القانونى، المتمثل في الدولة، والاعتراف بها من الدول، وتبادل العلاقات الدبلوماسية، وعقد المعاهدات معها ... الخ، (مثلا مع أمريكا، التى جاءت متأخرة إلى المنصة الدولية : ثلاث معاهدات ؛ ومع أنكلترا : ثمانى عشرة معاهدة ... ومع فرنسا سبعين معاهدة !)، مما عرضناه فى إطاره، وقلنا إنه شىء عادى، وقدر مشترك بين جميع الدول ؛ ولكن بمعنى السمعة الدولية ؛ بمعنى صدى صوتها، أو تقدير كلمتها قبل أو دون أن تفوه بها ؛ وبمعنى قوة الشخصية ؛ وبمعنى الوجود المتميز البارز ؛ وبمعنى الإشعاع الخارجى الواسع ؛ وبصيغة واحدة تستعملها الخاصة، وتفهمها العامة عندنا بمعناها الفصيح، وتفهمها العامة عند غيرنا بلفظها الأوروبى المشترك : الهيبة العالمية le prestige international !

إن تلك الهيبة تتجلى فى أن الدول الكبرى، فى ذلك الوقت، إذ كانت تحيك المؤامرات ضد الجزائر ؛ وتحبك المناورات خلفها ؛ وتدبر التكتلات ضدها ؛ وتقوم بالغارات المفاجئة الغدارة عليها ؛ ولا ينفعها ذلك كله، « تبتلع إهاناتها » لها ؛ فتدفع لها الضرائب الباهضة، بل وتحاول التقرب منها أكثر : فتخطب ودها وتتودد إليها لتسترضيها ؛ وتستنجد بعضها بالأخرى للتوسط لديها ؛ وعندما لا ينفعها ذلك : تهرع إلى الخلافة العثمانية، علها تتدخل أو تنفع شيئا لديها ؛ وعندما لا يجديها ذلك كله ــ وكان لا يجدى ! ــ ترضخ لإرادتها (إرادة الجزائر) ؛ وتقبل بأحكامها؛ وتدفع حتى الضرائب الباهضة لها (408)، مقابل حماية سفنها

(408) انظر الشكل رقم : 204 .

la Toscane, Venise et Raguse ne payaient pas de tribut, mais donnaient des présents en numéraire ou en nature, également tous les deux ans, sans compter tous les cadeaux de joyeux avènement. On devait en offrir encore au commencement de l'année, aux fêtes du Beïram, et chaque fois qu'il s'agissait de traiter une affaire. La plupart des avanies faites aux agents européens n'avaient pas d'autre but que de favoriser les mutations de personnel, afin de participer plus souvent à la curée. Fraissinet, Consul de Hollande, Ulrich, Consul de Danemark, furent mis tous deux à la chaîne pour un léger retard dans l'envoi de leurs cadeaux. Le Chargé d'affaires de Napoléon, Dubois-Thainville, après avoir évité pendant dix ans de se conformer à l'usage, se vit forcé de dépenser 160 000 francs en 1811, suivant une liste fournie par le Dey lui-même. L'évacuation d'Oran coûta 180 000 francs à l'Espagne, la cession de nos anciennes Concessions à l'Angleterre, de 1807 à 1816, 350 000 francs de redevance annuelle. La Sardaigne fut obligée d'acheter un traité de paix 216 000 francs en 1764; la Hollande dut apporter ses munitions de guerre, en 1680, « proprement enjolivées et enrubannées ». Enfin dans la seule année 1807, le Divan extorqua 40 000 piastres au Portugal, 12 000 à l'Espagne, 10 000 à l'Angleterre, 100 000 aux États-Unis, 50 000 à l'Autriche, 40 000 à la Hollande. Les villes hanséatiques s'étaient soumises aussi au régime des présents. Hambourg et Brème envoyaient à Alger des munitions navales et du matériel de guerre. L'Autriche et la Russie, profitant du voisinage de la Turquie, refusèrent toujours le tribut, mais le Gouvernement pontifical, accusé de ne rien donner, dut souvent recourir aux bons offices de la France pour protéger ses marins[1].

L'Europe finit pourtant par se lasser d'un pareil joug. La France éleva la voix la première pour s'y soustraire, et un moment l'on put croire qu'elle s'entendrait avec la Russie pour anéantir les Barbaresques. Montlosier, encore émigré en 1799, avait à cette époque supplié Napoléon « d'effacer cette honte des nations civilisées », et d'Hauterive, du fond de sa « chartreuse des Archives des Affaires étrangères », comme il aimait à désigner son poste, avait compulsé savamment tous les mémoires sur l'esclavage et sur la piraterie, afin de décider

1. Voy. t. II, p. 461.

E. Plantet: Correspondance

الشكل رقم : (204)

من سنن دول أوروبية أخرى في تلك البحار المضطربة الأمواج أو، بتعبير أدق : تلك المستنقعات الآسنة بالقرصنة الأوروبية... التي مارستها حتى الثورة الفرنسية ـ وبمرسوم منها ، كما رأيناه في محله ـ !

فلقد كانت « تلك الضرائب السنوية المهينة التي كانت تدفعها ثلاثة أرباع أوروبا ، بل وحتى أمريكا » (409) ، في الحقيقة والواقع مجرد مساهمة منها في التكاليف التي كانت الجزائر تتجشمها لضمان حرية الملاحة في البحار ، بطلب من تلك الدول نفسها ، وبدافع من روح المسئوليات الدولية للجزائر على تلك البحار ، وخاصة منها البحر الأبيض المتوسط، بحرها ، عليها حراسته ، والسهر على سلامة الملاحة فيه ، لأنها منه هوجمت سنة 1505 م ، وظلت تهاجم من الدول المسيحية وكتلها بنداءات من الباباوات إلى شن حروب صليبية جديدة متواصلة ضد الجزائر ، وبقية البلدان المغربية الشقيقة ، بل « وافريقيا كلها والكفار » (أي المسلمين) ، كما أوصت بذلك إيسابيل الكاثوليكية !

ويقول بلانطي :

« إنه لا ينبغي اعتبار تلك الضرائب عبئا مفروضا ، بل كانت ثمن حرية البحر الأبيض المتوسط ، والعامل الرئيسي على أرباح الملاحة فيه » (410) .

وقد سبق أن رأينا أن الدايات كانوا يحرصون على أن تكون تلك الضرائب لا بالمال ، بل بالتجهيزات البحرية والعتاد الحربي في الدرجة الأولى .

---

(409) De Grammont : ibid, p. 1 de l'Introduction.

(410) Plantet : Les Consuls français, p. LXI.

وذلك أن الدولة الجزائرية كانت أقوى حتى من الخلافة العثمانية ، التى كانت قد بدأت فى الضعف والترهل – مع الأسف ! – مبكرا ، إلى أن أصبحت فى عهدها الأخير ، بل وحتى قبل الأخير ، تلقب بـ « الرجل المريض » ، بينما الجزائر إذ ذاك – لحسن الحظ – كانت قد بلغت أوج قوتها ، وتسلقت ذروة مجدها ، وتسنمت القمة ، ولذا بقيت مدة هى القوة بالنسبة لكل من الخلافة العثمانية ، وأوروبا المتكتلة ، بل وحتى لأمريكا فى عهدها الأول ، كما ذكرنا .

ويلخص لنا المؤرخ الأمريكى سبنسر ذلك كله فى كتابه الذى استفتحه ، منذ الصفحة الأولى ، بعد المقدمة ، بقوله :

«لم تكن مدينة الجزائر مرعبة للأمم والشعوب المسيحية أكثر من رئيسها الأسمى ، الباب العالى ، فقط ، بل استمرت أيضا توحى بجو من الإجبار ، والرهبة ، والجلال ، خلال الفترة الطويلة لتدهور الخلافة العثمانية .

« إن مدينة الجزائر ، كعاصمة لدولة مستقرة قوية فى شمال افريقيا ، قد مثلت ، ومعها وإلى جنبها تونس وطرابلس، القوة الإسلامية العثمانية القاطعة المنهمكة فى مقارعة الصليبية ، كالشفرة الحادة النافذة بعمق فى العالم المسيحى » (411) .

ومن هنا كانت الجزائر فى المصاف الأولى للدول الكبرى ، عزيزة الجانب ، وأدنى خطوة منها لها صداها وأى صدى ، وقولها هو القول الفصل !

وقد كانت كل من الدول الأوروبية وأمريكا تتابع بأقصى العناية وغاية الاهتمام كل ما يجرى بين الجزائر وغيرها من الدول ، إذ كانت الجزائر المقياس للقوة إذ ذاك، فتتصرف الدول

---

(411) Spencer : ibid, p. 7.

حسب ذلك ... آخذة ذلك بالاعتبار ، وحاسبة له حسابه ، ومقدرة إياه حق قدره .

وها هما مثلان اثنان ، يقول إروين :

« كانت دول الدانمارك ، والبندقية ، وبريطانيا ، وفرنسا، تتابع باهتمام مساعى أمريكا لعقد معاهدة سلم وصداقة مع الجزائر، فعملت على إحباطها. وذلك لأن الجزائر إذ ذاك ما كانت تعقد معاهدة سلم مع دولة ما إلا لتتفرغ لشن حرب على دول أخرى » (412).

ونحن وإن كنا لا نصدقه في عدوانية الجزائر ، إلا أن هذا يعطينا صورة عن هيبة الجزائر وقوتها .

« وقد كتب أوبراين O'Brien ، المبعوث الأمريكى الخاص إلى الداى حسن سنة 1791، يقول :

« إن شؤون أعدائنا الثلاثة : الفرنسيين ، والإسبان، والأنكليز فى الجزائر مضطربة ، وبذلك تضعضع نفوذهم .

« إن فرنسا كادت تفقد مؤخرا معاهداتها مع الجزائر . كما أن شؤون بريطانيا فى الجزائر مضطربة للغاية . أما اسبانيا فستواجهها صعوبات كبيرة فى المحافظة على المعاهدة التى عقدتها مع الجزائر سنة 1786 » (413).

كما ذكرنا عدة أمثلة ــ وأمثلة فقط ، وليست مستقصية للموضوع ــ للغارات التى قامت بها أوروبا ــ ثم أمريكا ــ ، منفردة حينا ، أو مجتمعة متكتلة على المستوى الأوروبى ، فى كثير من الأحيان ، وبنداءات ومباركة ، بل ومشاركة أيضا ،

---

(412) Irwin : ibid, pp. 86-115.
(413) Irwin : ibid, pp. 86-115.

من البابوات ـ مثل غارة شارلكان ، وغارتي بارثيلو ، وغيرها ، انضمت إليها أمريكا فيما بعد ، مثـــل الكتلـــة السباعية : الدانمارك ، وهولاندا ، وبروسيا (ألمانيـــا) ، وإيطاليـــا ، واسبانيا ، وروسيا ، وأمريكا ، التي أعلنت مجتمعة حربا بحرية على الجزائر سنة 1814 (414) !

وهذه الدول كلها بحرية قوية ، انضمت إليها انكلترا سنة 1816 !

وهكذا تحقق حلم كثير من هذه الدول الأعضـــاء في كتلـــة السبع الدول ، وخاصة منها أمريكا ، التي كانت تآمرت وناورت مدة طويلة ، وحاولت ، لدى أغلب الدول الأوروبية ، الصغيرة منها ، مثل البندقية ، والدانمارك ؛ والمتوسطة ، مثل إيطاليا ، وهولاندا ؛ والكبيرة ، مثل اسبانيا ، وفرنسا ، وروسيا التي أرسل جورج واشنطن مبعوثه الخاص ، دينا Dana ، إلى عاصمتها إذ ذاك ، سان بيترسبورغ St Petersburg ، (ليننغراد الحالية)، ليقنـــع قيصرتهـــا ، كاثرين الثانيـــة ، بالانضمـــام إلى حلف أوروبي ـ أمريكي ضدنا (415) !

ثم تلت هذه الحرب ـ كما نعلم ـ مؤتمرات ـ بل مؤامرات فيينا ، وباريس ، وآخن Aachen (Aix-La-Chapelle)، التي كانت الجزائر في جميعها على جدول الأعمال !

هل كل هذا أعد ضد بقة تمحق ، أو نملة تسحق ؟ هل تجتمع الأسود ، والنمرة ، والدببة ... وتضم إلى اتفاقها حتى الذئاب، والثعالب ، والضباع ، والقنافيد ، لتنقض كلها مجتمعة عـــلى أرنب أو قط ؟

---

(414) Irwin : ibid, p. 245.
(415) Dupuy : ibid, p. 17.

هل يمكن أن تتكتل اليوم جميع الدول الكبرى ضد إيسلندا، او ليكتنشتاين ، أو أية دولة صغرى أخرى، ومنها من هي أصغر من هاتين الدولتين ؟ بل وحتى ضد دولة كبرى مثل أنكلترا ، وفرنسا ، نفرض هذا جدلا ، طبعا ؟

إن تحالف الدول الأوروبية الست : اسبانيا ، وإيطاليا ، وهولاندا ، والدانمارك ، وبروسيا (ألمانيا) ، وروسيا مع أمريكا ، وهي السابعة ، لشن حرب بحرية سنة 1814 ضد الجزائر ؛ وتحالف الدول الستعشرة (16) سنة 1818 ضد الجزائر خاصة (كما يقول دوغرامون ، حيث يقول النص : « ضد البربروسيين » (أي الجزائريين، والتونسيين، والليبيين)، ثم يؤكد نصا وتصريحا : « **وخاصة ضد الجزائريين** » (416) (« en particulier des Algériens ») (417) ، وهي : أنكلترا ، وفرنسا ، وبروسيا (ألمانيا بالعاصمة برلين) ، وروسيا ، والنمسا ، وإسبانيا ، والبرتغال ، والدانمارك ، والسويد ، وهولاندا ، وعدة دول أخرى إيطالية وألمانية قبل وحدة البلدين ، نقول إن هذين التحالفين ــ أو هاتين الكتلتين الهائلتين ــ من الدول ضد الجزائر ليدلان على شيء : يدلان وحدهما على مدى شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية إذ ذاك ! هل هناك أبلغ من هذين الحدثين على صدق عنوان هذه الدراسة ؟

ما كان ذلك إلا لأن الجزائر كانت من كانت ... كانت الجزائر ! وكان داياتها أشجع من الأسود ، رابضين ، مستعصمين في رباطهم : القصبة المنيعة الحصينة ــ أدامها الله ! ــ ، في حالة استنفار دائم ، وباستمرار على أهبة واستعداد ؛ ولأن قادة بحريتها وجيشها كانوا وراءهم منضبطين ، رمزهم الفداء ،

(416) E. Plantet : Les Consuls de France à Alger avant la conquête (1579-1830), p. LXXIII.

(417) انظر الشكل رقم : 205 .

qu'il blessât la dignité de la France, à qui sa situation ne permettait pas alors de prétendre au premier rang dans l'association. Il éluda, en conséquence, les propositions de Lord Castlereagh, et demanda qu'on intervînt directement auprès de la Porte, pour faire rentrer ses vassales dans les limites du droit des gens.

Les Conférences, suspendues pendant plus d'une année, furent reprises au mois de janvier 1818. L'Angleterre déclara son intention de séparer les deux questions pour s'attacher exclusivement à celle des Barbaresques; la Russie demanda également cette séparation, et fit remettre un mémoire où l'on insistait sur la nécessité d'une expédition navale des Puissances coalisées. Elle demanda qu'on s'assurât au préalable de l'impuissance où se trouvait la Porte de faire prévaloir ses droits de suzeraineté. L'Autriche et la Prusse se rangèrent à cet avis, mais le Cabinet de Londres fit entendre qu'il verrait avec plaisir adopter son projet de ligue.

Quelques mois après, la discussion fut reprise au Congrès d'Aix-la-Chapelle. On reparla du plan élaboré aux Conférences de Londres [1], et l'on invoqua l'opinion du baron de Humboldt, qui, dans la Diète de Francfort, en décembre 1817, avait réclamé un engagement général de l'Europe contre les agressions des Barbaresques et en particulier des Algériens. Le duc de Richelieu proposa, au nom de la France, une *alliance défensive* de toutes les Puissances, et soumit à l'assemblée une nouvelle combinaison d'armée navale formée des contingents des nations intéressées. Les États qui devaient y prendre part étaient l'Angleterre, la France, la Prusse, la Russie, l'Autriche, l'Espagne, le Portugal, Naples, la Toscane, la Sardaigne, les États romains, les villes hanséatiques, le Hanovre, le Danemark, la Suède et les Pays-Bas. Metternich, Ministre d'Autriche, vit des inconvénients à toute expédition ayant un caractère militaire: Le comte Capo d'Istria, au nom de l'Empereur Alexandre, déclara que faire perpétuellement la police dans la Méditerranée n'était pas un résultat proportionné aux désirs du Congrès, et qu'il fallait arriver à mettre les Régences hors d'état de nuire, au premier acte attentatoire aux droits des nations chrétiennes.

1. Voy. *Projet de ligue contre les Barbaresques* (*Archives des Affaires étrangères, Alger*). — Voy. aussi *Recherches pour servir à l'histoire et à l'extirpation des pirates barbaresques*, par Azuni (Gênes, 1816).

Plantet: Les Consuls de France à Alger avant la Conquête:

الشكل رقم : (205)

والجهاد ، والاستشهاد ؛ ولأن شعبها كان متحـــدا ، متماسكا ، عاملا ، نشيطا ؛ واقتصادها كان مزدهرا قويا ، وكل هذا أضفى عليها هيبة عالمية جعلها مرنى الأنظار (418) ، وصوتها مدويا فى كل مكان ، وكلمتها ليست فقط مسموعة ، بل لها وقع وأى وقع، بل وحتى صمتها يحسب له ألف حساب !

يقول سبنسر : (419)

« وربما كان مفتاح **عظمة الجزائر** فى عصر القرصنة يكمن فى الوضعية الجذابة الخاصة بها .

« **فقد كانت تبرز صورة وحيدة من نوعها فى تاريخ البحر الأبيض المتوسط .**

« **وقد أعطى أحد نبلاء فرنسا ، دو غرامى ، وهو فى طريقه سنة 1619 إلى اسطنبول فى مهمة رسمية ، انطباعا حيا عن تلك الجاذبية** التى كانت لمدينة الجزائر **فى عز قوتها** ، فيقول :

« مدينة الجزائر ، ذلك السوط المسلط على العالم المسيحى !

« إنها رعب أوروبا ، ولجام إيطاليا واسبانيا ، وصاحبـــة **الأمر فى الجزر** » (420).

ثم يستأنف سبنسر :

---

(418) يقال عادة محط الأنظار ، وأفضل أن انحت اسم مكان من الفعل رنا يرنو، اى نظر إلى فوق ، إلى أعلى ... واشتق اسم المكان من فعل متعد بحرف جر ، كما يقال مضرب الأمثال ، اى يضرب به المثل.

(419) نكرر ذكره ، ونلح عليه ، لأنه آخر كتاب صدر عن مؤرخ أمريكى فى الموضوع ووقع بأيدينا ، والفضل يرجع للدكتور زبادية ، الذى أتى به من أمريكا وترجمه .

(420) Jean-Baptiste de Gramaye : Les cruautés exercées sur les chrétiens en la ville d'Argier en Barbarie. Paris, 1620.

« وإن عجز الأوروبيين عن النيل من الجزائر بالقنبلة البحرية قد ساعد المدينة على الاحتفاظ بذلك الحمل العجيب الثقيل عليهم ، المرهق لهم .

« أما بالنسبة للحكام الأوروبيين ، فإن رؤساء دولة الجزائر ظلوا دائما : « السادة الأمجاد العظام »
(« Très Illustres et Magnifiques Seigneurs »)
وعاصمتهم « المحروسة جدا»: « Alger la bien gardée » ، و « دار الجهاد الدائم ضد الكفار » (421) :
« Théâtre de la guerre » ; « l'Imprenable ville et Royaume d'Alger » ; « la puissante ville et Royaume d'Alger ».

(والصيغ المختلفة ــ مترجمة فقط ، مع الأسف ــ المستعملة في الرسائل والمعاهدات هي :
« Dey de la ville et République d'Alger ».
« A Alger, le centre de la victoire et de la guerre contre les infidèles » ; « Alger, la bien gardée, place de la guerre » ; « A Alger, la ville des soldats vrais croyants » ; « Alger la bien gardée, asile de la guerre sainte » ; « Alger, centre de la guerre » ; « le refuge de la guerre sainte contre les infidèles, à Alger la bien gardée » ; « Alger, séjour du combat contre les infidèles » ; « la ville bien gardée d'Alger, le centre de combat » ; « Alger la bien gardée, séjour de la guerre sainte contre les infidèles » ; « Alger, le centre de la guerre contre les infidèles ». (422).

وبقيت هذه الصيغ مستعملة ، ــ وكان الداى محمد عثمان يستعملها في أول الرسالة وفي آخرها ــ حتى عهد الداى عمر ، الذى كان أيضا يستعملها ؛ ولم نجد رسائل الداى علي خوجة ، ولكن الداى حسين ــ الأخير ــ ألغاها جميعها ، وكان لا يستعمل إلا اسم الجزائر ، بدون أى وصف ، ولا بدل ، ولا عطف بيان، ولا « حاجة » ! : وميزان القوى تغير !

ولنضف هنا أن إحدى هذه الصيغ كانت تستعمل أيضا في خاتمة نصوص المعاهدات .

---

(421) Spencer : ibid, p. 11.
(422) Plantet : Correspondance.

ومن منطلق القوة هذا ، مع شعور عميق بأداء رسالة ، وعبء المسئوليات الدولية الملقاة على عاتقها ـ زيادة عن حماية نفسها ـ لحماية الضعيف من القوى ، بل وأحيانا القوى من قوى اخر ، في ذلك المستنقع الآسن الذى كان يمثله البحر الأبيض المتوسط ، بل وأحيانا أيضا في غيره من البحار ، بل والمحيطات ، كانت الجزائر تعتلى المنصة .

وهكذا يقول لنا سبنسر :

« وأخيرا ، فإن الجزائر ، فى أوج قوتها ، قامت بمبادرات جديدة فى قضايا البحر الأبيض المتوسط ، سواء بالنسبة للأوروبيين، أو للحكومات التابعة للخلافة العثمانية» (423)، إذ « لم يكن أى حدث أو حادث يقع فى حوض البحر الأبيض المتوسط بدون أن تشارك فيه البحرية الجزائرية » :

« Aucun évènement ne se passait dans le bassin méditerranéen sans que la marine algérienne y prît part ». (424).

نعم ، فلقد حمت الجزائر ، بفضل قوة أسطولها ، وهيبتها العالمية ، شطوط بلاد شقيقة عديدة ، إذ ردت عنها غارات وأطماع اسبانيا والبرتغال وهما فى أعز مدهما الصليبى الأمبريالى الجارف ، فحدت بذلك من الخطر ، ومنعت تجدد مأساة الأندلس فى بلدان المغرب ، بل وافريقيا الإسلامية أيضا، إذا ما لم ننس وصية إيسابيل (بالإسبانية : Isabel) الكاثوليكية !

عندما بدأت الأندلس تحتضر ، قال عنها الشاعر الأندلسى الفحل أبو الطيب صالح بن شريف الرندى، ناعيا إياها بخالدته:

لكل شىء إذا ما تم نقصان . . .

---

(423) Spencer ; ibid, p. 12.
(424) Galibert : ibid, p. 198.

ولئن لم تصل الجزائر ، وشقيقاتها في هذا المغرب الواحد ــ الأقصى منه ، والأوسط ، والأدنى ــ ، بل وافريقيا الإسلامية كلها ، إلى هذا الدرك الأسفل من الامحاء والذوبان ، فقد كانت، مع ذلك ــ وأخواتها معها ! ــ على شفا جرف هار كاد ينهار بها ، عندما « زارها » « الأب » خيمينيث ... سنة 1505 م ... يهددها، زاعما أنه ملحق إياها بالأندلس ... فدعت الجزائر الإخــــوة الأربعة : عروجا ، وخير الدين ، وإسحاق ، وإلياس ، الذيــن التف حولهم الشعب الجزائري بإيمان ، وحماس ، واندفــاع ، فكانت « تلك البادرة المنطلقة من الجزائر هي التي غيرت مجرى التاريخ الافريقي » ، كما سجله بموضوعية وجزالــة شــارل أندريه جوليان :

(« Ce fut une initiative venue d'Alger qui changea le cour de l'histoire africaine ») (425).

ــ مثل أول نوفمبر بعد ذلك بقرون !

ثم أعادت الصليبية الكرة مرة تلو المرة ، وخاصة بــ «زيارة» شارلكان سنــة 1541 للجزائر العاصمة ، وكانت لاندحاره فيها نتائج لنا ، ونواجم لهم ، « وأخنت نواجم تلك الحملة ــ الكارثة بكلكلها طيلة ما يزيد عن ثلاثة قرون على الغرب (أوروبـــا وأمريكا) » :

(« Les conséquences de cette désastreuse expédition ont pesé pendant plus de trois siècles sur l'Occident ») (426).

وكان الحزم ؛ وكان العزم ؛ وكان الجهاد ، وكان الاستشهاد، وكان النظام ، وكان العمل ، وكانت النتيجة أن أحبطت الجزائر جميع التكتلات ؛ وأن قهرت المد الصليبي ، والشره الأمبريالي المنبعث ؛ وكانت الجزائر هي الحكم ، وكانت القطب ، وكانت المــدار ؛ وكان داياتها السادة الأمجاد العظام ، الذين قهــروا

(425) Charles-André Julien : Histoire de l'Afrique du Nord, p. 515, 1re édition.
(426) L. Galibert : L'Algérie, p. 184.

ذلك الغرب ــ أوروبا بشقيها ، التى انضمت إليها أمريكا ــ مدة ثلاثة قرون متوالية ، وودوا له الكيل كيلين ، « ووقفت الجزائر مدة ثلاثة قرون عائقا قويا أمام التدخل الأوروبى » (427) !

« وكانت الدول الأوروبية ، طيلة ثلاثة قرون متوالية ، تعتبر نفسها سعيدة عندما تعقد السلم مع داى الجزائر، وتحصل منه، حتى بتضحيات فى المال والكرامة، على أمن نسبى لبحريتها، وتبتلع من أجل ذلك سائر الإهانات »:

(« Pendant trois siècles, les Etats européens s'estimaient heureux de faire la paix avec le Dey d'Alger et d'obtenir, même par des sacrifices d'argent et de dignité, une sécurité relative pour leur marine. On dévorait tous les outrages ») (428).

وربما رمز لذلك الاستعصاء على الحدثان ؛ ولروح المقاومة التى ردت كل باغ عاد ، وطاردته حتى غاره ؛ ولتلك الهيبة التى توحى بالجلال ، إلى جانب جبالها وصحاريها ، ذلك الرباط الحصين ، تلك القلعة العتيدة ، ذلك الحصن المنيع : القصبة ، وما أدراك ما القصبة فى تاريخ الجزائر المجيد !

وكم يعجبنى هذا الوصف لها من المؤرخ الأمريكى سبنسر :

« إن تصور مدينة الجزائر كحصن للإسلام لا يمكن انتهاك حرمته ، وهو تحت حماية كل من القوى المرئية وغير المرئية التى حيرت أوروبا ، قد زاد من قوته وعمقه المنظر الطبيعى للمدينة .

« ... وكأنه قدر للاقتراب منها من جهة البحر أن يوحى بالجلال الذى يعود أيضا إلى عظمتها الفريدة من نوعها » (429) .

(427) Spencer : ibid, p. 185.
(428) Augustin Bernard, prof. de colonisation de l'Afrique du Nord en Sorbonne : L'Algérie, p. 167.
(429) Spencer : ibid, p. 40.

إنها حقا لمن أجمل العواصم ، لأمة من أمجد الأمم ، ولبلد من أعرق البلدان !

إيه ، جزائر بلكين ، جزائر خير الدين ، جزائر الأمة (430) والشعب (431) ، جزائر نوفمبر (432) : إني كلما عدت إليك ، وخاصة من جهة الشرق ؛ وواجهتني القصبة ، رمزك الخالد ، رمز الكفاح ، والمقاومة ، والكرامة ؛ وقابلتني مرتفعاتك المشرفة ، بعزة ، وشمم ، وجلال ، على ديارك البيضاء ، مطلة على البحر الرابض عند قدميك ؛ ومستشفة ، من وراء الأفق ، تلك البحار التي جعل منها أساطيلك بحيرات ، إلا وانتشيت انتشاء أفعمني ثقة بالنفس واعتدادا ؛ وامتلأت فخارا واعتزازا وارتقت بي مشاعر عميقة سامية إلى المدارج العليا من الفكر ، والخلق ، والحضارة ؛ وجالت بي الذكريات عبر التاريخ في مراتع المجد ، والأصالة ، والأثالة ، والعراقة ؛ ورددت للمرة الألف ، وألف الألف ، وبلا عد ولا حساب ، قول مؤمن بن سعيد الأندلسي :

ما كل ما قيل كما قيلا
فقد باشر الناس الأباطيلا !

وقلت في نفسي ، بصوت عال ، فعلا :

« أهذه هي الجزائر التي قال عنها دوغول ـ ولا يزالون يتقولون ، ولا زالوا كاذبين ، ولا زال عنهم الكذب ! (433) ـ إنها

(430) و (431) حزبي النجم والشعب اللذين مهدا لفاتح نوفمبر ... كما يقول مفدي :

هم الثائرون الألى ولدوا نوفمبر من صلبهم فاستقام !
متى نزلت ثورة من سماء نزول المسيح عليه السلام ؟

(432) 1 نوفمبر 1954 (للقارئ غير الجزائري : انطلاق المرحلة الأخيرة من الكفاح التحريري المسلح) ، والأمة كانت جريدة نجم الشمال الإفريقي.

(433) لا مع ماضي هذا الفعل تفيد الدعاء .

لم تكن أمة ، ولا دولة ، ولا حتى شعبا فى تاريخها ؟ بل ولم يكن لها أبدا من تاريخ ؟ تسير هكذا سبهللا ، عشائر مزركشة متنافرة ، وأخلاطا بعداوات سافرة ، غير متجانسة بل هى متناحرة ؛ ليست بشعب ولكنها أشتات متداحرة (434) ؟ وأنه حتى وإن كانت هناك دولة ، فهى لأتراك أجانب ، سواء كانوا أسودا أم أرانب (435) ؟

إيه ، جزائر بنى مزغنة ! (436) وإيه ، جزائر افريقيا ! (437) إنى كلما تعمقت فى تاريخك ازددت حبا ، وتعمقا ، وانغراسا فيك ؛ وتعلقا ، وإعجابا ، وافتخارا بك ؛ وإجلالا ، ووفاء لك ، وحرصا وسهرا عليك ؛ وسعيا وهروعا إليك ؛ وعجزا وعزوفا عن الابتعاد والسلو عنك ؛ وترنمت ، فى هيام بك ؛ وفى رهبة منك ، وخشوع أمامك ؛ بقول شاعر أناشيدنا وإلياذتنا ، المرحوم مفدى زكرياء :

« فيا أيها الناس هذى بلادى ومعبد حبى وحلم فؤادى
وإيمان قلبى ، وخالص دينى ومبناه ... في ملتى واعتقادى
بلادى أحبك فوق الظنون واشدو بحبك فى كل نادى

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

وأوقفت ركب الزمان طويلا أسائله عن ثمود وعاد
وعن قصة المجد من عهد نوح وهل إرم ... هى ذات العماد ؟
فأقسم هذا الزمان يمينا وقال: الجزائر ... دون عناد !

---

(434) فى خطابه يوم 16 سبتمبر 1959 .
(435) آخر صيحة كانت من كالفليش ، فى 1982 ، وقد ذكرناه .
(436) هو اسمها الأول، الذى أعطاها إياه مؤسسها، بلكين بن زيرى، حسب ابن خلدون .
(437) كما كان يسميها الدايات .

الأمم بتاريخها ، ونحن أعداء الوثيقة !

وبعد ، فقد يقول قائل ، ويعلق معلق ، ويثرثر ثرثار ، ويخربش مخربش :

« لم كل هذا التعلق بالأشباح ؟ وما هذا التشبث بماض سحيق ؟ وما هذا الإلحاح على إثبات وجود أمة ... ودولة ... الخ ... ونحن في 1982 ، والبلاد قد « استقلت» منذ عشرين سنة ! »
ونرد على هذا بما يلي :

أولا : إن البلاد لم تستقل سنة 1962 ، وإنما استرجعت استقلالها ... وبين الصيغتين والمفهومين بون شاسع وأي بون ، لمن لا يرضون بالهون ، في هذا الكون !

وثانيا : إن مثل هذه المواقف السلبية من تاريخنا ، وعقلية « ما عليش » هذه ، هي التي تبلبل الشباب ، إلى حد أن جعلت بعضهم يتظاهرون في الشوارع ، ويرفعون عقيرتهم ، بكل سخف وخساسة ، أمام الوزارات ، وما أعلى من الوزارات ، وهم ينعقون ، كغربان البين : « التاريخ في المزبلة ! »
« L'Histoire à la poubelle ! »

وثالثا : إن خصومنا « بالأمس » لا يزالون يهاجموننا ــ وفي 22 سبتمبر 1982 كتب « كالفليش » : « إن الجزائر لم تكن دولة ، بل كان يحكمها أتراك » ! ــ ، فما دام هناك هجوم لابد من رد وصد، بل ومن هجوم مضاد عند اللزوم،وهناك لزوم فعلا، كما نرى !

سبق لنا ، في خربشات أخرى (438) ، أن أوردنا أمثلة لاهتمام الأمم ــ التي هي في القمة اليوم في جميع المجالات ! ــ بتاريخها

(438) إنية وأصالة ؛ أصالـيـة أم انفصالية ؟ ؛ بعض مآثر فاتح نوفمبر .

وحرصها عليه اليوم أكثر من ذى قبل ؛ وهى التى لم يسبق لها قط أن أهملته ، ولا قصرت فيه ، ولا زوره لها أحد ، ولا أنكر عليها الوجود منكر. وذكرنا بالاسم روسيا، والصين، وفرنسا... كما ذكرنا أيضا اسماء بعض البلدان الشقيقة ، مثـل مصر ، والعراق،واليمن الجنوبى ...

ونود أن نضيف إليها اليوم بضعة أسماء أخرى بغاية الإيجاز، بمجرد الذكر ، وعلى سبيل المثل فحسب .

ولنبدأ بالبلدان الشقيقة ، ولنكتف منها بالمجاورة ، التى كنا وإياها كم من مرة فى التاريخ بلدا واحدا ، وشعبا واحدا، وأمة واحدة هى نفسها جزء من أمـة أكبر وأشمل ، هى التى يقول عنها القرآن : « **إن هذه أمتكم أمة واحدة** » ، وسنعود كذلك، إن شاء الله ، مستأنفين البناء ، حسب المراحل الضروريـة المنهجية ، الضامنة للنجاح ، بحرص العباد ، وتوفيق الله .
ومبتدئين من شرق هذا المغرب فنقول : إن ليبيا قـد اتخذت خطوات رسمية مسرعة فى كتابة تاريخها ، منذ فجره الأول حتى اليوم ، لتدارك ما فاتها فى هذا المجال ، وبدأت فعلا بإصدار معلمة واسعة .

وتونس ، التى لم تهمل تاريخها قط ، عـلى مر عصوره ، وليس فقط منذ ابنها عبد الرحمن بن خلدون ، لهى اليـوم حريصة عليه ، دائبة فى العناية به ، وإصدار أية جزئية عنه ، وأنشأت لذلك رسميا دارين للنشر ، تتنافسان فى الخير ، أى فى الإنتاج والتوزيع ، فضلا عن الجهود الفردية الخاصـة ، ومبادرات الهيئات الشعبية .

وربما كان المغرب الأقصى أكثر هذه البلدان الشقيقة عملا فى حقل التاريخ ، وعناية به ، وجمعا لعناصره ، وصيانـة

لسائر وثائقه ، من مادية ، وكتابية ، وذاكرة شعبية ، وإصدار الكل ، إنتاجا ، وتوزيعا .

وآخر إنتاج له في هذا الميدان هي معلمة من عشرة مجلدات، عنوانها : « التاريخ الدبلوماسي للمغرب من القرن الثامن قبل الهجرة إلى القرن الرابع عشر ، أو من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن العشرين » (439) ، لأخينا وصديقنا الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي .

أما عن الأمم الأخرى التي هي اليوم في القمة في جميع المجالات ، فأورد بضعة أمثلة عن مواقف وتدابير اتخذت في السنتين الأخيرتين في ثلاثة بلدان أوروبية : فرنسا ، وأنكلترا، وألمانيا الاتحادية (الغربية) :

1) ففي فرنسا ــ ونذكر عنها ثلاث بوادر رسمية ــ :

أ) أعلنت سنة 1980 « سنة التراث » : « l'Année du patrimoine ».

وزيادة عن الكتب التي أصدروها بنفس المناسبة وفيما بعد، والأفلام التي أنتجوها، إلى غيرها من التدابير لتعزيز حب التراث والتاريخ ، أنشأوا مقاما ضخما للجندي المجهول ، أو الشهيد ، كما نقول نحن ، (Belvédère) ، محاطا بحدائق ، ومشتملا على مناظر ... في المكان الذي جرت فيه المعركة الفاصلة بين يوليوس قيصر وفرسانجيتوريكس ، أليزيا (في منطقة الأوفرن Auvergne ، مسقط رأس جيسكار ديستان) ، وأسر فيه القائد الروماني خصمه زعيم مقاومة غاليا (فرنسا القديمة) سنة 46 قبل الميلاد (أي بعد يوغورطا (440) بأربعة وخمسين عاما ، ومات الاثنان أسيرين في سجن ماميرتينوم Mamertinum بروما؛ يوغورطا

(439) انظر الشكل رقم : 206 أ ، 206 ب .

(440) انظر الشكل رقم : 207 .



الشكل رقم (206) :

HISTOIRE DIPLOMATIQUE DU MAROC

THE DIPLOMATIC HISTORY OF MOROCCO

[illegible]

by Dr. Abdelhadi TAZI

HISTOIRE DIPLOMATIQUE DU MAROC

du VIIIe S. av. l'Hégire au XIVe S. de l'Hégire (du IIe S. av. J.C. au XXe S.

par Dr. Abdelhadi TAZI

This work consists of ten volumes comprising 3.000 pages and 1.000 charts, maps and graphs (which were derived from sources in different languages).

The Diplomatic History of Morocco studies the relations between Morocco and several nations and peoples and presents us with some of the greatest traditional politicians and diplomats who played an important role in world history.

Cet ouvrage est composé de dix tomes comportant trois milles pages, mille documents, cartes et planches photographiques (ces illustrations ayant été empruntées à une documentation écrite en plusieurs langues).

"L'Histoire diplomatique du Maroc", étudie les relations qu le Maroc a entretenues avec diverses nations et peuples et nou présente les politiciens et diplomates de la plus pure tradition et qui ont joué un certai rôle dans l'Histoire du monde.

الشكل رقم : (206) ب

يوغورطة بن منستابعل ١١٩ ـ ١٠٤ ق . م .



الشكل رقم : (207)

رسم البطل الكبير المخلص الملك يوغورطة

نسبه الكريم ونشأته الحسنة

هو يوغُورطَةُ بن منستابعل بن مصينيسا . وبعض المؤرخين يسميه يُوغَرْطة . وأنا أختار يوغورطة لأنه أفخم وأليق بشخصيته القوية .

وكان والد يوغورطة هو منستابعل . وقد عينه والده مصينيسا وزير العدل فى دول[ة] مصينيسا . فتوفى فى سنة ١٤٥ ق م فترك ابنه يوغورطة فى عنفوان الرجولة وفور[ة] الشباب . وكان سن يوغورطة لما توفى والده حوالى سبع وعشرين سنة كما يدل رسم[ه] الذى وضع أيام ملكه . إن رسمه أيام ملكه ينبىء بأنه فى العقد الخامس أو أكثر ، وفى آخر أيام الشباب ، وعلى أبواب الكهولة .

وكان يوغورطة قد اعتنى والده بتربيته وتثقيفه ، وعلمه الفروسية ، وفنون الحرب ، واعتنى به فى كل نواحيه ، ورباه تربية الحكيم الذى يعرف كل مواهب ابن[ه]

عن محمد علي دبوز :
تاريخ المغرب الكبير
نشر عيسى البابى الحلبى
القاهرة 1384هـ (1964م)

صبرا ، أى جوعا وعطشا ؛ وفرسانجيتوريكس خنقا) ؛ وجدوا تثبيت تمثاله فى هذا المكان . كتبت لوموند عن هذا كله مقالا تحت عنوان : « استنطاق الحجارات القديمة » :

(« Faire parler les vieilles pierres ») (441).

ب) ثم أعلنت فرنسا سنة 1981 «سنة التاريخ «l'Année de l'Histoire»، وجندت لتلك الندوات والاحتفالات جميع الشخصيات المتخصصة والمهتمة ، من رؤساء وزراء سابقين وحاليين ؛ إلى مديـــرى جامعات ، ومؤرخين ، وأساتذة التاريخ ، الخ ؛ وسائر أجهزة الإعلام ، والمتاحف ، والقاعات المتخصصة .

ج) ثم فى يوم تنصيب الرئيس الحالى لجمهوريتها ، فرانسوة ميتران : فبمجرد استلام المهام من الرئيس السابق ، بدون أن يعود إلى مكتبه ، ويجلس على كرسيه ، فضل أن يباشر أعماله ، ويدشن رئاسته ألمجمهورية : بزيارة مقبرة عظماء فرنســا ، فذهب رأسا من سلم قصر الإليزيه ، راجلا ، ومعه مساعــدوه الأقربون ، مـــن الحى الثامن إلى الحـــى الخامس فى باريس ، والأناشيد تنشد ، والموسيقى تعزف ، إلى أن وصل الموكب إلى الحى اللاتينى ، وتوجه إلى البانتيون (Panthéon) ، مقبرة عظماء فرنسا ، قرب السربون . فزار ، ووقف إجلالا للذكرى . وكتبت جريدة لوموند ، مثلا ، وغيرها أيضا ، طبعا ، مــا كتبت . ومما جاء فى لوموند ، من صيغ ، وتعابير ، وشعارات ، مثل هذه :

« احتفال الذاكرة والذكـــرى » : « cérémonie de la mémoire » ؛ « وتقديس المـــاضى » ، « sacre du passé » ؛ « والانغراس فى التاريـــخ ، أو الضرب بالجـــذور فى أعمـــاق المـــاضى » (s'enraciner dans l'Histoire) ؛ « وأن يعيد (ميتران) للقيـــم

(441) Le Monde, 1er août 1981.

الوطنية ولعشرين بطلا من الملحمة الفرنسية ، جوريس وجان مولان خاصة ، ما يعود لهم » :

(rendre aux vertus nationales, à vingt héros de l'épopée française, à Jean Jaurès et à Jean Moulin, surtout, la part qui leur revient) ;

« للتركيز على شجرة النسب » : « la filiation » ؛

« وعلى ثقل الميراث » : (le poids de l'héritage) ؛

« ومقاومة فقدان الذاكرة » : (lutter contre l'amnésie) ؛

« وتمجيد رجال الحرية » : (rendre hommage aux hommes de la liberté) ؛

وذلك كله بتلك الزيارة الرمزية التى قام بها إلى « مقبرة عظماء فرنسا ، التى هى صرح الذاكرة الفرنسية »
(au Panthéon, mémorial de la mémoire française).
« فى باريس ، مدينة الذكرى والذاكرة » .
(dans Paris, ville de la mémoire).

وكأن البعض لهم ماض ، يحتوى على ذكريات ، وذاكرة تحفظها ... والآخرين ... ليست لهم ذكريات ، ولا ذاكرة تحفظها ... حيوانات ترعى ، وتروث ، وتمشى هكذا سبهللا ، بدون هدى ، ولا ذكرى ، ولا ذاكرة ، ولا ذكر !

ونحن لا نريد أن نكون من هؤلاء الأخيرين ، لأن لنا ، نحن أيضا ... أبطالا عظاما ، وتاريخا مجيدا ، وبلدا أثيلا تليدا ، وشعبا قديما جديدا ، ، وأمة عريقة أصيلة !

2) والبلد الأوروبى الثانى الذى نذكره فى هذا الصدد ، بالنسبة إلى العامين الأخيرين ، هو أنكلترا ، التى بذلت جهودا جبارة دامت سنوات عديدة (سبعة عشر (17) عاما !) ؛ وأنفقت أموالا ضخمة (أربعة ملايين من الجنيه الاسترلينى ، أو سبعة ملايين من الدولارات) ، لانتشال بقايا الهيكل المتآكل للبارجة

(السفينة الحربية) ميرى روز (Mary Rose) من قاع البحر ، الذى ظلت فيه مدة تزيد عن أربعة قرون ... إذ صنعت سنة 1510 ، وغرقت سنة 1545 ، في عهد هانرى الثامن (وخير الدين ، وفرانسوة الأول ، وشارلكان) ، وهى فى طريقها لمحاربة الفرنسيين !

لقد أقاموا احتفالات ضخمة للإشادة بانتشالها ؛ وستقام مهرجانات أعظم منها عند عرضها على الجمهور ، فى الربيع الحالى ... « كأثر هام لأسرة تيودور (Tudor) ، وكمصدر، لا يقدر بثمن، للمعلومات عن الأعوام الأولى للبحرية البريطانية ... » قبل أن تصبح إحدى سيدات البحار ، ثم سيدتها على الإطلاق، فيما تلى ذلك من قرون !

3) والمثل الأوروبى الثالث فى هذين العامين الأخيرين عن الاهتمام بالتاريخ ، وإعطائه ما يستحق من عناية ورعاية فى حق الأمة ، وفى حياتها ، نسوقه من ألمانيا الاتحادية (الغربية). أوردته جريدة دى فيلت الألمانية ، تحت عنوان : « ساعة (أى درس) التاريخ »(« Geschichtsstunde »)،عن خطاب رئيس الجمهورية الاتحادية الألمانية ، كارل كارستنس ، يوم 06 أكتوبر (1982) ، أمام المؤتمر الرابع والثلاثين للمؤرخين الألمان في مدينة مونستر (Muenster)الجامعية العريقة ، « عن أهمية التاريخ لتفهم أى مجتمع نفسه ، وبالتالى للشعب الألمانى » ، إذ قال ، مما قال :

« لقد ظن بعض الناس فى وقت ما أنهم يستطيعون الاستغناء عن التاريخ . ولا يزال البعض حتى اليوم على هذا الرأى . فهم **يرون أن التاريخ ليس إلاّغبار الماضى ، الذى لا يجدى فتيلا .**

« ولكن الماضى يظل مفعوله مستمرا حتى عندما يرفض البعض معرفته ، هذا الرفض الذى ينتظر منه البعض أن يحررنا ،

ولكنه فى الحقيقة يضيق الخناق علينا ؛ ويعرضنا لأحداث يومية وتيارات جارفة ، لأننا لا نعرف أسبابها التاريخية ، وتعوزنا المقاييس التاريخية التى يمكننا أن نزنها بها لنفهمها .

« إنه ليس من الحكمة أن ننغلق على معرفة جهود الأجيال السابقة ، ونجاحها أو إخفاقها . وحتى الذى يريد أن يغير ويصلح يحتاج أكثر من غيره إلى تلك المعرفة (للتاريخ) .

« إنه لا يمكن أن يأمل النجاة من أخطاء الماضى إلا من يعرفها . ولكن ليست معرفة الأخطاء فقط هى قصدنا من التاريخ ، بل معرفة الصورة الكاملة للماضى ، معرفة التاريخ كله .

« وهذا التاريخ لا يتمثل فقط فى أخطاء المخطئين ، وفشل الفاشلين . وذلك أن التاريخ يشتمل على النجاح وعلى الفشل، ولكن أيضا على إنجازات كبرى » .

ويختم الرئيس الألمانى كارستنس خطابه بقوله :

« ... وهكذا فإن تاريخ أية أمة من الأمم مفتاح يؤدى إلى وطن فكرى ، روحى، ويخلق ألفة ، ويضمن أمنا وثقة بالنفس .

« لهذا أرى أن الحس التاريخى ، المرهف ، الذى يفترض معرفة التاريخ ، لمن الأهمية بمكان بالنسبة لكل من الفرد والمجتمع » (442) .

وعلقت على هذا الخطاب الجريدة الألمانية المشهورة فى افتتاحيتها تقول :

« ومن الجدير بالملاحظة تأكيد الرئيس كارستنس بكل جزم أهمية المعرفة التاريخية كتقنية اجتماعية من الدرجة الأولى ،

(442) Die Welt, 7 Oktober 1982.

تفوق بكثير التقنيات الأخرى من نوع ذلك المسبر الاجتماعى (علم الاجتماع) ، الذى يحبه البعض إلى درجة الهيام .

« ... وهذه الأهمية هى التى يعنيهـا أورتيغا إى غاسيط (الفيلسوف الإسبانى) إذ يقول :

« إن المعرفة التاريخية ضرورية ضرورة مطلقة للمحافظة على حضارة مكتملة ولاستمراريتها » .

« وإن تذكير الرئيس كارستنس بذلك أمام مؤتمر المؤرخين ليبعث على الأمل أنه حتى فى مدارسنا أيضا سيجـــد تدريب الذاكرة التاريخية قريبا مكانته التى يستحقها » (443) .

ونحن فى الجزائر أيضا نأمل هذا لأنفسنا . ومما يبعث على هذا الأمل اهتمام الأخ رئيس الجمهورية ، الأمين العام للحزب ، السيد الشاذلى بن جديد ، بهذا الجانب من نشاطنا الفكـــرى وحياتنا القومية ، بتصريحاته ، وتعليماته ، وإشرافه على الندوة التاريخية عن فاتح نوفمبر .

وفى البوادر المتخذة قبل ذلك ، وخاصة بعد ذلك ، من عدة أجهزة فى الحزب ، والدولة ، وعلى مستوى الأفراد ، لما يعزز هذا الأمل ، ويبعث على التفاؤل ، بل والثقة والاطمئنان .

ولقد اتهمنا البعض ـ وله بعض الحق ، بل كل الحـــق فى ذلك ! ـ بعدم اهتمامنا فى الماضى البعيد ، وفى الماضى القريب، بالوثائق ، والآثار ، والتاريخ .

ونسوق هنا مثلين اثنين : أحدهما لمؤرخ فرنسى ، والثانى لزميل له أنكليزى .

(443) Die Welt, 7 Oktober 1982.

فالأول هو بلانطى ، الذى كتب ، فى بداية مقدمة كتابه عن « مراسلة دايات الجزائر مع ملوك فرنسا»: « أن الجزائريين كانوا دوما غير مكترثين بالمحافظة على الوثائق » :
(« Les Algériens ont toujours été peu soucieux de conserver des archives ») (444), (445).

والثانى هو أليستير هورن ، الذى يقول :

« إن موقف الجزائريين من تاريخهم يبدو عجيبا للأوروبيين.

« إنهم (الجزائريين) يقولون : « إن الصفحة الآن مقلوبة » .

« وحتى فى صميم حى القصبة ، فإنك لا تجد هناك لافتة ، ولا أية كتابة ، تدل على المراحل الرئيسية لكفاحهم ضد مظليى الجنرال ماسو (Massu) : فلا الدار التى كان يختبىء فيها سعدى ياسف ، ولا التى تمزق فيها علي لابوانت (بالمفرقعات)، تحملان أثرا يدل عليهما » (446) .

فى هذين القولين جانب كبير من الصحة : فنحن ، حقا ، « من قديم الزمن وسالف العصور » أعداء الوثائق ، سواء منها المكتوبة ، كالوريقات ، أو المادية ، كالمعالم ، والآثار ، وكل ما يمثل شهادة عن الماضى .

« إن الثقافة هى التاريخ » ، كما قال ، أخيرا ، السيد وزير الثقافة ، الأخ الدكتور عبد المجيد مزيان .

ونحن نضيف أن الأمية نوعان : أمية حرفية وأمية معنوية . ومن الأمية المعنوية البسيطة جهل الإنسان بقدر معلوم من تاريخ بلاده ؛ ومن الأمية المعنوية المركبة الادعاء ، واستعمال الصيغ ، والاصطلاحات ، والمفاهيم المستوردة المعارضة لحقيقة تاريخنا،

---

(444) Plantet : Correspondance, p. VII, t. 1.

(445) انظر الشكل رقم : 208 .

(446) Alistair Horne : Histoire de la guerre d'Algérie, p. 579.

jusqu'à la Révolution. Nous devions par conséquent explorer les Archives de la Marine et les Archives coloniales pour tout ce qui concernait, pendant les deux derniers siècles, les négociations algériennes.

Enfin lorsque la direction des Consulats fut confiée par la Convention, le 14 février 1792, au Ministère des Affaires étrangères, le Dépôt des Archives de ce département s'accrut d'une quantité considérable de papiers d'État et notamment de la plus grande partie des dépêches de nos Consuls. Ce fonds s'est peu à peu complété avec les documents modernes, et nous avons été, croyons-nous, le premier à en faire le dépouillement complet pour les trois Régences d'Afrique. Ce travail nous a permis de commenter chacune des lettres des Princes d'Alger, et de les éclairer par des annotations puisées aux sources officielles.

Peu de temps après la conquête du général de Bourmont, les Archives du Consulat de France à Alger revinrent au Ministère des Affaires étrangères, et cette nouvelle série de documents historiques, en complétant tous ceux que nous venons de signaler, nous a permis de suivre pas à pas, pour ainsi dire chaque jour, les relations parfois si difficiles de nos Consuls avec les Gouverneurs de cette étrange République. Mais si les trois dépôts que nous venons d'énumérer ont conservé les lettres originales émanées des Potentats barbaresques, les réponses écrites par nos Rois n'ont pas été l'objet des mêmes soins. Les Algériens ont toujours été peu soucieux de conserver des Archives, et, à défaut des originaux perdus, nous avons dû transcrire les minutes élaborées dans les bureaux du Secrétaire d'État.

الشكل رقم : (208)



العلامة الثائر الامام عبد الحميد بن باديس
رائد النهضة الحديثة بالمغرب العربي
وقائد الحركة الاصلاحية ومؤسسها بالجزائر

الشكل رقم : (209)

حتى حسب المصادر الأساسية لمصدّرى تلك الصيغ، والاصطلاحات، والمفاهيـــم ...

إن التاريخ ذاكرة الأمم ، فهو لها « بمثابة العقل للأفراد » ، كما يقول الفيلسوف الألماني شوبنهاور : « يحب كالإنجيل ، ويلقن للصغار ، ويدرس للكبار ، بنفس التقديس والإجلال»، كما قال فيلسوف ألمانى آخر ، فيخته .

وكم يحلو لنا أن نختم هذه النصوص عن أهمية التاريخ بنص لابن باديس (447) (ـ وختامها مسك ـ)، إذ يكتب فى افتتاحية له فى الشهاب تحت عنوان : « الرجل المسلم الجزائرى » : متسائلا، ومجيبـــــا :

« من هو الجزائرى ؟ إنما ينسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضى ، ومصالح الحاضر ، وآمال المستقبل .

« والذين يعمرون هذا القطر وتربطهم هذه الروابط هم الجزائريـــون .

« **والنسبة للوطن توجب علم تاريخه** ؛ والقيام بواجباته ، من نهضة علمية ، واقتصادية ، وعمرانية ؛ والمحافظة على شرف اسمه ، وسمعة بنيه .

« فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ؛ ولا سمعـــة لمـــن لا سمعة لقومه » (448) .

---

(447) انظر الشكل رقم : 209 .

(448) ابن باديس : الشهاب، ص 11، ج 10 ، م 5 ، جمادى الثانية 1348 هـ (نوفمبر 1929 م) . وقد أورد هذا النص كل من الأستاذين الدكتورين:
1) عمار الطالبى : ابن باديس : حياته وآثاره ، ج 3 ، ص 306 .
2) وتركى رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس : فلسفته وجهوده فى التربية والتعليم ، ص 272 . ولكنه فى « الشهاب » أكمل .

ونود فقط أن نربط عجلتنا بدباية ابن باديس ، شارحين ، مؤولين ، وبذلك نكون قد ختمنا موضوعنا عن شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 بما بدأناه به : التأكيد على أهمية العناية بالتاريخ ، فنقول :

وذلك أن التاريخ أحد العناصر الأساسية لشخصية أى بلد ؛ ومن أهم مكونات ذاتية أية أمة من الأمم ؛ والعقد الذى تنسلك فيه جميع حلقات المقومات الثلاثة الأخرى لإنيتها(449) وأصالتها، التى هى الدين ، واللغة ، وحب الوطن .

فالأمة بدون هذه المقومات الأربعة لا شيء ، وبها هى هى !

وفقنا الله لتأكيد الإنية، أو حتى الهوية، ونجانا من الهاوية!

---

(449) نفضل كلمة الإنية هذه على كلمة « الهوية » ، التى هى ترجمة حرفية لكلمة identité ، وهى تركيب مزجى من اللاتينية المحدثة (le bas latin) من كلمتين : idem ، بمعنى نفس الشيء ، هو هو ، و entitas ، بمعنى الكيان ، التى هى حالة جر من حالة الرفع : ens.
(فكلمة identité ، إذن ، معناها : نفس الكيان ، نفس الموجود، نفسه، عينه، هوهو. ومن هنا نفضل على كلمة الهوية (بضم الهاء، ودون مد، لا كما تنطق خطأ، كالعادة، بفتحها ... مع مد، حتى لو كان خفيفا، أو « محذوف » ، كما يقال بالرسم القرآنى ، مما يعطى الكلمة معنى مغايرا تماما للكيان ، بل تصبح دالة على حذف الكيان !) نفضل على كلمة الهوية ، إذن ، كلمة الإنية ، من إنى ، المؤكدة للذات ، المثبتة للشخصية، والمأخوذة من « الإشارات والتنبيهات » لذلك القمقام الكبير ، الفيلسوف الطبيب ، الشيخ الرئيس ، الحسين أبى علي بن سينا ، رزقنا الله فى عصرنا هذا بمثل منه ، وشكرا له ، وليس فقط حمدا !
وإن زادنا نعمة ، فبأمثلة عدة . وقد شكرناه مقدما ، واثقين من استجابة دعائنا ، ولم نشكره على العدم ؛ حتى لا يزيدنا عدما على عدم !
(« **لئن شكرتم لأزيدنكم** » ، صدق الله العظيم) .
(انظر فى أصل كلمة ومفهوم « الإنية » خربشتنا : « إنية وأصالة » ، أو ، على الأحسن ، الكتاب الجليل المذكور لابن سينا ، قدس الله روحه) .

فهـرس صـور الأشخاص ، والأحـداث ، والوثائـق المادية والكتابية للجـزء الثانـي :

فهــرس الموضوعات (*)

العلاقات مع فرنسا :

(*) هذا الفهرس للموضوعات متكامل تكاملا مطلقا مع فهرس الصور والوثائق والأحداث ، وكل منهما لا يعطي إلا صورة ناقصة بتراء بدون الآخر .



محاولات للمخربش

1 ـ الجزائر Algerien

(Arabische Liga, Bonn, BRD, 1957)

(بالألمانيه ، نشر مكتب جامعة الدول العربية ، بون ، ألمانيا (1957م)

2 ـ إنيــة وأصـالــة

(نشر وزارة التعليم الأصلى والشؤون الدينية ، **مطبعه البعث** . قسنطينة 1395 هـ (1975 م) .

3 ـ أصالية أم انفصالية ؟

(فى جزئين ، وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، **مطبعة البعث** ، قسنطينة 1400 هـ (1980 م) .

4 ـ مـآثر فاتح نوفمبر

طبع بدار البعث 1403 هـ (1983 م) .

5 ـ وهذه ، بين أيدينا : **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبـل 1830** ، فى جزئين .

عدا مقالات نشرت فى « المغــرب العــربى » (الجزائر) **1947 ـ 1949** م ؛ و « الثمرة الثانية » ، و « الحرية » . و « لسان العرب » (تونس) فيما بين 1947 و 1949 م ؛ و « صوت الشعب » ، و « المنار » (الجزائر) **1951 ـ 1954** م، و « البيان » ، و « الفيحاء » ، و « الزمان » ، و « النصر » (سوريا) **1953** ؛ وكذلك فى مجلــة علــم النفس (القاهــرة) فيمــا بــين **1950 ـ 1954** م ؛ و « Die Arabische Korrespondenz » فى بون (ألمانيا) **1957** م ؛ وأحاديث فى تلفزة ألمانيا ، ومحاضرات فى ألمانيا (الغربية) ، والنمسا ، والسويد ، وفنلندا ، أثناء كفاحنا التحريرى ؛ وفى تلفزة لندن ، والجزائر ، وفى الصحافة الجزائرية ، ومحاضرات فى الجزائر ، بعد استرجاع الاستقلال ، لم تجمــع ولم تنشر ، ومقالات فى مجلة « الثقافة » ، و « المجاهد » اليومية بالفرنسية . و « الجزائر الأحداث » ، بالفرنسية أيضا .

طباعة دار الأمة

2007

ص. ب 109 برج الكيفان 120 16 الجزائر

هاتف / فاكس: 04 22 20 021

مولود قاسم نايت بلقاسم

من مواليد 06 جانفي 1927 بقرية بلعيال، بمنطقة آيت عباس، دائرة آقبو، ولاية بجاية، و«قاسم» لقب استعارة في مرحلة النضال والجهاد.

تعلم القراءة والكتابة وحفظ جزء من القرآن الكريم في مسجد القرية، ثم انتقل إلى زاوية سيدي يحيى العيدلي بتمقرة، فحفظ القرآن الكريم ونهل من العلوم الشرعية وعلوم اللغة على يد العلامة الشيخ محمد الطاهر آيت علجت، حفظه الله، واصل مشواره الدراسي في مدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء المسلمين بقرية قلعة بني عباس، ثم بجامع الزيتونة في تونس سنة 1946، والتحق بعدها بجامعة القاهرة سنة 1950 ودرس في قسم الفلسفة ونال شهادة الليسانس بامتياز، وفي سنة 1954 انتقل إلى باريس لتحضير الدكتوراه في الفلسفة حول «الحرية عند المعتزلة»، وقد أعد جزء من الرسالة إلا أن ظروف الكفاح المسلح ونشاطه النضالي سببا له مضايقات البوليس الفرنسي، فاضطر إلى التوجه نحو (براغ - عاصمة التشيك)، ثم انتقل إلى بون عاصمة ألمانيا الغربية آنذاك سنة 1957 لإعداد رسالة حول: «مبدأ الحرية عند كانط»، لكن ظروف الكفاح والمسؤوليات الملقاة على عاتقه حالت دون إنهاء رسالته، فتوقف عن الدراسة وتفرغ للعمل السياسي والجهادي.

ورغم كثرة المهام وتراكم الأعمال، فإنه استطاع أن يجيد عدة لغات: فإلى جانب اللغة العربية، الفرنسية، والأنجليزية، الألمانية، والسويدية، كان يتحدث اليونانية واللاتينية والجرمانية والسلافية والرومانية.

تقلّد بعد الاستقلال عدة مسؤوليات: مديرا في وزارة الخارجية، وزيرا للتعليم الأصلي والشؤون الدينية ومستشارا لرئيس الجمهورية، ثم مسؤولا في حزب جبهة التحرير مكلفا بتعميم استعمال اللغة الوطنية، ومع المسؤوليات الثقيلة فقد ألّف عدة كتب ونشر مقالات، في الفكر والثقافة والتاريخ، ونظم ملتقيات دولية في الفكر الإسلامي وطبع أعمالها من محاضرات ومناقشات، وأنشأ عشرات المعاهد للتعليم الأصلي، ونظم الحج إلى بيت الله الحرام، ووضع القانون الأساسي للأئمة وعمال السلك الديني، وشرع في إنشاء المراكز الثقافية الإسلامية، وأسّس مجلة الأصالة ذات الشهرة الواسعة، هذا دون أن ننسى جهاده المتواصل في ميدان تعميم استعمال اللغة الوطنية في الإدارة العمومية والمؤسسات، وأسّس، إلى جانب المجلس الإسلامي الأعلى، المجلس الأعلى للغة العربية، وأكاديمية اللغة العربية.

كان مناضلا مخلصا ومجاهدا شجاعا مرابطا، منذ صباه حتى وافاه أجله يوم الخميس 27 أوت 1992، رحمه الله.





مُولُود قاسم نايت بلقاسم



ISBN 978-9961672303-3
9 789961 672303